

كتاب الكبائر

تأليف

الامام الحافظ المحدث المحقق الناقد مؤرخ الاسلام شمس الدين
أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي
التركماني الفارقي الأصل، الدمشقي الشافعي
المولود سنة ٦٧٣ هـ والمتوفى سنة ٧٤٨ هـ

حقوق الطبع محفوظة

١٣٧٨ هـ – ١٩٥٩ م

يطلب من
المكتبة التجارية الكبرى
بمصر ص. ب ٥٧٨

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبع

كتاب الكبائر الكبرى للإمام الحافظ المؤرخ الناقد أبي عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز التركماني الأصل الدمشقي المولد والوفاة ، المولود سنة ٦٧٣ هـ المتوفى سنة ٧٤٨ هـ .

هو هذا الذي نقدمه للقراء كتبه مؤلفه زاجراً عن المعاصي واقتراف الذنوب ولا سيما الكبائر منها ، وقد جرى فيه على طريقة من سبقه من العلماء ممن كتب في الترغيب والترهيب من الجمع بين ما قوى وصح وما هزل وسقم مع البيان أو عدمه جريا وراء التأثير على القلب واجتهاداً في صيد العاطفة وامتلاك الوجدان وتوسعا بنوع من التساهل في غير الحلال والحرام ؛ عملا مما جاء[1] عن الإمام أحمد بن حنبل وشيخه عبد الرحمن بن مهدى والإمام عبد الله بن المبارك قالوا : إذا روينا في الحلال والحرام شدّدنا و إذا روينا في الفضائل ونحوها تساهلنا وقد جرى الذهبي رحمه الله على ذلك فذكر في رسالته هذه من صحاح الأحاديث معزوة وغير معزوة ومن ضعافها ضعفاً قد لا يحتمل . كتبها للعامة ، وإن كانت لا تخلو عما يفيد الخاصة ثم استدرك ذلك فكتب رسالة أخرى أصغر حجماً منها اعتمد فيها ما صح وما قارب الصحة مع البيان . وحذف منها أكثر ما في هذه الرسالة الكبرى من ضعاف وحكايات فجاءت على الثلث من الكبرى .

وعذره فيما ساق في الكبرى من الحكايات والرقائق وإن كانت لا تروق

---

(١) ذكره السيوطي في تدريب الراوى ص ١٠٨ .

لدى خاص من الناس عذر من سبقه فى ذلك أن تأثيرها عند العوام لا ينكر ، بل لعلها أفيد عندهم من الصحاح التى لا تتأثر بها نفوسهم وليس لها من الروعة عندهم ما لهذه الرقائق وأشباهها من حكايات الصالحين ومنامات الزهاد والمتعبدين .

خذ مثلا هذه الشكلى ـ التى حكى حكايتها فى الكبيرة الرابعة والأربعين فى النهى عن النوح والبكاء على الميت ـ أنها ناحت على فقد ولدها وجمعت النوادب والنوائح وسودت وجهها وشقت جيبها ولطمت خدها فماذا كان يفيد فيها لو نصحها الناصح بما فى الصحيحين من أحاديث الصبر والتحمل ، بل لو قرأ عليها ما جاء فى القرآن من وعد الصابرين المحتسبين ، ولكن انظر لما حكى لها صالح المرى الزاهد الشهير ما حاكته مخيلته من المنام الذى ارتآه لها فى حال والدها فى البرزخ وما آلمته به أمه فى نوحها عليه ، وندب النادبات عندها ، وقول الفتى الميت لصالح المرى الناسك الزاهد (إنى لما مت ولى والدة جمعت النوادب والنوائح يندبن علىّ وينحن كل يوم فأنا معذب بذلك : النار عن يمينى وعن شمالى وخلفى وأمامى . ثم قال : يا صالح بالله عليك اذهب إلى أمى فهى بالمكان الفلانى ، وقل لها : لم تعذبى ولدك يا أماه طالما ربيتينى ومن الأسواء وقيتينى ، فلما مت فى العذاب رميتينى ، لو رأيت الغل فى عنقى والقيد فى قدمى وملائكة العذاب تضربنى وتنهرنى ، فلو رأيت حالى لرحمتينى ، وإن لم تتركى ما أنت عليه من الندب والنياحة فالله بينى وبينك يوم تشقق سماء عن سماء ويبرز الحق لفصل القضاء) إلى آخر ما قال .

فأدّى صالح مهمته خير أداء وبلغ رسالته التى تحملها من عالم الأموات إلى الأم الجازعة النادبة النائحة فأثمرت جهوده وتكلل مسعاه بالنجاح وأقلعت الأم عن جزعها واعتصمت بالصبر وطردت النوادب ورق قلبها على ولدها وندمت على ما كانت آذته به وما جلبته عليه من شقاء .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، ولا عدوان إلا على الظالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد المرسلين و إمام المتقين وعلى آله وصحبه أجمعين .

(أما بعد) فهذا كتاب مشتمل على ذكر جمل فى الكبائر والمحرمات والمنهيات

الكبيرة الأولى

ما نهى الله ورسوله عنه فى الكتاب والسنة والأثر عن السلف الصالحين ، وقد ضمن الله تعالى فى كتابه العزيز لمن اجتنب الكبائر والمحرمات أن يكفر عنه الصغائر من السيئات لقوله تعالى : (إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلاً كَرِيماً) فقد تكفل الله تعالى بهذا النص لمن اجتنب الكبائر أن ندخله الجنة ، وقال تعالى : (وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالفَوَاحِشَ إِلاَّ اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الصلوات الخمس[1] ، والجمعة إلى الجمعة ، ورمضان إلى رمضان مكفرات[2] لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر » فتعين علينا الفحص عن الكبائر ما هى لكى يجتنبها المسلمون[3]

(١) رواه مسلم والترمذى وقال حسن صحيح عن أبى هريرة رفعه واللفظ لمسلم » قال الترمذى وفى الباب عن جابر وأنس وحنظلة الأسيدى قال شارحه أما حديث جابر فأخرجه مسلم وأما حديث أنس فأخرجه الشيخان وأما حديث حنظلة الأسيدى ويقال له حنظلة الكاتب فأخرجه أحمد باسناد جيد مرفوعا انتهى .

(٢) فى نسخة « كفارة لما بينهن مالم تغش الكبائر »

(٣) فى نسخة : المسلم ، واعلم أن التوبة من كل معصية واجبة على الفور وحتم لازم على كل عاص لايجوز تأخيرها سواء كانت صغيرة أو كبيرة وأنها من مهمات الإسلام=

فوجدنا أن العلماء رحمهم الله تعالى قد اختلفوا فيها ، فقيل : هى سبع . واحتجوا بقول النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « اجتنبوا السبع الموبقات » فذكر منها الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق ، وأكل مال اليتيم ، وأكل الربا ، والتولى يوم الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات . متفق عليه (١) . وقال ابن عباس رضى الله عنهما : هى إلى السبعين أقرب منها إلى السبع ، وصدق والله ابن عباس (٢) . وأما الحديث فما فيه حصر الكبائر ، والذى يتجه ويقوم عليه الدليل أن من ارتكب شيئاً من هذه العظائم مما فيه حدّ فى الدنيا كالقتل ، والزنا ، والسرقة ، أو جاء فيه وعيد فى الآخرة من عذاب ، أو غضب ، أو تهديد ، أو لعن فاعله على لسان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فإنه كبيرة (٣) ، ولا بد من تسليم أن بعض الكبائر أكبر من بعض ، ألا ترى أنه صلى الله عليه وسلم عدّ الشرك بالله من الكبائر مع أنّ مرتكبه مخلد فى النار ، ولا يغفر له أبداً ،

= وقواعد الدين المتأكدة ووجوبها عند أهل السنة ثابتة بالكتاب والسنة وظاهر النصوص القرآنية والأحاديث النبوية والآثار السلفية على أن من تاب لله توبة نصوحا واجتمعت شروط التوبة فيه فإنه يقبل منه توبته كرما منه وفضلا ومنة وإحسانا اهـ .

(١) متفق عليه أى رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة (قات) وكذا رواه أبو دواد والنسائى (٢) رواه عبد الرزاق والطبرى فى تفسيره عند قوله : (إن تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه) سورة النساء

(٣) والكبيرة كل مصعية فيها حد فى الدنيا أو وعيد فى الآخرة وزاد شيخ الإسلام أو ورد فيها وعيد ينفى إيمان أو لعن ونحوهما . والصواب تقسيم الذنوب إلى كبيرة وصغيرة وأن الكبائر فى الذنوب بعضها أكبر من بعض وقال ابن عبد السلام الشافعى لم أقف للكبيرة على ضابط سالم من الاعتراض والضابط الذى قاله شيخ الإسلام وغيره من أنها مافيها حد أو وعيد أو لعن أو تبرى أو ليس منا أو نفى إيمان من أسلم والضوابط وعن سعيد بن جبير قال رجل لابن عباس الكبائر سبع فقال ابن عباس هى إلى السبعمائة أقرب منها إلى السبع غير أنه لا كبيرة مع استغفار ولا صغيرة مع إصرار وفى رواية عنه هى إلى السبعين أقرب وعدها العلماء فبلغت سبعين أو زادت على السبعين اهـ .

قال الله تعالى : (إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ) .

الكبيرة الأولى : الشرك بالله

فأكبر الكبائر الشرك بالله تعالى ، وهو نوعان :

أحدهما : أن يجعل لله ندا و يعبد معه غيره من حجر أو شجر أو شمس أو قمر أو نبي أو شيخ أو نجم أو ملك أو غير ذلك ، وهذا هو الشرك الأكبر الذى ذكره الله عز وجل ، قال الله تعالى : (إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ) وقال تعالى : (إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ) وقال تعالى : (إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ) والآيات فى ذلك كثيرة .

فمن أشرك بالله ثم مات مشركا فهو من أصحاب النار قطعا كما أنَّ من آمن بالله ومات مؤمنا فهو من أصحاب الجنة و إن عذب بالنار ، وفى الصحيح أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ألا أنبئكم بأكبر الكبائر — ثلاثا — قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : الإشراك بالله وعقوق الوالدين ، وكان متكئا فجلس فقال : ألا وقول الزور ألا وشهادة الزور » فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت[1] وقال صلى الله عليه وسلم[2] : « اجتنبوا السبع الموبقات » فذكر منها الشرك بالله ، وقال صلى الله عليه وسلم : « من بدل دينه فاقتلوه » الحديث[3] .

والنوع الثانى : من الشرك الرياء بالأعمال كما قال الله تعالى : (فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً) أى : لا يرائى بعمله أحداً ، وقال صلى الله عليه وسلم : « إياكم والشرك الأصغر ، قالوا :

(١) متفق عليه . (٢) تقدم تخريجه آنفا . (٣) رواه أحمد والبخارى

يا رسول الله وما الشرك الأصغر ؟ قال : الرياء يقول الله تعالى يوم يجازى العباد بأعمالهم اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤنهم بأعمالكم فى الدنيا ، فانظروا هل تجدون عندهم جزاء »[1] ، وقال صلى الله عليه وسلم : « يقول الله من عمل عملا أشرك معى فيه غيرى فهو الذى أشرك وأنا منه برىء »[2] ، وقال : « من سمع سمع الله به ومن رايا رايا الله به »[3] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « رب صائم ليس له من صومه إلا الجوع والعطش ، ورب قائم ليس له من قيامه إلا السهر » يعنى أنه إذا لم يكن الصلاة والصوم لوجه الله تعالى فلا ثواب له[4] ، كما روى[5] عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « مثل الذى يعمل للرّياء والسمعة كمثل الذى يملأ كيسه حصى ، ثم يدخل السوق ليشترى به ، فإذا فتحه قدام البائع فإذا هو حصى وضرب به وجهه ، ولا منفعة له فى كيسه سوى مقالة الناس له ما أملأ كيسه ولا يعطى به شيئاً ، فكذلك الذى يعمل للرّياء والسمعة فليس له من عمله سوى مقالة الناس ولا ثواب له فى الآخرة » قال الله تعالى : (وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُوراً)

---

(١) قال العراقى رواه أحمد باسناد جيد عن ابن عباس والبيهقى فى الشعب وابن أبى الدنيا من حديث محمود بن لبيد وله رؤية ورجاله ثقات قال المنذرى جيد ورواه الطبرانى عن محمود بن لبيد عن رافع بن خديج .

(٢) رواه مسلم دون كلمة «وأنا منه برىء» وهى عند ابن ماجه بسند صحيح اهعراقى

(٣) متفق عليه من حديث جندب بن عبد الله بلفظ «من راءى الله به ومن سمع سمع الله به » وهو فى الترغيب للمنذرى كما فى الأصل هنا والترمذى عن أبى بكرة رفعه قاله العراقى فى تخريج أحاديث الإحياء

(٤) رواه ابن ماجه وأخرجه أحمد وابن أبى حاتم والطبرانى والحاكم وصححه البيهقى عن شداد أوس والبزار وابن مردوية والبيهقى عن الضحاك بن قيس رفعوه .

(٥) جعله ابن حجر فى زواجره من كلام بعض الحكماء لاحديثاً نبويا .

حليلة جارك » فأنزل الله تعالى تصديقها : (وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلٰهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النفْسَ التى حَرَّمَ اللهُ إلا بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ) الآية ، وقال[١] صلى الله عليه وسلم : « إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول فى النار » قيل : يا رسول الله ، هذا القاتل فما بال المقتول ؟ قال « لأنه كان حريصًا على قتل صاحبه » .

قال الإمام أبو سليمان الخطابى رحمه الله : هذا إنما يكون كذلك إذا لم يكونا يقتتلان على تأويل إنما يقتتلان على عداوة بينهما وعصبية أو طلب دنيا أو رئاسة أو علو؛ فأما من قاتل أهل البغى على الصفة التى يجب قتالهم بها أو دفع عن نفسه أو حريمه فإنه لا يدخل فى هذه لأنه مأمور بالقتال للذب عن نفسه غير قاصد به قتل صاحبه إلا إن كان حريصًا على قتل صاحبه ومن قاتل باغيًا أو قاطع طريق من المسلمين فإنه لا يحرص على قتله إنما يدفعه عن نفسه فإن انتهى صاحبه كف عنه ولم يتبعه فإن الحديث لم يرد فى أهل هذه الصفة؛ فأما من خالف هذا النعت فهو الذى يدخل فى هذا الحديث الذى ذكرنا والله أعلم .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم[٢] : « لا ترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض » ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم[٣] : « لا يزال العبد فى فسحة من دينه ما لم يصب دمًا حراما » ، وقال[٤] صلى الله

(١) رواه أحمد الشيخان كما فى الزواجر (٢) متفق عليه من حديث أبى بكرة وهو قطعة من (خطبة الوداع) (٣) تمامه : وقال ابن عمر : من ورطات الأمور التى لا مخرج لمن أوقع نفسه فيها سفك الدم الحرام بغير حله رواه البخارى والحاكم وقال صحيح على شرطها والورطات جمع ورطة وهى المشكلة وكل أمر تعسر النجاة منه اهـ ترغيب وترهيب للمنذرى (٤) رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى وابن ماجه من حديث ابن مسعود قاله المنذرى فى الترغيب .

عليه وآله وسلم أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة فى الدماء ، وفى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم[1] قال : « لقتل مؤمن أعظم عند الله من زوال الدنيا » وقال[2] صلى الله عليه وسلم : « الكبائر الإشراك بالله وقتل النفس واليمين الغموس » ، وسميت غموسا لأنها تغمس صاحبها فى النار ، وقال صلى الله عليه وسلم : « لاتقتل نفس ظلما إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها لأنه أول من سن القتل » مخرج فى الصحيحين وقال صلى الله عليه وسلم : « من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة وإن رائحتها لتوجد من مسيرة أربعين عاما » أخرجه البخارى[3] .

فإن كان هذا فى قتل المعاهد وهو الذى أعطى عهداً فى اليهود والنصارى فى دار الإسلام فكيف بقتل المسلم ، وقال صلى الله عليه وسلم : « ألا ومن قتل نفسًا معاهدة لها ذمة الله وذمة رسوله فقد أخفر ذمة الله ولا يرح رائحة الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة خمسين خريفًا » صححه الترمذى ، وقال صلى الله عليه وسلم : « من أعان على قتل مسلم بشطر كلمة لقى الله مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله تعالى » رواه الإمام أحمد[4] ، وعن معاوية

---

(١) رواه النسائى والبيهقى من حديث بريدة وشاهده عند مسلم والنسائى والترمذى من حديث عبد الله بن عمرو مرفوعا قاله المنذرى ورواه البيهقى والأصبهانى وابن ماجه باسناد حسن عن البراء بن عازب رفعه اهـ منذرى (٢) رواه البخارى ومسلم والنسائى من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص اهـ منذرى .

(٣) والنسائى عن ابن عمرو رفعه كما ذكره المصنف فى رسالته الصغرى فى الكبائر وكذا المنذرى فى الترغيب .

(٤) وابن ماجه وفى إسناده مقال قاله المصنف فى رسالته الصغرى والأصبهانى كلهم عن أبى هريرة رفعه ورواه البيهقى من حديث ابن عمر رفعه ذكره المنذرى فى الترغيب وذكره بصيغة التمريض .

رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا الرجل يموت كافراً أو الرجل يقتل مؤمنًا متعمداً »[١] نسأل الله العافية .

الكبيرة الثالثة

فى السحر لأن الساحر لابد وأن يكفر قال الله تعالى : (وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ) .

وما للشيطان الملعون غرض فى تعليمه الإنسان السحر إلا ليشرك به قال الله تعالى مخبراً عن هاروت وماروت : (وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حتى يَقُولا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلاَ تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلا بِإِذْنِ اللهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَاله فى الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ) أى من نصيب .

فترى خلقا كثيراً من الضلال يدخلون فى السحر ويظنونه حراما فقط وما يشعرون أنه الكفر فيدخلون فى تعليم السيمياء[٢] وعملها وهى محض السحر وفى عقد الرجل عن زوجته وهو سحر وفى محبة الرجل للمرأة و بغضها له ، وأشباه ذلك بكلمات مجهولة أكثرها شرك وضلال .

---

(١) أخرجه النسائى والحاكم وقال صحيح الإسناد ، وروى دوحب قال وصححه عن أبى الدرداء رفعه اه ترغيب .

(٢) فى بعض النسخ (الكيمياء) بالكاف والمراد منها كيمياء السحرة التى غرضها الوصول إلى (إكسير الحياة) الذى يحول الشيخوخة والهرم بزعمهم شبابا وكذلك (حجر الفلاسفة) الذى يحول النحاس وغيره فى زعمهم ذهبا أما الكيمياء الصناعية التى هى معرفة خواص الأجسام تحليلا وتركيبا فليست مرادة بهذا الذم .

وحدّ الساحر القتل لأنه كفر بالله أو مضارع الكفر قال النبي صلى الله عليه وسلم : « اجتنبوا الموبقات ، فذكر منها السحر[١] ، والموبقات المهلكات فليتق العبد ربه ولا يدخل فيما يخسر به الدنيا والآخرة وجاء[٢] عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : حدّ الساحر ضربه بالسيف . والصحيح أنه من قول جندب ، وعن بجالة بن عبدة[٣] أنه قال : أتانا كتاب عمر رضى الله عنه قبل موته بسنة أن اقتلوا كل ساحر وساحرة ، وعن وهب ابن منبه قال : قرأت فى بعض الكتب : يقول الله عز وجل : لا إله إلا أنا ليس منى من سحر ولا من سحر له ولا من تكهن ولا من تكهن له ولا من تطير ولا من تطير له ، وعن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه قال : الكاهن ساحر والساحر كافر وعن أبى موسى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ثلاثة لا يدخلون الجنة : مدمن خمر ، وقاطع رحم ، ومصدق بالسحر » رواه الإمام أحمد فى مسنده[٤] ، وعن ابن مسعود[٥] رضى الله عنه مرفوعاً قال : « الرقى والتمائم والتولة شرك » التمائم جمع تميمة وهى خرزات أو حروز يعلقها الجهال على أنفسهم وأولادهم ودوابهم يزعمون أنها تردّ العين ، وهذا من فعل الجاهلية ، ومن اعتقد ذلك فقد أشرك ، والتولة بكسر التاء وفتح الواو نوع من السحر وهو تحبيب المرأة إلى زوجها ، وجعل ذلك من الشرك لاعتقاد الجهال أن ذلك يؤثر

---

(١) تقدم آنفا بلفظه وتخريجه

(٢) رواه الترمذى وقال الصحيح أنه من قول جندب اه زواجر .

(٣) رواه البخارى . .

(٤) وابن حبان فى صحيحة وأبو يعلى والحاكم وصححه قاله المنذرى فى الترغيب : من شرب الخمر .

(٥) وراه أحمد وأبو داود قاله المصنف فى رسالته الصغرى وابن حبان والحاكم وصححاه أفاده المنذرى فى ترغيبه .

بخلاف ما قدر الله تعالى[١] قال الخطابى[٢] رحمه الله ، وأما إذا كانت الرقية بالقرآن أو بأسماء الله تعالى فهى مباحة لأن النبى صلى الله عليه وسلم كان يرقى الحسن والحسين رضى الله عنهما فيقول : « أعيذكما بكلمات الله التامّة من كل شيطان وهامة ، ومن كل عين لامة » ، وبالله المستعان وعليه التكلان .

---

(١) فائدة — قال المصنف فى رسالته الصغرى فى آخر الكبيرة الثالثة : واعلم أن كثيراً من هذه الكبائر بل عامتها إلا الأقل يجهل خلق من الأمة وما بلغه الزجر فيه ولا الوعيد .

فهذا الضرب فيه تفصيل ينبغى للعالم أن لايستعجل على الجاهل بل يرفق به ويعلمه مما علمه الله ولا سيما إذا كان قريب العهد بجاهليته ، قد نشأ فى بلاد الكفر البعيدة وأسر وجلب لأرض الإسلام وهو تركى أو كرجى مشرك لايعرف بالعربى فاشتراه أمير تركى لا علم عنده ولافهم فبالجهد أنه تلفظ بالشهادتين فإن فهم العربى حتى فقه معنى الشهادتين بعد أيام وليالى فيها ونعمت . ثم قد لايصلى وقد يصلى وقد يقرأ الفاتحة مع الطول إن كان أستاذه فيه دين ما فان كان أستاذه نسخة منه فمن أين لهذا المسكين أن يعرف شرائع الإسلام والكبائر واجتنابها والواجبات وإتيانها فان عرف هذا موبقات الكبائر وحذر منها وأركان الفرائض واعتقدها فهو سعيد وذلك نادرفينبغى للعبد أن يحمد الله تعالى على العافية (فان قيل) هو فرط لكونه ماسأل عمايجب عليه(قيل) مادار فى نفسه ولا استشعر أن سؤال من تعلمه يجب عليه ومن لم يجعل الله له نورا فماله من نور فلا يأثم أحد إلا بعد العلم وبعد قيام الحجة عليه والله لطيف بعباده رءوف بهم قال الله تعالى (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) وقد كان سادة الصحابة بالحبشة ، وينزل الواجب والتحريم على النبى صلى الله عليه وسلم فلا يبلغهم إلا بعد أشهر فهم فى تلك الأشهر معذورون بالجهل حتى يبلغهم النص وكذا يعذر بالجهل من لم يعلم حتى يسمع النص والله أعلم اه .

(٢) هو الإمام أحمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب أبو سليمان الخطابى صاحب التصانيف الممتعة كشرح سنن أبى داود وغيره توفى سنة ٣٨٨ ﻫ ببلدة بست .

الكبيرة الرابعة

فى ترك الصلاة : قال الله تعالى : (فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا إلاَّ مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا) قال ابن عباس رضى الله عنهما ليس معنى أضاعوها تركوها بالكلية ، ولكن أخروها عن أوقاتها ، وقال سعيد بن المسيب إمام التابعين رحمه الله : هو أن لا يصلى الظهر حتى يأتى العصر ، ولا يصلى العصر إلى المغرب ، ولا يصلى المغرب إلى العشاء ، ولايصلى العشاء إلى الفجر ، ولايصلى الفجر إلى طلوع الشمس ، فمن مات وهو مصر على هذه الحالة ولم يتب وعده الله بغى وهو واد فى جهنم بعيد قعره خبيث طعمه ، وقال تعالى فى آية أخرى (فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاَتِهِمْ سَاهُونَ) أى غافلون عنها متهاونون بها ، وقال سعيد بن أبى وقاص رضى الله عنه : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الذين هم عن صلاتهم ساهون ، قال : « هو تأخير الوقت[1] » أى تأخير الصلاة عن وقتها ، سماهم مصلين ، لكنهم لما تهاونوا بها وأخروها عن وقتها وعدهم بويل وهو شدة العذاب ، وقيل : هو واد فى جهنم لو سيرت فيه جبال الدنيا لذابت من شدة حره ، وهو مسكن من يتهاون بالصلاة ويؤخرها عن وقتها إلا أن يتوب إلى الله تعالى ويندم على ما فرط ، وقال تعالى فى آية أخرى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلاَ أَوْلاَدُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ) قال المفسرون : المراد بذكر الله فى هذه الآية الصلوات الخمس ، فمن اشتغل بماله فى بيعه وشرائه ومعيشته وضيعته وأولاده عن

(١) رواه البزار فى مسنده من رواية عكرمة بن إبراهيم وقال رواه الحافظ موقوفا ولم يرفعه غيره قال المنذرى وعكرمة هذا هو الأزدى مجمع على ضعفه والصواب وقفه يعنى أنه من كلام سعد بن أبى وقاص اه ترغيب وقال به زيد بن على فى تفسير الغريب وابن عباس ومصعب بن سعد ومسروق والحسن .

الصلاة فى وقتها كان من الخاسرين ، وهكذا قال النبي صلى الله عليه وسلم : « أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله الصلاة ، فإن صلحت فقد أفلح ونجح ، وإن نقصت فقد خاب وخسر »[١] ، وقال تعالى مخبراً عن أصحاب الجحيم : (مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ، وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ، وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ، وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ، حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ . فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ) وقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم : « العهد الذى بيننا وبينهم الصلاة ، فمن تركها فقد كفر[٢] » وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « بين العبد وبين الكفر ترك الصلاة[٣] » حديثان صحيحان ؛ وفى صحيح البخارى : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من فاتته صلاة العصر حبط عمله » ، وفى السنن أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « من ترك الصلاة متعمداً فقد برئت منه ذمة الله[٤] » وقال صلى الله عليه وسلم : « أمرت أن أقاتل الناس حتى

---

(١) عزاه المنذرى فى الترغيب إلى الأوسط للطبرانى وأشار إلى ضعفه وذكر له شاهدا من حديث عبد الله بن قرط عند الطبرانى فى أوسطه أيضا وقال لابأس باسناده إن شاء الله اه . وقال المصنف فى الصغرى حسنه الترمذى من حديث أبى هريرة اه . وكذا قال المنذرى فى الترغيب رواه الترمذى وغيره عن أبى هريرة وقال حسن غريب انتهى وأخرجه أحمد وأبو داود وابن ماجه عن تميم الدارى رفعه .

(٢) رواه من حديث بريده أحمد وأبو داود والنسائى والترمذى وقال حسن صحيح وابن ماجة وابن حبان فى صحيحه والحاكم وقال صحيح ولانعرف له علة منذرى وأخرج نحوه الطبرانى فى الكبير عن ثوبان رفعه .

(٣) رواه أحمد ومسلم ، د ، ى ، ت ، ه بألفاظ متقاربة اه منذرى وأخرجه ابن ماجة ومحمد بن نصر والطبرانى فى الكبير عن أنس رفعه .

(٤) رواه ابن ماجة والبيهقى عن شهر بن حوشب عن أم الدرداء عن أبى الدرداء وله شواهد من حديث معاذ عن الطبرانى فى الأوسط وعنده فى الكبير وعند أحمد =

يقولوا لا إله إلا الله ، و يقيموا الصلاة ، و يؤتوا الزكاة ، فإذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها ، وحسابهم على الله » متفق عليه[١] وقال عليه الصلاة والسلام : « من حافظ عليها كانت له نوراً و برهاناً ونجاة يوم القيامة ، ومن لم يحافظ عليها لم تكن له نوراً ولا برهاناً ولا نجاة يوم القيامة ، وكان يوم القيامة مع فرعون وقارون وهامان وأبى بن خلف »[٢] ، وقال عمر رضى الله عنه : أما إنه لاحظ لأحد فى الإسلام أضاع الصلاة .

قال بعض العلماء رحمهم الله : و إنما يحشر تارك الصلاة مع هؤلاء الأربعة لأنه إنما يشتغل عن الصلاة بماله أو بملكه أو بوزارته أو بتجارته ، فإن اشتغل بماله حشر مع قارون ، و إن اشتغل بملكه حشر مع فرعون ، و إن اشتغل بوزارته حشر مع هامان ، و إن اشتغل بتجارته حشر مع أبى بن خلف تاجر الكفار بمكة .

وروى الإمام أحمد عن معاذ بن جبل رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من ترك صلاة مكتوبة متعمداً فقد برئت منه ذمة الله عز وجل »[٣] ، وروى البيهقى بإسناده[٤] أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : جاء رجل إلى

= وإسناده صحيح ومن حديث أميمة مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الطبرانى ومن حديث أم أيمن عند أحمد والبيهقى وكلها لايخلو من مقال ولكن يعتضد بها أفاده المنذرى فى الترغيب .

(١) من حديث ابن عمر .

(٢) رواه أحمد باسناد جيد من حديث عبد الله بن عمرو وكذا رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط وابن حبان فى صحيحه اه منذرى . وقال المصنف فى الرسالة الصغرى ليس إسناده بذاك .

(٣) رواه أحمد والطبرانى فى الكبير وإسناد أحمد صحيح لوسلم من الانقطاع فان عبد الرحمن بن جبير بن نفير لم يسمع من معاذ وفى الأوسط للطبرانى باسناد لا بأس به فى المتابعات اه منذرى ، (قلت) وهو حديث طويل فى النهى عن الشرك وعقوق الوالدين وترك الصلاة وشرب الخمر والفواحش .

(٤) أى فى شعب بسند ضعفه وقال الحاكم : عكرمة لم يسمع من عمر قال ورواه ابن عمر اه عراقى .

رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، أى الأعمال أحب إلى الله تعالى فى الإسلام ؟ قال : « الصلاة لوقتها ، ومن ترك الصلاة فلا دين له ، والصلاة عماد الدين » . ولما طعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، قيل له : الصلاة يا أمير المؤمنين قال : نعم ، أما إنه لا حظ لأحد فى الإسلام أضاع الصلاة ، وصلى رضى الله عنه وجرحه يثعب[١] دما . وقال عبد الله بن شقيق التابعى رضى الله عنه : كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرون شيئاً من الأعمال تركه كفر غير الصلاة . وسئل على رضى الله عنه عن امرأة لا تصلى ، فقال : من لم يصل فهو كافر[٢] . وقال ابن مسعود رضى الله عنه : من لم يصل فلا دين له[٣] . وقال ابن عباس رضى الله عنهما : من ترك صلاة واحدة متعمداً لقى الله وهو عليه غضبان[٤]. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من لقى الله وهو مضيع للصلاة لم يعبأ الله بشىء من حسناته — أى ما يفعل وما يصنع بحسناته — إذا كان مضيعاً للصلاة[٥] » وقال ابن حزم : لا ذنب بعد الشرك أعظم من تأخير الصلاة عن وقتها ، وقتل مؤمن بغير حق . وقال إبراهيم النخعى : من ترك الصلاة فقد كفر . وقال أيوب السختيانى مثل ذلك . وقال عون بن عبد الله : إن العبد إذا أدخل قبره سئل عن الصلاة أول شىء يسأل عنه ، فإن جازت له نظر فيما دون ذلك من عمله ، وإن لم تجز له لم ينظر فى شىء من عمله بعد . وقال صلى الله عليه وسلم : « إذا صلى العبد الصلاة فى أول الوقت صعدت إلى السماء ولها نور حتى تنتهى إلى العرش فتستغفر

(١) يثعب بالعين المهملة أى يسيل

(٢) أخرجه الترمذى وأخرجه الحاكم عنه عن أبى هريرة ذكر المصنف فى الصغرى

(٣) رواه محمد بن نصر موقوفا عليه اهـ منذرى .

(٤) رواه محمد بن نصر المروزى وابن عبد البر بلفظ فقد كفر اهـ منذرى .

(٥) قال العراقى فى معناه حديث « أول ما يحاسب به العبد الصلاة — وفيه — فإن فسدت فسد سائر عمله » رواه الطبرانى فى الأوسط من حديث أنس اهـ .

لصاحبها إلى يوم القيامة ، وتقول : حفظك الله كما حفظتنى ، و إذا صلى العبد الصلاة فى غير وقتها صعدت إلى السماء وعليها ظلمة ، فإذا انتهت إلى السماء تلف كما يلف الثوب الخلق ، و يضرب بها وجه صاحبها ، وتقول : ضيعك الله كما ضيعتنى[١] » .
وروى أبو داود فى سننه[٢] عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال : قال رسول الله عليه الصلاة والسلام : « ثلاثة لا يقبل الله منهم صلاتهم : من تقدم قوما وهم له كارهون ، ومن استعبد[٣] محرراً ، ورجل أتى الصلاة دباراً » ، والدبار : أن يأتيها بعد أن تفوته ، وجاء عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : « من جمع بين صلاتين من غير عذر فقد أتى باباً عظيما من أبواب الكبائر »[٤] ، فنسأل الله التوفيق والإعانة إنه جواد كريم وهو أرحم الراحمين .

فصل متى يؤمر الصبى بالصلاة

روى أبو داود فى السنن أن رسول الله عليه الصلاة والسلام قال : « مروا الصبى بالصلاة إذا بلغ سبع سنين ، فإذا بلغ عشر سنين فاضربوه عليها » وفى رواية « مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع ، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر ، وفرقوا بينهم فى المضاجع » .
قال الإمام أبو سليمان الخطابى رحمه الله : هذا الحديث يدل على إغلاظ

(١) رواه الطبرانى فى الأوسط من حديث أنس بسنده ضعيف والطيالسى والبيهقى فى الشعب من حديث عبادة بن الصامت بسند ضعيف نحوه قاله العراقى فى تخريج أحاديث الإحياء.

(٢) وكذا رواه ابن ماجة وفى سنده عبد الرحمن بن زياد الأفريقى مختلف فيه أفاده المنذرى .

(٣) هو أن يعتقه ثم يكتم عتقه أو ينكره أو يكرهه على الخدمة بعد العتق قاله الخطابى فى شرح السنن .

(٤) رواه الحاكم من حديث حنش عن ابن عباس وقال حنش هو ابن قيس ثقة قال المنذرى بل رواه بمرة لا نعلم أحداً وثقه غير حصين اه ترغيب .

العقوبة له إذا بلغ تاركا لها ، وكان بعض أصحاب الإمام الشافعى رحمه الله تعالى يحتج به فى وجوب قتله إذا تركها متعمداً بعد البلوغ ، و يقول : إذا استحق الضرب وهو غير بالغ فيدل على أنه يستحق بعد البلوغ من العقوبة ما هو أبلغ من الضرب ، وليس بعد الضرب شىء أشد من القتل .

وقد اختلف العلماء رحمهم الله فى حكم تارك الصلاة ، فقال مالك والشافعى وأحمد ــ رحمهم الله ــ : تارك الصلاة يقتل ضرباً بالسيف فى رقبته .

ثم اختلفوا فى كفره إذا تركها من غير عذر حتى يخرج وقتها ، فقال إبراهيم[1] النخعى ، وأيوب[2] السختيانى ، وعبد الله بن المبارك ، وأحمد[3] بن حنبل ، و إسحاق[4] بن راهوية : هو كافر . واستدلوا بقول النبى عليه الصلاة والسلام : « العهد الذى بيننا و بينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر » وقوله عليه الصلاة والسلام « بين الرسل و بين الكفر ترك الصلاة » .

فصل

وقد ورد فى الحديث[5] : «أن من حافظ على الصلوات المكتوبة أكرمه الله تعالى بخمس كرامات : يرفع عنه ضيق العيش ، وعذاب القبر ، و يعطيه كتابه بيمينه ،

(١) ابن يزيد أبو عمران الكوفى النخعى من رجال الكتب الستة توفى سنة ٩٦ هـ
(٢) أحد الأئمة الأعلام من رجال الكتب الستة توفى سنة ١٣١ هـ .
(٣) الإمام العلم شيخ المحدثين وأحد فقهاء الأمصار شيخ البخارى ومسلم وأبى داود مات سنة ٢٤١ هـ . (٤) إسحق بن إبراهيم بن محمد الحنظلى أبو محمد المشهور بابن راهويه شيخ خ ، م ، د ، ى الإمام الفقيه الحافظ مات سنة ٢٣٨ هـ .
(٥) هذا الحديث لم يصح عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وإن كان رواه بعضهم والمصنف رحمه الله تعالى وإن كان من الحفاظ المحققين فقد تساهل فى هذا الكتاب فى كثير الأحاديث اهـ من هامش الأصل النجدى (قلت) عزاه السيوطى فى ذيل الموضوعات إلى ابن النجار فى ذيل تاريخ بغداد ثم نقل عن الميزان هذا حديث باطل ركبه محمد بن على بن العباس على أبى بكر بن زياد النيسابورى وعن اللسان هو ظاهر البطلان من أحاديث الطرقية اهـ

ويمر على الصراط كالبرق الخاطف ، ويدخل الجنة بغير حساب » . ومن تهاون بها عاقبه الله بخمسة عشر عقوبة : خمسة فى الدنيا ، وثلاثة عند الموت ، وثلاثة فى القبر ، وثلاث عند خروجه من القبر :

فأما اللاتى فى الدنيا فالأولى ينزع البركة من عمره ، والثانية يمحى سيماء الصالحين من وجهه ، والثالثة كل عمل يعمله لا يأجره الله عليه ، والرابعة لا يرفع له دعاء إلى السماء ، والخامسة ليس له حظ فى دعاء الصالحين .

وأما التى تصيبه عند الموت فإنه يموت ذليلا ، والثانية يموت جائعاً ، والثالثة يموت عطشانا ولو سقى بحار الدنيا ما روى من عطشه .

وأما اللاتى تصيبه فى قبره : فالأولى يضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه ، والثانية يوقد عليه القبر ناراً يتقلب على الجمر ليلا ونهاراً ، والثالثة يسلط عليه فى قبره ثعبان اسمه الشجاع الأقرع ، عيناه من نار وأظافره من حديد ، طول كل ظفر مسيرة يوم ، يكلم الميت فيقول : أنا الشجاع الأقرع ، وصوته مثل الرعد القاصف ، يقول : أمرنى ربى أن أضربك على تضييع صلاة الصبح إلى طلوع الشمس ، وأضربك على تضييع صلاة الظهر إلى العصر ، وأضربك على تضييع صلاة العصر إلى المغرب ، وأضربك على تضييع صلاة المغرب إلى العشاء ، وأضربك على تضييع صلاة العشاء إلى الصبح ، فكلما ضربه ضربة يغوص فى الأرض سبعين ذراعاً ، فلا يزال معذباً إلى يوم القيامة .

وأما اللاتى تصيبه عند خروجه من قبره فى موقف القيامة فشدّة الحساب ، وسخط الرب ، ودخول النار ؛ وفى رواية : فإنه يأتى يوم القيامة وعلى وجهه ثلاثة أسطر مكتوبات ، السطر الأول يامضيع حق الله ، السطر الثانى يا مخصوصاً بغضب الله ، السطر الثالث كما ضيعت فى الدنيا حق الله فأيس اليوم من رحمة الله .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما ، قال : إذا كان يوم القيامة ، يؤتى بالرجل فيوقف بين يدى الله عز وجل ، فيأمر به إلى النار ، فيقول : يا رب لماذا ؟

فيقول الله تعالى : لتأخيرك الصلاة عن أوقاتها ، وحلفك بي كاذباً .

وعن رسول الله عليه الصلاة والسلام أنه قال لأصحابه : اللهم لا تدع فينا شقيا ولا محروما ، ثم قال عليه الصلاة والسلام : أتدرون من الشقى المحروم ؟ قالوا : من هو يا رسول الله ؟ قال : « تارك الصلاة »

وروى أنه أولى من يسود يوم القيامة وجوه تاركى الصلاة ، و إن فى جهنم واديا يقال له الملحم فيه حيات كل حية[1] تخن رقبة البعير ، طولها مسيرة شهر تلسع تارك الصلاة فيغلى سمها فى جسمه سبعين سنة ثم يتهرى لحمه .

حكاية — روى أن امرأة من بنى إسرائيل جاءت إلى موسى عليه السلام ، فقالت : يا رسول الله إنى أذنبت ذنباً عظيما وقد تبت إلى الله تعالى ، فادع الله أن يغفر لى ذنبى و يتوب على ، فقال لها موسى عليه السلام : وما ذنبك ؟ قالت : يانبى الله إنى زنيت وولدت ولداً فقتلته ، فقال لها موسى عليه السلام : اخرجى يا فاجرة لا تنزل ناراً من السماء فتحرقنا بشؤمك ، فخرجت من عنده منكسرة القلب ، فنزل جبريل عليه السلام وقال : ياموسى ، الرب تعالى يقول لك : لم رددت التائبة يا موسى ؟ أما وجدت شراً منها ، قال موسى : يا جبريل ومن هو شر منها ؟ قال : تارك الصلاة عامداً متعمداً .

حكاية أخرى — عن بعض السلف أنه أتى أختاً له ماتت فسقط كيس منه فيه مال فى قبرها ، فلم يشعر به أحد حتى انصرف عن قبرها ، ثم ذكره ، فرجع إلى قبرها فنبشه بعد ما انصرف الناس ، فوجد القبر يشتعل عليها ناراً ، فرد التراب عليها ، ورجع إلى أمه باكياً حزيناً فقال : يا أماه أخبرينى عن أختى وما كانت تعمل ، قالت : وما سؤالك عنها ؟ قال : يا أمى رأيت قبرها يشتعل عليها ناراً قال : فبكت وقالت : يا ولدى كانت أختك تتهاون بالصلاة وتؤخرها عن وقتها فهذا حال

(١) وصف حياة جهنم جاء فى حديث عبد الله بن الحارث بن جرء الزبيدى عند أحمد والطبرانى من طريق ابن لهيعة عن دراج عنه وكذا رواه ابن حبان فى صحيحه من طريق عمرو بن الحارث عن دراج عنه وقال الحاكم صحيح الإسناد اهـ منذرى

من يؤخر الصلاة عن وقتها فكيف حال من لا يصلى فنسأل الله تعالى أن يعيننا على المحافظة عليها فى أوقاتها إنه جواد كريم .

فصـــل

فى عقوبة من ينقر الصلاة ولا يتم ركوعها ولا سجودها وقد روى فى تفسير قوله تعالى : (فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ) أنه الذى ينقر الصلاة ولا يتم ركوعها ولا سجودها .

وثبت فى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رجلا دخل المسجد ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس فيه فصلى الرجل ثم جاء فسلم على النبى صلى الله عليه وسلم فرد عليه السلام ثم قال له ارجع فصل فإنك لم تصل فرجع فصلى كما صلى ثم جاء فسلم على النبى صلى الله عليه وسلم فرد عليه السلام ثم قال ارجع فإنك لم تصل فرجع فصلى كما صلى ثم جاء فسلم على النبى صلى الله عليه وسلم فرد عليه السلام وقال ارجع فصل فإنك لم تصل ثلاث مرات فقال فى الثالثة والذى بعثك بالحق يا رسول الله ما أحسن غيره فعلمنى ، فقال صلى الله عليه وسلم : « إذا قمت إلى الصلاة فكبر ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن ثم اركع حتى تطمئن راكعا ثم ارفع حتى تعتدل قائما ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً ثم اجلس حتى تطمئن جالسا ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا وافعل ذلك فى صلاتك كلها » .

وروى الإمام أحمد رضى الله عنه عن البدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لا تجزىء صلاة لا يقيم الرجل فيها صلبه فى الركوع والسجود » رواه أبو داود أيضاً والترمذى وقال حديث حسن صحيح ، وفى رواية أخرى « حتى يقيم ظهره فى الركوع والسجود » .

وهذا نص عن النبى صلى الله عليه وسلم فى أن من صلى ولم يقم ظهره بعد الركوع والسجود كما كان فصلاته باطلة ، وهذا فى صلاة العرض ، وكذا الطمأنينة أن يستقر كل عضو فى موضعه .

وثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أشد الناس سرقة الذى يسرق من صلاته ، قيل : وكيف يسرق من صلاته ؟ قال : لا يتم ركوعها ولا سجودها ولا القراءة فيها »[(١)] . وروى الإمام أحمد من حديث أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا ينظر الله إلى رجل لا يقيم صلبه بين ركوعه وسجوده »[(٢)] .

وقال صلى الله عليه وسلم : « تلك صلاة المنافق يجلس يرقب الشمس حتى إذا كانت بين قرنى شيطان قام فنقر أربعا لا يذكر الله فيها إلا قليلا »[(٣)] .

وعن أبى موسى قال : صَلّى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً بأصحابه ثم جلس فدخل رجل فقام يصلى فجعل يركع وينقر سجوده ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ترون هذا لو مات مات على غير ملة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ينقر صلاته كما ينقر الغراب الدم » أخرجه أبو بكر بن خزيمة فى صحيحه .

وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما من مصل إلا وملك عن يمينه وملك عن يساره فإن أتمها عرجا بها إلى الله تعالى ، وإن لم يتمها ضربا بها وجهه »[(٤)] .

وروى البيهقى بسنده[(٥)] عن عبادة بن الصامت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من توضأ فأحسن الوضوء ثم قام إلى الصلاة فأتم ركوعها وسجودها والقراءة فيها قالت الصلاة حفظك الله كما حفظتنى ثم صعد بها

---

(١) رواه أحمد والحاكم وصحح إسناده من حديث أبى قتادة قاله العراقى وكذا رواه أحمد والطبرانى وابن خزيمة فى صحيحه بلفظ : أسوأ الناس الخ أفاده المنذرى .

(٢) باسناد صحيح قال العراقى (٣) متفق عليه من حديث أنس

(٤) رواه الدارقطنى فى الأفراد وهو ضعيف اه من الجامع الصغير للسيوطى وقال المنذرى رواه الأصبهانى وهو ضعيف .

(٥) رواه الطيالسى والبيهقى فى الشعب من حديث عبادة بسند ضعيف قاله العراقى (قلت) جاء ضعفه من الأحوص بن حكيم .

إلى السماء ولها ضوء ونور ففتحت لها أبواب السماء حتى ينتهى بها إلى الله تعالى فتشفع لصاحبها ، وإذا لم يتم ركوعها ولا سجودها ولا القراءة فيها إلا قالت الصلاة ضيعك الله كما ضيعتنى ، ثم صعد بها إلى السماء وعليها ظلمة فأغلقت دونها أبواب السماء ثم تلف كما يلف الثوب الخلق فيضرب بها وجه صاحبها .

وعن سلمان[1] الفارسى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الصلاة مكيال فمن وفى وفى له ، ومن طفف فقد علمتم ما قال الله فى المطففين ، قال الله تعالى : (وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ) والمطفف هو المنقص للكيل أو الوزن أو الذرع أو الصلاة وعدهم الله بويل وهو واد فى جهنم تستغيث جهنم من حره نعوذ بالله منه .

وعن ابن عباس[2] رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إذا سجد أحدكم فليضع وجهه وأنفه ويديه على الأرض فإن الله تعالى أوحى إلى أن أسجد على سبعة أعضاء الجبهة والأنف والكفين والركبتين : وصدور القدمين وأن لا أكف شعراً ولا ثوباً فمن صلى ولم يعط كل عضو منها حقه لعنه ذلك العضو حتى يفرغ من صلاته » .

وروى البخارى عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه أنه رأى رجلا ولا يتم ركوع الصلاة ولا سجودها ، فقال له حذيفة : ما صليت ولو مت وأنت تصلى هذه الصلاة مت على غير فطرة محمد صلى الله عايه وسلم .

---

(١) فى المسند عن سالم بن أبى الجعد عن سالم قاله ابن القيم فى رسالته فى الصلاة (قلت) فيه انقطاع بين سالم وسلمان .

(٢) حديث ابن عباس أمر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أن يسجد على سبعة أعضاء إلخ متفق عليه وروى إسماعيل بن عبد الله المعروف بسمويه فى فوائده عن عكرمة عن ابن عباس إذا سجد أحدكم فليضع أنفه على الأرض فإنكم قد أمرتم بذلك اهـ من نيل الأوطار .

وفي رواية أبي داود أنه قال : منذ كم تصلي هذه الصلاة ؟ قال : منذ أربعين سنة ، قال : ما صليت منذ أربعين سنة شيئاً ولو مت مت على غير فطرة محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

وكان الحسن البصري يقول : يا ابن آدم ، أي شيء يعز من دينك إذا هانت عليك صلاتك وأنت أول ما تسأل عنها يوم القيامة ؟ كما تقدم من قول النبي صلى الله عليه وسلم : « أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته ، فإن صلحت فقد أفلح وأنجح ، وإن فسدت فقد خاب وخسر فإن انتقص من الفريضة شيء يقول الله تعالى : انظروا هل لعبدي من تطوع فيكمل به ما انتقص من الفريضة ثم يكون سائر عمله كذلك »[1] .

فينبغي للعبد أن يستكثر من النوافل حتى يكمل به من انتقص من فرائضه ، وبالله التوفيق .

فصل : في عقوبة تارك الصلاة في جماعة مع القدرة

قال الله تعالى : (يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ) وذلك يوم القيامة يغشاهم ذل الندامة وقد كانوا في الدنيا يدعون إلى السجود .

قال إبراهيم التيمي : يعني إلى الصلاة المكتوبة بالأذان والإقامة ، وقال سعيد بن المسيب : كانوا يسمعون « حي على الصلاة حي على الفلاح » فلا يجيبون وهم أصحاء سالمون .

وقال كعب الأحبار : والله ما نزلت هذه الآية إلا في الذين تخلفوا عن الجماعة فأي وعيد أشد وأبلغ من هذا لمن ترك الصلاة في الجماعة مع القدرة على إتيانها .

وأما من السنة فما ثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لقد هممت أن آمر بالصلاة فتقام ثم آمر رجلا فيؤم الناس ثم أنطلق معي برجال معهم

(١) رواه الترمذي وغيره وقال حسن غريب اهـ منذري

حزم من حطب إلى قوم لا يشهدون الصلاة فى الجماعة فأحرق عليهم بيوتهم بالنار ، ولا يتوعد بحرق بيوتهم عليهم بالنار إلا على ترك واجب مع ما فى البيوت من الذرية والمتاع .

وفى صحيح مسلم أن رجلا أعمى أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ليس لى قائد يقودنى إلى المسجد وسأل النبى صلى الله عليه وسلم أن يرخص له أن يصلى فى بيته فرخص له ، فلما ولى دعاه فقال : «هل تسمع النداء بالصلاة ؟ قال : نعم ، قال : فأجب » ورواه أبو داود عن عمر بن أم مكتوم أنه أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله إن المدينة كثيرة الهوام والسباع وأنا ضرير البصر شاسع الدار أى بعيد الدار ولى قائد لا يلائمنى فهل لى رخصة أن أصلى فى بيتى ؟ فقال : « هل تسمع النداء ؟ » قال : نعم ، قال : « فأجب فإنى لا أجد لك رخصة » .

فهذا رجل ضرير البصر شكى ما يجد من المشقة فى مجيئه إلى المسجد وليس له قائد يقوده إلى المسجد ، ومع هذا لم يرخص له النبى صلى الله عليه وسلم فى الصلاة فى بيته فكيف بمن يكون صحيح البصر سليما لا عذر له ، ولهذا لما سئل ابن عباس رضى الله عنهما عن رجل يصوم النهار ويقوم الليل ولا يصلى فى جماعة ولا يجمع فقال : إن مات على هذا فهو فى النار(١) .

وقال أبو هريرة رضى الله عنه : لأن تمتلىء أذن ابن آدم رصاصا مذابا خير له من أن يسمع النداء ولا يجيب(٢) .

وروى(٣) عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «من سمع المنادى بالصلاة فلم يمنعه من اتباعه عذر ، قيل : وما العذر يارسول الله ؟ قال : «خوف أو مرض لم تقبل منه الصلاة التى صلى » يعنى فى بيته .

---

(١) رواه الترمذى موقوفا قاله المنذرى (٢) عزاه الشيخ ابن القيم فى كتاب الصلاة له إلى وكيع عن عبد الرحمن بن حصين عن أبى نجيح المكى عنه .

(٣) رواه أبو داود وابن حبان فى صحيحه وابن ماجة قاله المنذرى .

وأخرج الحاكم فى مستدركه عن ابن عباس أيضاً قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ثلاثة لعنهم الله : من تقدم قوما وهم له كارهون وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط ورجل سمع حى على الصلاة حى على الفلاح ثم لم يجب » .

وقال علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه : لا صلاة لجار المسجد إلا فى المسجد ، قيل : ومن جار المسجد ؟ قال من سمع الأذان[١] .

وروى[٢] البخارى فى صحيحه عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : من سره أن يلقى الله غدا مسلما ـ يعنى يوم القيامة ـ فليحافظ على هؤلاء الصلوات الخمس حيث ينادى بهن فإن الله شرع لنبيكم سنن الهدى و إنهن من سنن الهدى ولو أنكم صليتم فى بيوتكم كما يصلى هذا المتخلف فى بيته لتركتم سنة نبيكم ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم ، ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق أو مريض ، ولقد كان الرجل يؤتى به يهادى بين رجلين حتى يقام فى الصف ، يعنى مريضاً لا يمكنه المشى وحده فيتوكأ على رجلين حتى يقام فى الصف أو حتى يجىء إلى المسجد لأجل صلاة الجماعة .

وكان الربيع[٣] بن خيثم قد سقط شقه فى الفالج ، فكان يخرج إلى الصلاة يتوكأ على رجلين فيقال له : يا أبا محمد قد رخص لك أن تصلى فى بيتك أنت معذور فيقول : هو كما تقولون ، ولكن أسمع المؤذن يقول حى على الصلاة حى على الفلاح فمن استطاع أن يجيبه ولو زحفا أو حبوا فليفعل .

---

(١) رواه أحمد فى مسنده عن وكيع عن سفيان عن أبى حيان التيمى عن أبيه عنه كما فى كتاب الصلاة للشيخ ابن القيم .

(٢) عزاه فى الترهيب إلى صحيح مسلم وأبى داود وكذلك عزاه المصنف فى الصغرى والطيبى نقله عنه فى الفتح فمن عزوه للبخارى سبق قلم أو تحريف من النساخ والله أعلم : (٣) مخضرم قال له ابن مسعود لو رآك النبى صلى الله عليه وسلم توفى سنة ٥٦٤ ه خلاصة .

وقال حاتم الأصم فاتتنى مرة صلاة الجماعة فعزانى أبو إسحاق البخارى وحده ولو مات لى ولد لعزانى أكثر من عشرة آلاف إنسان لأن مصيبة الدين عند الناس أهون من مصيبة الدنيا .

وكان بعض السلف يقول ما فاتت أحداً صلاة الجماعة إلا بذنب أصابه ، وقال ابن عمر خرج عمر يوماً إلى حائط له فرجع وقد صلى الناس العصر فقال عمر : إنا لله و إنا إليه راجعون فاتتنى صلاة العصر فى الجماعة أشهدكم أن حائطى على المساكين صدقة ليكون كفارة لما صنع عمر رضى الله عنه ، والحائط البستان فيه النخل .

فصـــل

ويكون اعتناؤه بحضور صلاة العشاء والفجر أشد فإن النبى صلى الله عليه وسلم قال : إن هاتين الصلاتين أثقل الصلوات على المنافقين يعنى العشاء والفجر ولو يعلمون ما فيهما من الأجر لأتوهما ولو حبوا[1] .

وقال ابن عمر كنا إذا تخلف منا إنسان فى صلاة العشاء والصبح فى الجماعة أسأنا به الظن أن يكون قد نافق[2] .

حكاية — عن عبيد الله[3] بن عمر القواريرى رضى الله عنه قال لم تكن تفوتنى صلاة العشاء فى الجماعة قط فنزل بى ليلة ضيف فشغلت بسببه وفاتتنى صلاة العشاء فى الجماعة فخرجت أطلب الصلاة فى مساجد البصرة فوجدت الناس كلهم قد صلوا وغلقت المساجد فرجعت إلى بيتى وقلت قد ورد فى الحديث أن صلاة الجماعة تزيد على صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة فصليت العشاء سبعاً وعشرين مرة ثم نمت فرأيت فى المنام كأنى مع قوم على خيـــل وأنا أيضاً على فرس

(١) رواه البخارى ومسلم من حديث أبى هريرة قاله المنذرى .

(٢) رواه البزار والطبرانى وابن خزيمة فى صحيحه قاله المنذرى

(٣) شيخ البخارى ومسلم وأبى داود مات سنة ٢٣٥ هـ اهـ خلاصة .

ونحن نستبق وأنا أركض فرسى فلا ألحقهم فالتفت إلى أحدهم فقال لى لا تتعب فرسك فلست تلحقنا قلت ولم قال لأنا صلينا العشاء فى جماعة وأنت صليت وحدك فانتبهت وأنا مغموم حزين لذلك فنسأل الله المعونة والتوفيق إنه جواد كريم .

الكبيرة الخامسة : منع الزكاة

قال الله تعالى : (لَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) ، وقال تعالى : (وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ) ؛ فسماهم المشركين ،وقال تعالى : (وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ) .

وثبت[1] عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدى منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فأحمى عليها فى نار جهنم فيكوى بها جبينه وجنبيه وظهره كلما بردت أعيدت له فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى الله بين الناس فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار قيل يا رسول الله فالإبل قال « ولا صاحب إبل لا يؤدى منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع[2] قرقر أوفر ما كانت لا يفقد منها فصيلا واحداً تطؤه بأخفافها وتعضه بأفواهها كلما مر عليه أولها رد عليه آخرها فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى الله بين الناس فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار

(١) رواه البخارى ومسلم بهذا اللفظ والنسائى مختصرا اه منذرى

(٢) هو المستوى من الأرض الأملس .

قيل يا رسول الله فالبقر والغنم قال ولا صاحب بقر ولا غنم لا يؤدّى منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر ليس فيها عقصاء[١] ولا جلحاء ولا عضباء تنطحه بقرونها وتطؤه بأظلافها[٢] كلما مر عليه أولاها ردّ عليه أخراها فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى الله بين الناس فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار .

وقال[٣] صلى الله عليه وسلم أول ثلاثة يدخلون النار : أمير مسلط ، وذو ثروة من مال لا يؤدى حق الله تعالى من ماله وفقير فخور .

وعن ابن[٤] عباس رضى الله عنهما قال : من كان له مال يبلغه حج بيت الله تعالى ولم يحج أو تجب فيه الزكاة ولم يزك سأل الرجعة عند الموت فقال له رجل اتق الله يا ابن عباس فإنما يسأل الرجعة الكفار فقال ابن عباس سأتلو عليك بذلك قرآناً قال الله تعالى : (وَأَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ) أى أؤدى الزكاة (وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ) أى أحج قيل له فما يوجب الزكاة قال إذا بلغ المال مائتى درهم وجبت فيه الزكاة قيل فما يوجب الحج قال الزاد والراحلة .

ولا تجب الزكاة فى الحلى المباح إذا كان معداً للاستعمال فإن كان معداً للقنية أو الكراء وجبت فيه الزكاة .

وتجب فى قيمة عروض التجارة ، وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من آتاه الله مالاً فلم يؤدّ زكاته مثل له يوم القيامة

(١) العقصاء: الملتوية القرن والجلحاء :التى ليس لها قرن والعضباء : المكسورة القرن

(٢) الأظلاف للبقر والغنم كالحافر للفرس .

(٣) رواه ابن خزيمة وابن حبان فى صحيحيهما وفى حديث أبى هريرة اه منذرى

(٤) عزاه ابن كثير فى تفسير إلى الترمذى يسنده إلى الضحاك بن مزاحم عن ابن ابن عباس رواه مرفوعا ثم قال وهو عن ابن عباس من قوله أصح قال ابن كثير ورواية الضحاك عن ابن عباس فيها انقطاع اه .

شجاعاً أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة فيأخذ بلهزمته (أى بشدقيه) فيقول أنا مالك أنا كنزك ثم تلا هذه الآية : (وَلاَ يَحْسَبَنَّ الذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيراً لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلوا بهِ يَوْمَ القِيَامَةِ) أخرجه البخارى .

وعن ابن[1] مسعود رضى الله عنه فى قوله تعالى فى مانعى الزكاة : (يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ) قال: لا يوضع دينار على دينار ولا درهم على درهم ولكن يوسع جلده حتى يوضع كل دينار ودرهم على حدته .

فإن قيل لم خص الجباه والجنوب والظهور بالكى قيل لأن الغنى البخيل إذا رأى الفقير عبس وجهه وزوى ما بين عينيه وأعرض بجنبه فإذا قرب منه ولى بظهره فعوقب بكيّ هذه الأعضاء ليكون الجزاء من جنس العمل .

وقال[2] صلى الله عليه وسلم : « خمس بخمس » قالوا يا رسول الله وما خمس بخمس قال : « ما نقض قوم العهد إلا سلط الله عليهم عدوّهم ، وما حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الفقر ، وما ظهرت فيهم الفاحشة إلا فشا فيهم الموت[3] ولا طففوا المكيال والميزان إلا منعوا النبات وأخذوا بالسنين ، ولا منعوا الزكاة إلا حبس عنهم القطر » .

موعظة — قل للذين شغلهم فى الدنيا غرورهم ، إنما فى غد ثبورهم ، ما نفعهم ما جمعوا إذا جاء محذورهم ، يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ، فكيف غابت عن قلوبهم وعقولهم ، يوم

---

(١) رواه الطبرانى فى الكبير بإسناد صحيح اه منذرى .

(٢) ذكره بنحو هذا المنذرى وقال رواه الطبرانى من حديث ابن عباس وسنده قريب من الحسن وله شواهد اه

(٣) فى نسخة : الجنون .

يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ، أخذ المال إلى دار ضرب العقاب ، فجعل فى بودقة[١] ليحمى ليقوى العذاب ، فصفح صفائح كى يعم الكىّ الإهاب ، ثم جىء بمن عن الهدى قد غاب ، يسعى إلى مكان لا مع قوم يسعى نورهم ، يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ، إذا لقيهم الفقير لقى الأذى ، فإن طلب منهم شيئاً طار[٢] منهم لهب الغضب كالجذا[٣] ، فإن لطفوا به قالوا أعنتكم ذا ، وسؤال هذا لذا[٤] ، ولو شاء ربك لأغنى المحتاج وأعوز ذا ، ونسوا حكمة الخالق فى غنى ذا وفقر ذا ، وأعجبا كم يلقاهم من غم إذا ضمتهم قبورهم ، يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ، سيأخذها الوارث منهم من غير تعب ، ويسأل عنها الجامع من أين اكتسب ما اكتسب ، إلا الشوك له وللوارث الرطب ، أين حرص الجامعين أين عقولهم ، يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكون بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ، لو رأيتهم فى طبقات النار يتقلبون على جمرات الدرهم والدينار ، وقد غلت اليمين مع اليسار ، لما[٥] بخلوا مع الإيسار ، لو رأيتهم فى الجحيم يسقون من الحميم ، وقد ضج صَبورهم ، يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ، كم كانوا يوعظون فى الدنيا وما فيهم من يسمع ، كم خوفوا من عقاب الله وما فيهم من يفزع ، كم أنبؤا بمنع الزكاة وما فيهم من يدفع ، فكأنهم بالأموال وقد انقلبت شجاعا أقرع ، فما هى عصى موسى ولا طورهم ، يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم .

---

(١) البودقة أو البوتقة هو مايصهر فيه الفلزات كالحديد والذهب والفضة .
(٢) وفى نسخة : ثار . (٣) الجذوة الجمرة الملتهبة بضم الجيم وتفتح جمعها جذى مثل مدى وتكسر فى الجمع مثل جذية وجذة اهـ مصباح .
(٤) وفى نسخة : لهذا (٥) وفى نسخة : مما .

حكاية — روى عن محمد بن يوسف[1] الفريابى قال خرجت أنا وجماعة من أصحابى[2] فى زيارة أبى سنان رحمه الله فلما دخلنا عليه وجلسنا عنده قال قوموا بنا نزور جاراً لنا مات أخوه ونعزيه فيه فقمنا معه ودخلنا على ذلك الرجل فوجدناه كثير البكاء والجزع على أخيه فجلسنا نسليه ونعزيه وهو لا يقبل تسلية ولا تعزية فقلنا أما تعلم أن الموت سبيل لا بدّ منه قال بلى ولكن أبكى على ما أصبح وأمسى فيه أخى من العذاب ؛ فقلنا له هل أطلعك الله على الغيب . قال لا ولكن لما دفنته وسويت عليه التراب وانصرف الناس جلست عند قبره إذا صوت من قبره يقول آه أقعدونى وحيداً أقاسى العذاب قد كنت أصلى قد كنت أصوم قال فأبكانى كلامه فنبشت عنه التراب لأنظر حاله ، وإذا القبر يشتعل عليه ناراً وفى عنقه طوق من نار فحملتنى شفقة الأخوة ومددت يدى لأرفع الطوق عن رقبته فاحترقت أصابعى ويدى ثم أخرج إلينا يده فإذا هى سوداء محترقة قال فرددت عليه التراب وانصرفت فكيف لا أبكى على حاله وأحزن عليه فقلنا فما كان أخوك يعمل فى الدنيا قال كان لا يؤدّى الزكاة من ماله قال فقلنا هذا تصديق قوله تعالى : (وَلاَ يَحْسَبَنَّ الذينَ يَبْخَلون بِمَا آتَاهُمْ اللهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْراً لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ القِيَامَةَ) ، وأخوك عجل له العذاب فى قبره إلى يوم القيامة قال ثم خرجنا من عنده وأتينا أبا ذر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكرنا له قصة الرجل وقلنا له يموت اليهودى والنصرانى ولا نرى فيهم

---

(١) هو صاحب الثورى وشيخ أحمد وإسحاق والبخارى ولد سنة ١٢٠ هـ وتوفى سنة ٢١٢ هـ (٢) مما يدل على التخليط والاختلاف فى هذه الحكاية ما ذكر فى آخرها أنهم أتوا أباذر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكروا له القصة وقد توفى أبو ذر قبل ولادة محمد بن يوسف الفريابى بأكبر من ثمانين سنة فكيف يلتقيان .

ذلك فقال : أولئك لا شك أنهم فى النار ، وإنما يريكم الله فى أهل الإيمان لتعتبروا قال الله تعالى : (فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَما رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ) فنسأل الله العفو والعافية إنه جواد كريم .

الكبيرة السادسة

إفطار يوم من رمضان بلا عذر ، قال الله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ . أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ) .

وثبت فى الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « بنى الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة وحج البيت ، وصوم رمضان .

وقال عليه الصلاة والسلام [١] : « من أفطر يوما من رمضان بلا عذر لم يقضه صيام الدهر ، وإن صامه » .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما : « عرى الإسلام وقواعد الدين ثلاث : شهادة أن لا إله إلا الله ، والصلاة ، وصوم رمضان » فمن ترك واحدة منهن فهو كافر نعوذ بالله من ذلك .

الكبيرة السابعة

فى ترك الحج مع القدرة عليه ، قال الله تعالى : (وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ

---

(١) رواه الترمذى والنسائى وابن ماجه وابن خزيمة فى صحيحه كلهم من رواية المطوس وقيل أبى المطوس عن أبيه عن أبى هريرة وذكره البخارى تعليقا غير مجزوم فقال ويذكر عن أبى هريرة رفعه إلخ قاله البخارى لا أدرى سمع أبوه من أبى هريرة أم لا وقال ابن حبان لا يحتج بما انفرد به والله أعلم اه منذرى وقال المصنف فى الصغرى : هذا لم يثبت اه .

مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً) .

وقال[١] النبى عليه الصلاة والسلام : « من ملك زاداً وراحلة تبلغه حج بيت الله الحرام ، ولم يحج ، فلا عليه أن يموت يهوديا أو نصرانيا » وذلك لأن[٢] الله تعالى يقول : (وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً) .

وقال عمر بن الخطاب[٣] رضى الله عنه : لقد هممت أن أبعث رجالا إلى هذه الأمصار ، فينظروا كل من له جدة ولم يحج ، فليضربوا عليهم الجزية ، وما هم بمسلمين .

وعن ابن عباس[٤] رضى الله عنهما قال : ما من أحد لم يحج ولم يؤد زكاة ماله إلا سأل الرجعة عند الموت ، فقيل له : إنما يسأل الرجعة الكفار ، قال : وإن ذلك فى كتاب الله ، قال تعالى : (وَأَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلاَ أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ) أى أؤدى الزكاة (وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ) أى أحج (وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) قيل : فيم تجب الزكاة ؟ قال : بمائتى درهم ، أو قيمتهامن الذهب ، قيل : فما يوجب الحج ؟ قال : الزاد والراحلة . وعن سعيد بن جبير رضى الله عنه قال : مات لى جار موسر لم يحج فلم أصل عليه .

الكبيرة الثامنة : عقوق الوالدين

قال الله تعالى (وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا)

---

(١) رواه الترمذى والبيهقى من رواية الحارث – أى الأعور – عن على وقال غريب لانعرفه إلا منهذا الوجه وله شاهد عند البيهقى من حديث أبى أمامةاهمنذرى

(٢) وفى نسخة : بأن ، وفى نسخة : أن .

(٣) رواه سعيد بن منصور فى سننه عن الحسن البصرى قال : قال عمر فذكره قاله ابن كثير فى تفسيره .

(٤) تقدم فى منع الزكاة .

أى برًّا بهما وشفقة وعطفا عليهما (إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا) أى لا تقل لهما بتبرم إذا كبرا وأسنا ، وينبغى أن تتولى من خدمتهما ما توليا من خدمتك ، على أن الفضل المتقدم ، وكيف يقع التساوى وقد كانا يحملان أذاك راجين حياتك ، وأنت إن حملت أذاهما رجوت موتهما ؟ !

ثم قال تعالى : (وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا) أى لينا لطيفا (وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا) وقال تعالى : (أَنِ اشْكُرْ لِى وَلِوَالِدَيْكَ إِلَىَّ الْمَصِيرُ) .

فانظر رحمك الله كيف قرن شكرهما بشكره قال ابن عباس رضى الله عنهما : ثلاث آيات نزلت مقرونة بثلاث لا تقبل منها واحدة بغير قرينتها ؛ إحداها : قوله تعالى (أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ) فمن أطاع الله ولم يطع الرسول لم يقبل منه ؛ الثانية : قوله تعالى (وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ) فمن صلى ولم يزك لم يقبل منه ؛ الثالثة : قوله تعالى (أَنِ اشْكُرْ لِى وَلِوَالِدَيْكَ) فمن شكر الله ولم يشكر لوالديه لم يقبل منه ، ولذا قال[1] النبى عليه الصلاة والسلام : « رضى الله فى رضى الوالدين ، وسخط الله فى سخط الوالدين » .

وعن ابن عمرو رضى الله عنهما ، قال : جاء رجل يستأذن النبى عليه الصلاة والسلام فى الجهاد معه ، فقال [له] النبى صلى الله عليه وسلم : « أحىّ والداك ؟ » قال : نعم ، قال : « ففيهما فجاهد » مخرج[2] فى الصحيحين ، فانظر كيف فضل بر الوالدين وخدمتهما على الجهاد .

---

(١) رواه الترمذى من حديث عبد الله بن عمرو ورجح وقفه عليه وابن حبان والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم وله شاهد عن أبى هريرة عند الطبرانى بلفظ طاعة الله إلخ منذرى (٢) وكذا رواه أبو داود والترمذى والنسائى كلهم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص اهـ منذرى .

وفى الصحيحين[١] أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ، الإشراك بالله وعقوق الوالدين»[٢] ، فانظر كيف قرن الإساءة إليهما ، وعدم البر والإحسان بالإشراك .

وفى الصحيحين أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يدخل الجنة عاق ، ولا منان ، ولا مدمن خمر » . وعنه صلى الله عليه وسلم قال[٣]: « لو علم الله شيئا أدنى من الأفّ لنهى عنه ، فليعمل العاق ما شاء أن يعمل فلن يدخل الجنة ، وليعمل البار ما شاء أن يعمل فلن يدخل النار » . وقال صلى الله عليه وسلم : « لعن الله العاق لوالديه » . وقال[٤] صلى الله عليه وسلم : لعن الله من سب أباه ، لعن الله من سب أمه » . وقال[٥] صلى الله عليه وسلم : « كل الذنوب يؤخر الله منها ما شاء الله إلى يوم القيامة إلا عقوق الوالدين ، فإنه يعمل لصاحبه ، يعنى العقوبة فى الدنيا قبل يوم القيامة .

وقال كعب الأحبار رحمه الله : إن الله ليعجل هلاك العبد إذا كان عاقاً لوالديه ليعجل له العذاب ، و إن الله ليزيد فى عمر العبد إذا كان بارًّا بوالديه ليزيده برا وخيرا ، ومن برهما أن ينفق عليهما إذا احتاجا[٦] فقد جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، إن أبى يريد أن يجتاح مالى ، فقال صلى الله عليه وسلم : « أنت ومالك لأبيك » .

---

(١) وكذا رواه الترمذى ثلاثتهم من حديث أبى بكرة اه منه

(٢) تمامه : وكان متكئا فجلس فقال « ألا وقول الزور وشهادة الزور » فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت (٣) رواه الديلمى من حديث أحرم بن حوشب بسنده إلى الحسين بن على وأحرم كذاب قاله فى ذيل اللآلىء للسيوطى .

(٤) رواه ابن حبان فى صحيحه من حديث ابن عباس اه منذرى .

(٥) رواه الحاكم من حديث أبى بكرة وقال صحيح الإسناد اه منذرى .

(٦) رواه ابن ماجه من حديث يوسف بن إسحاق عن محمد بن المنكدر عن جابر أن رجلا جاء إلى النبى صلى الله عليه وسلم فذكره وكذا أخرجه من هذا الوجه الطحاوى وبقى بن مخلد والطبرانى فى الأوسط وله طرق أخرى عدها السخاوى فى المقاصد الحسنة

وسئل كعب الأحبار عن عقوق الوالدين ما هو ؟ قال : هو إذا أقسم عليه أبوه أو أمه لم يبر قسمهما ، و إذا أمراه بأمر لم يطع أمرهما ، و إذا سألاه شيئا لم يعطهما ، و إذا ائتمناه خانهما .

وسئل ابن عباس(١) رضى الله عنهما عن أصحاب الأعراف : من هم ؟ وما الأعراف ؟ فقال : أما الأعراف فهو جبل بين الجنة والنار ، و إنما سمى الأعراف لأنه مشرف على الجنة والنار ، وعليه أشجار وثمار ، وأنهار وعيون ، وأما الرجال الذين يكونون عليه فهم رجال خرجوا إلى الجهاد بغير رضا آبائهم وأمهاتهم ، فقتلوا فى الجهاد ، فمنعهم القتل فى سبيل الله من دخول النار ، ومنعهم عقوق الوالدين عن دخول الجنة ، فهم على الأعراف حتى يقضى الله فيهم بأمره .

وفى الصحيحين(٢) : « أن رجلا جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، مَن أحق الناس منى بحسن الصحبة ؟ قال : أمك ، قال : ثم من ؟ قال : أمك ، قال : ثم من ؟ قال : أمك ، قال : ثم من ؟ قال : أبوك ، ثم الأقرب فالأقرب ؛ فحض على برّ الأم ثلاث مرات ، وعلى برّ الأب مرة واحدة ، وما ذاك إلا لأن عناءها أكثر ، وشفقتها أعظم ، مع ما تقاسيه من حمل ، وطلق ، وولادة ، ورضاعة ، وسهر ليل .

رأى ابن عمر رضى الله عنهما رجلا قد حمل أمه على رقبته ، وهو يطوف بها حول الكعبة ، فقال . يا ابن عمر ، أترانى جازيتها ؟ قال : ولا بطلقة واحدة من طلقاتها ، ولكن قد أحسنت ، والله يثيبك على القليل كثيراً .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه(٣) قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

---

(١) رواه سعيد بن منصور عن أبى معشر عن يحيى بن شبل عن يحيى بن عبدالرحمن المدنى عن أبيه عن النبى صلى الله عليه وسلم وكذا رواه ابن مردويه وابن جرير وابن أبى حاتم من طرق عن أبى معشر به وروى مرفوعا عند ابن ماجه فى حديث ابن عباس وجابر وتوقف ابن كثير فى صحة المرفوع وقال وقصاراها أن تكون موقوفة اه

(٢) وفى نسخة : وفى الصحيح . (٣) رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد . (قال الحافظ) ـ المنذرى ـ فيه إبراهيم بن خثيم بن عراك وهو متروك اه ترهيب .

«أربعة نفر حق على الله أن لا يدخلهم الجنة ولا يذيقهم نعيمها : مدمن خمر ، وآكل الربا ، وآكل مال اليتيم ظلما ، والعاق لوالديه ، إلا أن يتوبوا » وقال[(١)] صلى الله عليه وسلم : « الجنة تحت أقدام الأمهات » . وجاء رجل[(٢)] إلى أبى الدرداء رضى الله عنه ، فقال : يا أبا الدرداء إنى تزوجت امرأة وإن أمى تأمرنى بطلاقها فقال أبو الدرداء : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « الوالد أوسط أبواب الجنة ، فإن شئت فأضع ذلك الباب أو احفظه » . وقال[(٣)] صلى الله عليه وسلم : « ثلاث دعوات مستجابات ، لا شك فيهن : دعوة المظلوم ، ودعوة المسافر ودعوة الوالد على ولده » . وقال[(٤)] صلى الله عليه وسلم : « الخالة بمنزلة الأم ، أى فى البر والإكرام ، والصلة والإحسان » . وعن وهب بن منبه قال : إن الله تعالى أوحى إلى موسى صلوات الله وسلامه عليه : يا موسى وقر والديك ، فإن من وقر والديه مددت فى عمره ووهبت له ولداً يوقره ، ومن عقّ والديه قصرت فى عمره ووهبت له ولداً يعقه .

وقال أبو بكر بن أبى مريم : قرأت فى التوراة أن من يضرب أباه يقتل . وقال وهب : قرأت فى التوراة : على من صك أباه الرجم .

وعن عمرو بن مرة الجهنى[(٥)] قال : جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، أرأيت إذا صليت الخمس ، وصمت رمضان ، وأديت الزكاة ، وحججت البيت ، فماذا لى ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

---

(١) روى نحوه ابن ماجه والنسائى والحاكم من حديث جاهمه بلفظ « هل لك أم قال نعم قال فالزمها فان الجنة تحت رجلها » اه منذرى .

(٢) رواه ابن ماجه والترمذى وقال صحيح وابن حبان نحوه وله شاهد عن ابن عمر رواه د ، ت ، و ، ى ، ه ، حب وقال ب حسن صحيح اه منذرى .

(٣) قال المنذرى وفى رواية حسنة للترمذى فذكره كما هنا عن أبى هريرة ثم قال وروى أبو داود هذه بتقديم وتأخير وله شاهد من حديث عقبة بن عامر عند الطبرانى باسناد صحيح اه ترغيب ملخصا (٤) صححه الترمذى قاله المصنف فى رسالته الصغرى

(٥) رواه أحمد والطبرانى باسنادين أحدهما صحيح ورواه ابن خزيمة وابن حبان فى صحيحهما باختصار اه منه .

« من فعل ذلك كان مع النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين ، إلا أن يعق والديه » . وقال صلى الله عليه وسلم : « لعن الله العاقّ لوالديه »(١) .

وجاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « رأيت ليلة أسرى بى أقواما فى النار معلقين فى جذوع من نار ، فقلت : يا جبريل من هؤلاء ؟ قال : الذين يشتمون آباءهم وأمهاتهم فى الدنيا » .

وروى : أنه من شتم والديه ينزل عليه فى قبره جمر من نار بعدد كل قطر ينزل من السماء إلى الأرض .

ويروى : أنه إذا دفن عاق والديه عصره القبر حتى تختلف فيه أضلاعه ، وأشد الناس عذابا يوم القيامة ثلاثة : المشرك والزانى والعاق لوالديه .

وقال بشر : ما من رجل يقرب من أمّه حيث يسمع كلامها إلا كان أفضل من الذى يضرب بسيفه فى سبيل الله ، والنظر إليها أفضل من كل شىء . وجاء رجل وامرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يختصمان فى صبى لهما ، فقال الرجل : يا رسول الله ، ولدى خرج من صلبى ، وقالت المرأة : يا رسول الله ، حمله خفا ، ووضعه شهوة ، وحملته كرها ووضعته كرها ، وأرضعته حولين كاملين ، فقضى به رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمه(٢) .

موعظة — أيها المضيع لآكد الحقوق ، المعتاض من أكبر العقوق ، الناسى لما يجب عليه ، الغافل عما بين يديه ، بر الوالدين عليك دين ، وأنت تتعاطاه باتباع الشين ، تطلب الجنة بزعمك ، وهى تحت أقدام أمك ، حملتك فى بطنها تسعة أشهر كأنها تسع حجج ، وكابدت عند الوضع ما يذيب المهج ، وأرضعتك من ثديها لبنا ، وأطارت لأجلك وسنا ، وغسلت بيمينها عنك الأذى ، وآثرتك على نفسها بالغذا ، وصيرت حجرها لك مهدا ، وأنالتك إحسانا ورفدا ، فإن أصابك مرض

---

(١) قال المصنف فى الصغرى : إسناده حسن (٢) روى أحمد وأبو داود من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده نحو هذا الحديث .

أو شكاية ، ظهرت من الأسف فوق النهاية ، وأطالت الحزن والنحيب ؛ و بذلت مالها للطبيب ، ولو خيرت بين حياتك وموتها ، لطلبت حياتك بأعلى صوتها ، هذا وكم عاملتها بسوء الخلق مراراً ، فدعت لك بالتوفيق سراً وجهاراً ، فلما احتاجت عند الكبر إليك ، جعلتها من أهون الأشياء عليك ، فشبعت وهى جائعة ، ورويت وهى ظامئة ، وقدّمت عليها أهلك وأولادك بالإحسان ، وقابلت أياديها بالنسيان ، وصعب لديك أمرها وهو يسير ، وطال عليك عمرها وهو قصير ، وهجرتها ومالها سواك نصير ، هذا ومولاك قد نهاك عن التأليف ، وعاتبك فى حقها بعتاب لطيف ، ستعاقب فى دنياك بعقوق البنين ، وفى أخراك بالبعد من رب العالمين ، يناديك بلسان التوبيخ والتهديد (ذلك بما قدّمت يداك وأنّ الله ليس بظلام للعبيد) .

لأمك حق لو علمت كثير ... كثيرك يا هذا لديه يسير

فكم ليلة باتت بثقلك تشتكى ... لها من جواها أنة وزفير

وفى الوضع لو تدرى عليها مشقة ... فمن غصص منها الفؤاد يطير

وكم غسلت عنك الأذى بيمينها ... وما حجرها إلا لديك سرير

وتفيدك مما تشتكيه بنفسها ... ومن ثديها شرب لديك نمير

وكم مرّة جاعت وأعطتك قوتها ... حنانا و إشفاقا وأنت صغير

فآها لذى عقل ويتبع الهوى ... وآها لأعمى القلب وهو بصير

فدونك فارغب فى عميم دعائها ... فأنت لما تدعو إليه فقير

حكى[1] أنه كان فى زمن النبي صلى الله عليه وسلم شاب يسمى علقمة ،

(١) فى الترغيب والترهيب : روى عن عبد الله بن أبي أوفى قال كنا عندالنبي صلى الله عليه وسلم فأتاه آت فقال شاب يجود بنفسه ـ فذكر قصة نحو هذه القصة التى هنا ثم قال رواه الطبرانى وأحمد مختصراً اه وذكرها ابن الجوزى فى الموضوعات بدون تسمية الشاب ثم لا يصح فائد ـ أى ابن عبد الرحمن العطار ـ متروك قال العقيلى =

وكان كثير الاجتهاد فى طاعة الله فى الصلاة والصوم والصدقة ، فمرض واشتدّ مرضه فأرسلت امرأته إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إنّ زوجى علقمة فى النزع فأردت أن أعلمك يا رسول الله بحاله ، فأرسل النبى صلى الله وسلم عمّاراً وصهيبا و بلالا ، وقال امضوا إليه ولقنوه الشهادة ، فمضوا إليه ودخلوا عليه فوجدوه فى النزع فجعلوا يلقنونه (لا إله إلا الله) ولسانه لا ينطق بها ، فأرسلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبرونه أنه لا ينطق لسانه بالشهادة ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « هل من أبويه أحد حى ؟ » قيل : يا رسول الله أمّ كبيرة السن ، فأرسل إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال للرسول : « قل لها : إن قدرت على المسير إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم و إلا فقرّى فى المنزل حتى يأتيك » قال : فجاء إليهـا الرسول فأخبرها بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت : نفسى لنفسه الفداء أنا أحق بإتيانه ، فتوكأت وقامت على عصى وأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلمت فردّ عليها السلام وقال لها : « يا أم علقمة أصديقينى و إن كذبتنى جاء الوحى من الله تعالى ؛ كيف كان حال ولدك علقمة ؟ قالت : يا رسول الله كثير الصلاة كثير الصيام كثير الصدقة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «فما حالك؟» قالت : يا رسول الله أنا عليه ساخطة ، قال : « ولم ؟ » قالت : يا رسول الله يؤثر علىّ زوجته ويعصينى، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنّ سخط أمّ علقمة حجب لسان علقمة عن الشهادة » ثم قال : « يا بلال انطلق واجمع لى حطباً كثيراً » قالت : يا رسول الله وما تصنع به ؟ قال : « أحرقه بالنار بين يديك » قالت : يا رسول الله ولدى لا يحتمل قلبى أن تحرقه بالنـار بين يدى ، قال : « يا أمّ علقمة عذاب الله أشدّ وأبقى فإن سرك أن يغفر الله له فارضى عنه ، فوالذى نفسى بيده لا ينتفع علقمة

= لا يتابع عليه وداود ـ يعنى ابن إبراهيم قاضى قزوين ـ كذاب اهـ ونازعه السيوطى أن داود لم ينفرد به ثم ساقه إلى الخرائطى فى مساوى الأخلاق والبيهقى فى شعب الإيمان والطبرانى كلاهما من طريق فائد بن عبدالرحمن العطار عن عبدالله ابن أبى أوفى نحوه .

بصلاته ولا بصيامه ولا بصدقته ما دمت عليه ساخطة » فقالت : يا رسول الله إنى أشهد الله تعالى وملائكته ومن حضرنى من المسلمين أنى قد رضيت عن ولدى علقمة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « انطلق يا بلال إليه فانظر هل يستطيع أن يقول لا إله إلا الله أم لا ؟ فلعل أم علقمة تكلمت بما ليس فى قلبها حياء منى » فانطلق بلال فسمع علقمة من داخل الدار يقول (لا إله إلا الله) فدخل بلال فقال يا هؤلاء إنّ سخط أم علقمة حجب لسانه عن الشهادة ، و إن رضاها أطلق لسانه ثم مات علقمة من يومه فحضره رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر بغسله وكفنه ثم صلّى عليه وحضر دفنه ثم قام على شفير قبره وقال : « يامعشر المهاجرين والأنصار من فضل زوجته على أمّه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا إلا أن يتوب إلى الله عز وجل ويحسن إليها ويطلب رضاها فرضى الله فى رضاها وسخط الله فى سخطها ، فنسأل الله أن يوفقنا لرضاه وأن يجنبنا سخطه إنه جواد كريم رءوف رحيم »

الكبيرة التاسعة : هجر الأقارب

قال الله تعالى : (وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ) أى : واتقوا الأرحام أن تقطعوها ، وقال تعالى : (فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ) وقال تعالى : (وَالَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ) وقال الله تعالى : (يُضِلُّ بِهِ) أى بالقرآن (كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ) أعظم ذلك ما بين العبد و بين الله ما عهده الله على العبيد .

وفى الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يدخل الجنة قاطع رحم » فمن قطع أقاربه الضعفاء وهجرهم وتكبر عليهم ولم يصلهم ببرّه وإحسانه وكان غنيا وهم فقراء فهو داخل فى هذا الوعيد محروم عن دخول الجنة إلا أن يتوب إلى الله عز وجل ويحسن إليهم ، وقد ورد فى الحديث[١] عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من كان له أقارب ضعفاء ولم يحسن إليهم ويصرف صدقته إلى غيرهم لم يقبل الله منه صدقته ولا ينظر إليه يوم القيامة » وإن كان فقيراً وصلهم بزيارتهم والتفقد لأحوالهم لقول النبى صلى الله عليه وسلم : « صلوا أرحامكم ولو بالسلام » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه»[٢] وفى الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ليس الواصل بالمكافى ولكن الواصل الذى من إذا قطعت رحمه وصلها » .

وقال صلى الله عليه وسلم[٣] : « يقول الله تعالى : (أنا الرحمن وهى الرحم فمن وصلها وصلته ومن قطعها بتته) » وعن علىّ بن الحسين رضى الله عنهما أنه قال لولده : يا بنى لا تصحبن قاطع رحم فإنى وجدته ملعوناً فى كتاب الله فى ثلاثة مواضع .

وروى عن أبى هريرة رضى الله عنه[٤] أنه جلس يحدث عن رسول الله

(١) رواه الطبرانى ورواته ثقات من حديث أبى هريرة وفى سنده عبد الله بن عامر الأسلمى قال أبو حاتم ليس بالمتروك اهـ منذرى .

(٢) رواه : خ واللفظ له ، د ، ت اهـ منذرى :

(٣) رواه : د ، ت من رواية أبى سلمة بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه وقال ت حسن صحيح وتعقب المنذرى تصحيحه بأن أبا سلمة لم يسمع من أبيه شيئا .

(٤) عزاه فى الترغيب والترهيب إلى الأصبهانى من رواية عبد الله بن أبى أوفى وأشار إلى ضعفه وعزاه فى الجامع الصغير إلى الأدب المفرد للبخارى من حديث عبد الله بن أبى أوفى وضعفه .

صلى الله عليه وسلم فقال : أحرج على كل قاطع رحم إلا قام من عندنا فلم يقم أحد إلا شاب من أقصى الحلقة فذهب إلى عمته لأنه كان قد صارمها منذ سنين فصالحها فقالت له عمته : ما جاء بك يا ابن أخي ؟ فقال : إني جلست إلى أبي هريرة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أحرج على كل قاطع رحم إلا قام من عندنا ، فقالت : ارجع إلى أبي هريرة واسأله لم ذلك ؟ فرجع إليه وأخبره بما جرى له مع عمته وسأله لم لا يجلس عندك قاطع رحم ؟ فقال أبو هريرة : إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن الرحمة لا تنزل على قوم فيهم قاطع رحم » وحكى أن رجلا من الأغنياء حج إلى بيت الله الحرام ، فلما وصل إلى مكة أودع من ماله ألف دينار عند رجل كان موسوماً بالأمانة والصلاح إلى أن يقف بعرفات ، فلما وقف بعرفات ورجع إلى مكة وجد الرجل قد مات فسأل أهله عن ماله ، فلم يكن لهم به علم ، فأتى علماء مكة فأخبرهم بحاله وماله ، فقالوا له : إذا كان نصف الليل فأت زمزم[1] وانظر فيها وناد يا فلان باسمه فإن كان من أهل الجنة فسيجيبك بأول مرة ، فمضى الرجل ونادى في زمزم فلم يجبه أحد ، فجاء إليهم وأخبرهم فقالوا : (إنا لله وإنا إليه راجعون) نخشى أن يكون صاحبك من أهل النار اذهب إلى أرض اليمن ففيها بئر يسمى برهوت يقال إنه على فم جهنم فانظر فيه بالليل وناد يا فلان فإن كان من أهل النار فسيجيبك منها ، فمضى إلى

(١) قال الإمام ابن القيم في كتابه الروح : وأما من قال إن أرواح المؤمنين تجتمع ببئر زمزم فلا دليل على هذا القول من كتاب ولا من سنة يجب التسليم بها ولا قول صاحب يوثق به وليس بصحيح فان تلك البئر لا تسع أرواح المؤمنين جميعهم وهو مخالف لما ثبتت به السنة الصريحة من أن نسمة المؤمن طائر يعلق في ثمر الجنة وبالجملة فهذا من أبطل الأقوال وأفسدها اه ، وناقش ماقيل إن أرواح المؤمنين بالجابية وأرواح الكفار ببئر برهوت بحضر موت ـ مناقشة طويلة قال في آخرها : ولعله مما تلقاه ـ يعني قائله ـ من أهل الكتاب اه فراجعه في مسألة مستقر الأرواح من كتابه المذكور .

فسيجيبك منها فمضى إلى اليمن وسأل عن البئر فدل عليها فأتاها بالليل ونظر فيها ونادى يا فلان فأجابه فقال : أين ذهبي قال دفنته فى الموضع الفلانى من دارى ولم أئتمن عليه ولدى فأتهم واحفر هناك تجده فقال له ما الذى أنزلك ههنا وكنا نظن بك الخير فقال كانت لى أخت هجرتها وكنت لا أحنو عليها فعاقبنى الله سبحانه بسببها وأنزلنى الله هذه المنزلة .

وتصديق ذلك فى الحديث الصحيح قوله صلى الله عليه وسلم « لا يدخل الجنة قاطع » يعنى قاطع رحم كالأخت والخالة والعمة و بنت الأخت وغيرهم من الأقارب فنسأل الله التوفيق لطاعته إنه جواد كريم .

الكبيرة العاشرة : الزنا

و بعضه أكبر من بعض قال الله تعالى (وَلاَ تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً) .

وقال تعالى (وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلٰهاً آخَرَ وَلاَ يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلاَ يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا إِلاَّ مَنْ تَابَ) .

وقال تعالى (الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلاَ تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) .

قال العلماء : هذا عذاب الزانية والزانى فى الدنيا إذا كانا عزبين غير متزوجين ، فإن كانا متزوجين أو قد تزوجا ، ولو مرة فى العمر ، فإنهما يرجمان بالحجارة إلى أن يموتا ، كذلك ثبت فى السنة عن النبى صلى الله عليه وسلم

فإن لم يستوف القصاص منهما فى الدنيا وماتا من غير توبة فإنهما يعذبان فى النار بسياط من نار .

كما ورد أن فى الزبور مكتوبا : إن الزناة معلقون بفروجهم فى النار يضربون عليها بسياط من حديد ، فإذا استغاث من الضرب نادته الزبانية : أين كان هذا الصوت وأنت تضحك وتفرح وتمرح ولا تراقب الله تعالى ولا تستحى منه .

وثبت[١] عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ، ولا ينتهب نهبة ذات شرف يرفع الناس إليه أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن » وقال صلى الله عليه وسلم : « إذا زنى[٢] العبد خرج منه الإيمان فكان كالظلة على رأسه ثم إذا أقلع رجع إليه الإيمان » .

وقال[٣] صلى الله عليه وسلم : « من زنى أو شرب الخمر نزع منه الإيمان كما يخلع الإنسان القميص من رأسه » وفى الحديث[٤] النبوى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم شيخ زان وملك كذاب وعائل مستكبر » .

وعن ابن مسعود[٥] رضى الله عنه قال : قلت يا رسول الله ، أى الذنب أعظم عند الله تعالى ؟ قال : أن تجعل لله نداً وهو خلقك ، فقلت إن ذلك لعظيم ثم أى ؟ قال : أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك ، قلت : ثم أى ؟ قال

---

(١) رواه خ ، م ، د ، س من حديث أبى هريرة (٢) رواه أبو داود والترمذى والبيهقى من حديث أبى هريرة قاله المنذرى وقال المصنف فى صغراه : هذا على شرط البخارى ومسلم (٣) رواه الحاكم من حديث أبى هريرة . أفاده المنذرى.

(٤) رواه مسلم والنسائى من حديث أبى هريرة . (٥) تقدم تخريجه فى الكبيرة الأولى (الشرك) .

أن تزانى بحليلة جارك ، يعنى زوجة جارك فأنزل الله عز وجل تصديق ذلك (وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلٰهاً آخَرَ وَلاَ يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِى حَرَّمَ اللهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلاَ يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذٰلِكَ يَلْقَ أَثَاماً يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَاناً إِلَّا مَنْ تَابَ) . فانظر رحمك الله كيف قرن الزنا بزوجة الجار بالشرك بالله وقتل النفس التى حرم الله عز وجل إلا بالحق ، وهذا الحديث مخرج فى الصحيحين .

وفى صحيح البخارى فى حديث منام النبى صلى الله عليه وسلم الذى رواه سمرة بن جندب وفيه أنه صلى الله عليه وسلم جاءه جبريل وميكائيل قال : فانطلقنا فأتينا على مثل التنور أعلاه ضيق وأسفله واسع فيه لغط وأصوات ، قال : فاطلعنا فيه فإذا فيه رجال ونساء عراة فإذا هم يأتيهم لهب من أسفل منهم فإذا أتاهم ذلك اللهب ضوضوا — أى صاحوا من شدة حره — فقلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء الزناة والزوانى — يعنى من الرجال والنساء — فهذا عذابهم إلى يوم القيامة[1] نسأل الله العفو والعافية

وعن عطاء[2] فى تفسير قوله تعالى عن جهنم (لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ) أشد تلك الأبواب غما ، وحرا ، وكربا ، وأنتنها ريحا للزناة الذين ركبوا الزنا بعد العلم ، وعن مكحول[3] الدمشقى قال : يجد أهل النار رائحة منتنة فيقولون : ما وجدنا أنتن من هذه الرائحة ، فيقال لهم : هذه ريح فروج الزناة

---

(١) رواه البخارى فى حديث طويل (٢) عطاء إما ابن أبى رباح اليمانى نزيل مكة أحد فقهاء التابعين وأعتهم المتوفى سنة ١١٤ هـ وإما ابن يسار المدنى أحد الأعلام من فقهاء التابعين مات سنة ٩٧ أو ١٠٣هـ .

(٣) ثقة من فقهاء التابعين بالشام روى عنه الأوزاعى وغيره مات سنه ١١٣ هـ

وقال ابن زيد[1] أحد أئمة التفسير : إنه ليؤذى أهل النار ريح فروج الزناة ، وفى العشر الآيات التى كتبها الله لموسى عليه السلام : ولا تسرق ولا تزنى فأحجب عنك وجهى ، فإذا كان الخطاب لنبيه موسى عليه السلام فكيف بغيره .

وجاء عن النبى صلى الله عليه وسلم أنّ إبليس يبث جنوده فى الأرض ويقول لهم أيكم أضل مسلماً ألبسته التاج على رأسه فأعظمهم فتنة أقربهم إليه منزلة فيجىء إليه أحدهم فيقول له : لم أزل بفلان حتى طلق امرأته ، فيقول ما صنعت شيئاً سوف يتزوج غيرها ، ثم يجىء الآخر فيقول : لم أزل بفلان حتى ألقيت بينه وبين أخيه العداوة ، فيقول : ما صنعت شيئا سوف يصالحه ثم يجىء الآخر فيقول : لم أزل بفلان حتى زنى ، فيقول : إبليس نعم ما فعلت فيدنيه منه ويضع التاج على رأسه ، نعوذ بالله [تعالى] من شرور الشيطان وجنوده .

وعن أنس[2] قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الإيمان سربال يسربله الله من يشاء ، فإذا زنى العبد نزع الله منه سربال الايمان فإن تاب رده عليه ، وجاء عن[3] النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : يا معشر المسلمين اتقوا الزنا فإنّ فيه ست خصال ثلاث فى الدنيا وثلاث فى الآخرة فأما التى فى الدنيا : فذهاب بهاء الوجه ، وقصر العمر ، ودوام

(١) هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، جده أسلم مولى أسلم وعبد الرحمن ضعيف فى الحديث من قبل حفظه توفى سنة ١٨٢ هـ .

(٢) رواه البيهقى فى حديث أبى هريرة قاله المنذرى ونحوه عند د ، ت ، ك اهـ ترغيب وترهيب (٣) رواه ابن الجوزى فى موضوعاته عن أبى نعيم فى الحلية من حديث مسلمة بن على عن أبى عبد الرحمن الكوفى عن الأعمش عن شقيق عن حذيفة ومسلمة متروك وأبو عبد الرحمن الكوفى مجهول وكذا رواه البيهقى فى الشعب من هذا الطريق وله طرق أخرى ساقطة عن أنس وعلى اهـ من اللآلىء المصنوعة .

الفقر ، وأما التى فى الآخرة : فسخط الله تبارك وتعالى وسوء الحساب والعذاب بالنار . وعنه[1] صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من مات مصراً على شرب الخمر سقاه الله تعالى من نهر الغوطة وهو نهر يجرى فى النار من فروج المومسات » يعنى الزانيات يجرى من فروجهن قيح وصديد فى النار ، ثم يسقى ذلك لمن مات مصراً على شرب الخمر .

وقال رسول عليه الصلاة والسلام[2] ما من ذنب بعد الشرك بالله أعظم عند الله من نطفة وضعها رجل فى فرج لا يحل له ، وقال أيضا صلى الله عليه وسلم : « فى جهنم واد فيه حيات كل حية ثخن رقبة البعير تلسع تارك الصلاة فيغلى سمها فى جسمه سبعين سنة ثم يتهرى لحمه ، وإن فى جهنم وادياً اسمه جب الحزن فيه حيات وعقارب كل عقرب بقدر البغل لها سبعون شوكة فى كل شوكة زاوية سم تضرب الزانى وتفرغ سمها فى جسمه يجد مرارة وجعها ألف سنة ثم يتهرى لحمه و يسيل من فرجه القيح والصديد » .

وورد أيضا أن من زنى بامرأة متزوجة كان عليها وعليه فى القبر نصف عذاب هذه الأمة فإذا كان يوم القيامة يحكم الله سبحانه وتعالى زوجها فى حسناته . هذا إن كان بغير علمه فإن علم وسكت حرم الله عليه الجنة لأن الله تعالى كتب على باب الجنة : أنت حرام على الديوث ، وهو الذى يعلم بالفاحشة فى أهله و يسكت ولا يغار .

وورد أيضا أن من وضع يده على امرأة لا تحل له بشهوة جاء يوم القيامة مغلولة يده إلى عنقه فإن قبلها قرضت شفتاه فى النار فإن زنى بها نطقت فخذه وشهدت عليه يوم القيامة وقالت أنا للحرام ركبت فينظر الله

---

(١) رواه أحمد وأبو يعلى وابن حبان فى صحيحه والحاكم وصححه نحوه اه ترغيب

(٢) روى أحمد والطبرانى من طريق ابن لهيعة عن دراج عن عبد الله بن الحارث ابن جزء الزبيدى حديثا نحواً مما هنا كما فى الترغيب للمنذرى .

تعالى إليه بعين الغضب فيقع لحم وجهه فيكابر ويقول : ما فعلت فيشهد عليه لسانه فيقول : أنا بما لا يحل نطقت وتقول يداه أنا للحرام تناولت وتقول عيناه أنا للحرام نظرت وتقول رجلاه أنا لما لا يحل مشيت ويقول فرجه أنا فعلت ويقول الحافظ من الملائكة وأنا سمعت ويقول الآخر : وأنا كتبت ويقول الله تعالى : وأنا اطلعت وسترت ثم يقول الله : يا ملائكتي خذوه ومن عذابي أذيقوه فقد اشتد غضبي على من قل حياؤه مني وتصديق ذلك في كتاب الله عز وجل : (يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) .

وأعظم الزنا الزنا بالأم والأخت وامرأة الأب وبالمحارم وقد صحح[1] الحاكم : « من وقع على ذات محرم فاقتلوه وعن البراء : أن خاله بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى رجل عرس بامرأة أبيه أن يقتله ويخمس ماله ، فنسأل الله المنان بفضله أن يغفر لنا ذنوبنا إنه جواد كريم .

الكبيرة الحادية عشرة : اللواط

قد قص الله عز وجل علينا في كتابه العزيز قصة قوم لوط في غير موضع ، من ذلك قوله تعالى : (فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ) أي من طين طبخ حتى صار كالآجر (مَنْضُودٍ) أي يتلو بعضه بعضا (مُسَوَّمَةً) أي معلمة بعلامة تعرف بها أنها ليست من حجارة أهل الدنيا (عِنْدَ رَبِّكَ) أي في خزائنه التي لا يتصرف في شيء منها إلا بإذنه (وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ) ماهي من ظالمي هذه الأمة إذا فعلوا فعلهم أن يحل بهم ما حل بأولئك من العذاب .

ولهذا[2] قال النبي صلى الله عليه وسلم « أخوف ما أخاف عليكم عمل قوم

---

(١) قال المصنف في الصغرى : والعهدة عليه أي على الحاكم في هذا التصحيح .

(٢) رواه ابن ماجه والترمذي وقال حسن غريب والحاكم وقال صحيح الإسناد اهـ منذري

لوط ولعن من فعل فعلهم ثلاثا ، فقال : « لعن الله من عمل عمل قوم لوط لعن الله من عمل عمل قوم لوط لعن الله من عمل عمل قوم لوط » .

وقال[1] عليه الصلاة والسلام : « من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به » قال ابن عباس رضى الله عنهما : ينظر أعلى بناء فى القرية فيلقى منه ثم يتبع بالحجارة كما فعل بقوم لوط .

وأجمع المسلمون على أن التلوط من الكبائر التى حرم الله تعالى (أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ) أى مجاوزون من الحلال إلى الحرام .

وقال تعالى فى آية أخرى مخبرا عن نبيه لوط عليه السلام : (وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ) وكان اسم قريتهم سدود ، وكان أهلها يعملون الخبائث التى ذكرها الله سبحانه فى كتابه كانوا يأتون الذكران من العالمين فى أدبارهم ويتضارطون فى أنديتهم مع أشياء أخر كانوا يعملونها من المنكرات .

وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : عشر خصال من أعمال قوم لوط : تصفيف الشعر ، وحل الأزرار ، ورمى البندق ، والحذف بالحصى ، واللعب بالحمام الطيارة ، والصفير بالأصابع ، وفرقعة الأكعب ، وإسبال الإزار ، وحل أُزْر[2] الأقبية ، وإدمان شرب الخمر ، وإتيان الذكور ، وستزيد عليها هذه الأمة مساحقة النساء للنساء .

---

(١) رواه د ، ت ، ه ، كلهم من رواية عمرو بن أبى عمرو عن عكرمة عن ابن عباس وعمرو هذا احتج به الشيخان — يعنى خ ، م — وغيرهما وقال ابن معين ثقة ينكر عليه حديث عكرمة عن ابن عباس يعنى هذا اه منذرى فى ترهيبه .

(٢) بضم الهمزة وسكون الزاى كذا ضبطه فى المنجد وقال : هو معقد الإزار اه والمراد هنا والله أعلم محل معقد الإزار من الأقبية .

وجاء[١] عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: « سحاق النساء بينهن زنا » وعن[٢] أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: « أربعة يصبحون في غضب الله ويمسون في سخط الله تعالى » قيل: من هم يا رسول الله؟ قال: « المتشبهون من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال والذي يأتي البهيمة والذي يأتي الذكر يعني اللواط ».

وروى[٣] أنه إذا ركب الذكر الذكر اهتز عرش الرحمن خوفاً من غضب الله تعالى وتكاد السموات أن تقع على الأرض فتمسك الملائكة بأطرافها وتقرأ: قل هو الله أحد إلى آخرها حتى يسكن غضب الله عز وجل.

وجاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: « سبعة يلعنهم الله تعالى ولا ينظر إليهم يوم القيامة ويقول ادخلوا النار مع الداخلين الفاعل والمفعول به يعني اللواط وناكح البهيمة وناكح الأمّ وبنتها وناكح يده إلا أن يتوبوا ».

وروى أنّ قوماً يحشرون يوم القيامة وأيديهم حبالى من الزنا كانوا يعبثون في الدنيا بمذاكيرهم. وروى أنّ من أعمال قوم لوط اللعب بالنرد والمسابقة بالحمام والمهارشة بين الكلاب والمناطحة بين الكباش والمناقرة بالديوك ودخول الحمام بلا مئزر ونقص الكيل والميزان، ويل لمن فعلها.

وفي الأثر من لعب بالحمام القلابة لم يمت حتى يذوق ألم الفقر، وقال ابن عباس[٤]

(١) رواه الطبراني في الكبير عن واثلة قاله في الجامع الصغير وإسناده لين قاله المصنف في صغراه (٢) رواه الطبراني والبيهقي من طريق محمد بن سلام الخزاعي. يعرف عن أبيه عن أبي هريرة قال البخاري لايتابع على حديثه اهـ منذري.

(٣) ذكر السيوطي حديثا نحو هذا الحديث رآه على ظهر نسخة ابن أبي شيبة بخط مغربي لم يعرف كاتبه فذكر سنداً إلى أنس قال وكتب غيره عليه: هذا إسناد واه لين موضوع اهـ ذيل اللآلئ.

(٤) ذكر ابن الجوزي في الموضوعات مرفوعا وقال لا يصح مروان بن محمد يروى المناكير وإسماعيل بن أم درهم لايحتج به.

رضى الله عنهما : إن اللوطى إذا مات من غير توبة فإنه يمسخ فى قبره خنزيراً .

وقال[١] صلى الله عليه وآله وسلم : « لا ينظر الله إلى رجل أتى ذكراً أو امرأة فى دبرها » وقال أبو سعيد الصعلوكى : سيكون فى هذه الأمة قوم يقال لهم اللوطيون وهم على ثلاثة أصناف صنف ينظرون وصنف يصافحون وصنف يعملون ذلك العمل الخبيث .

والنظر بشهوة إلى المرأة والأمرد زنا لما صح[٢] عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « زنا العين النظر وزنا اللسان النطق وزنا اليد البطش وزنا الرجل الخطا وزنا الأذن الاستماع والنفس تمنى وتشتهى والفرج يصدق ذلك ويكذبه » ولأجل ذلك بالغ الصالحون فى الإعراض عن المردان وعن النظر إليهم وعن مخالطتهم ومجالستهم .

قال الحسن[٣] بن ذكوان : لا تجالسوا أولاد الأغنياء فإن لهم صوراً كصور العذارى فهم أشدّ فتنة من النساء . وقال بعض التابعين : ما أنا بأخوف على الشاب الناسك من سبع ضار من الغلام الأمرد يقعد إليه ، وكان يقال لا يبيتن رجل مع أمرد فى مكان واحد ، وحرّم بعض العلماء الخلوة مع الأمرد فى بيت أو حانوت أو حمام قياساً على المرأة ؛ لأنّ النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ما خلا رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما »[٤] وفى المردان من يفوق النساء بحسنه فالفتنة به أعظم وأنه يمكن فى حقه من الشر مالا يمكن فى حق النساء ، ويتسهل فى حقه من طريق الريبة والشر مالا يتسهل فى حق المرأة فهو بالتحريم أولى وأقاويل السلف فى التنفير منهم والتحذير من رؤيتهم أكثر من أن تحصر وسموهم الأنتان لأنهم مستقذرون

(١) رواه ت ، س ، حب فى صحيحه (٢) رواه خ ، م ، د ، ى بنحو مما هنا

(٣) الحسن بن ذكوان البصرى أبو سلمة يروى عن الحسن وابن سيرين .

(٤) ذكره الترمذى وروى نحوه الطبرانى من حديث أبى أمامه وأشار المنذرى إلى ضعفه وقال غريب اهـ .

شرعاً ، وسواء فى كل ما ذكرناه نظر المنسوب إلى الصلاح وغيره ، ودخل سفيان[(١)] الثورى الحمام فدخل عليه صبى حسن الوجه فقال : أخرجوه عنى أخرجوه فإنى أرى مع كل امرأة شيطاناً وأرى مع كل صبى حسن بضعة عشر شيطانا .

وجاء رجل إلى الإمام أحمد رحمه الله ومعه صبى حسن فقال الامام : ما هذا منك ؟ قال : ابن أختى ، قال : لا تجىء به إلينا مرة أخرى ولا تمش معه فى طريق لئلا يظن بك من لا يعرفك ولا يعرفه سوءاً .

روى[(٢)] أن وفد عبد القيس لما قدموا على النبى صلى الله عليه وسلم كان فيهم أمرد حسن ، فأجلسه النبى صلى الله عليه وسلم خلف ظهره وقال : « إنما كانت فتنة داود عليه السلام من النظر » وأنشدوا شعراً :

كل الحوادث مبدؤها من النظر ومعظم النار من مستصغر الشرر
والمرء ما دام ذا عين يقلبها فى أعين الغير موقوف على الخطر
كم نظرة فعلت فى قلب صاحبها فعل السهام بلا قوس ولا وتر
يسر ناظره ما ضر خاطره لا مرحبا بسرور عاد بالضرر

وكان يقال النظر بريد الزنا ، وفى الحديث النظر سهم مسموم من سهام إبليس فمن تركه لله أورث الله قلبه حلاوة عبادة يجدها إلى يوم القيامة .

فصل

فى عقوبة من أمكن من نفسه طائعاً ، عن خالد[(٣)] بن الوليد رضى الله عنه أنه

(١) سفيان بن سعيد الثورى أبو عبد الله الكوفى أحد الأعلام قال الخطيب كان الثورى إماما من أئمة المسلمين وعلماً من أعلام الدين مجمعاً على إمامته مع الاتقاق والضبط والحفظ والمعرفة والزهد والورع توفى بالبصرة سنة ١٦١ اه خلاصة ملخصاً .

(٢) رواه الديلمى بسنده إلى الحسن عن سمرة به قال ابن الصلاح فى شكل الوسيط لا أصل لهذا الحديث وقال الزركشى فى تخريج أحاديث الشرح الكبير : هذا حديث منكر فيه ضعفاء ومجاهيل وانقطاع وقد استدل على بطلانه بقوله صلى الله عليه وسلم إنى أراكم من وراء ظهرى اه من ذيل الموضوعات للسيوطى .

(٣) رواه ابن أبى الدنيا ومن طريقه البيهقى بسند جيد قاله المنذرى فى ترهيبه

كتب إلى أبى بكر الصديق رضى الله عنه أنه وجد فى بعض النواحى رجلا ينكح فى دبره فاستشار أبو بكر الصحابة رضى الله عنهم فى أمره ، فقال علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه : إن هذا ذنب لم يعمله إلا أمة واحدة [هم] قوم لوط ، وقد أعلمنا الله تعالى بما صنع بهم ، أرى أن يحرق بالنار ، فكتب أبو بكر إليه أن أحرقه بالنار ، فأحرقه خالد رضى الله عنه .

وقال علىّ رضى الله عنه : من أمكن من نفسه طائعاً حتى ينكح ألقى الله عليه شهوة النساء وجعله شيطانا رجيما فى قبره إلى يوم القيامة .

وأجمعت الأمة على أن من فعل بمملوكه فهو لوطى مجرم ، ومما روى أنّ عيسى ابن مريم عليه السلام مرّ فى سياحته على نار توقد على رجل فأخذ عيسى عليه السلام ماء ليطفىء عنه فانقلبت النار صبيا وانقلب الرجل ناراً ، فتعجب عيسى عليه السلام من ذلك وقال : يا رب ردهما إلى حالهما فى الدنيا لأسألهما عن خبرهما ، فأحياهم الله تعالى ، فإذا هما رجل وصبى ، فقال لهما عيسى عليه السلام : ما خبركما ؟ فقال الرجل : يا روح الله إنى كنت فى الدنيا مبتلى بحب هذا الصبى فحملتنى الشهوة أن فعلت به الفاحشة ، فلما أن مت ومات الصبى صير ناراً يحرقنى مرة وأصير ناراً أحرقه مرة ، فهذا عذابنا إلى يوم القيامة ، نعوذ بالله من عذاب الله ونسأله العفو والعافية والتوفيق لما يحب ويرضى .

فصـــل

ويلتحق باللواط إتيان المرأة فى دبرها وذلك مما حرّمه الله تعالى ورسوله ، قال الله عز وجل : (نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم) أى كيف شئتم مقبلين ومدبرين فى صمام واحد أى موضع واحد ، وسبب نزول هذه الآية أن اليهود فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم كانوا يقولون : إذا أتى الرجل امرأته من دبرها فى قبلها جاء الولد أحول ، فسأل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم النبى صلى الله عليه وسلم عن ذلك فأنزل الله هذه الآية تكذيباً لهم (نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم) مجبية أو غير مجبية غير أن ذلك فى صمام واحد ، أخرجه مسلم .

وفى رواية اتقوا الدبر والحيضة ، وقوله فى صمام واحد أى فى موضع واحد وهو الفرج لأنه موضع الحرث أى موضع مزرع الولد ، وأما الدبر فإنه محل النجو وذلك خبيث مستقذر ، وقد روى[1] أبو هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ملعون من أتى حائضا أو امرأة فى دبرها » .

وروى الترمذى[2] عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من أتى حائضا أو امرأة فى دبرها أو كاهنا فقد كفر بما أنزل على محمد » فمن جامع امرأته وهى حائض أو جامعها فى دبرها فهو ملعون ، وداخل فى هذا الوعيد الشديد ، وكذا إذا أتى كاهناً وهو المنجم ومن يدعى معرفة الشىء المسروق ويتكلم على الأمور المغيبات فسأله عن شىء منها فصدقه .

وكثير من الجهال واقعون فى هذه المعاصى ، وذلك من قلة معرفتهم وسماعهم للعلم ، ولذلك قال أبو الدرداء : كن عالماً أو متعلماً أو مستمعاً أو محباً ولا تكن الخامس فتهلك وهو الذى لا يعلم ولا يتعلم ولا يستمع ولا يحب من يعمل ذلك ، ويجب على العبد أن يتوب إلى الله من جميع الذنوب والخطايا ، ويسأل الله العفو عما مضى منه فى جهله ، والعافية فيما بقى من عمره ، اللهم إنا نسألك العفو والعافية فى الدين والدنيا والآخرة إنك أرحم الراحمين .

الكبيرة الثانية عشرة : الربا

قال الله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً

---

(١) رواه أحمد وأبو داود قاله المنذرى (٢) رواه أحمد ، ت ، ى ، د ، ه كلهم من طريق حكيم الأثرم عن أبى تميمة طريف بن خالد عن أبى هريرة وسئل ابن المدينى عن حكيم من هو فقال أعيانا هذا وقال خ فى تاريخه الكبير لايعرف لأبى تميمة سماع من أبى هريرة اه منذرى فى ترهيبه قال المصنف فى الصغرى وليس إسناده بالقائم اه

وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) ، وقال تعالى : (الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِى يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ) أى لا يقومون من قبورهم يوم القيامة إلا كما يقوم الذى قد مسه الشيطان وصرعه (ذَلِكَ) أى ذلك الذى أصابهم (بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا) أى حلالا فاستحلوا ما حرم الله فإذا بعث الله الناس يوم القيامة خرجوا مسرعين إلا أكلة الربا فإنهم يقومون و يسقطون كما يقوم المصروع كلما قام صرع لأنهم لما أكلوا الربا الحرام فى الدنيا أرباه الله فى بطونهم حتى أثقلهم يوم القيامة فهم كلما أرادوا النهوض سقطوا ويريدون الإسراع مع الناس فلا يقدرون .

وقال قتادة[١] إن آكل الربا يبعث يوم القيامة مجنوناً وذلك علم لأكلة الربا يعرفهم به أهل الموقف وعن أبى سعيد[٢] الخدرى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لما أسرى بى مررت بقوم بطونهم بين أيديهم كل رجل منهم بطنه مثل البيت الضخم قد مالت بهم بطونهم منضدين على سابلة آل فرعون وآل فرعون يعرضون على النار غدواً وعشياً قال فيقبلون مثل الإبل المنهومة لا يسمعون ولا يعقلون فإذا أحس بهم أصحاب تلك البطون قاموا فتميل بهم بطونهم فلا يستطيعون أن يبرحوا حتى يغشاهم آل فرعون فيردونهم مقبلين ومدبرين فذلك عذابهم فى البرزخ بين الدنيا والآخرة قال صلى الله عليه وسلم : « فقلت يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس » .

---

(١) قتادة بن دعامة السدوسى البصرى إمام جليل فى التفسير والحديث من علماء التابعين مات سنة ١١٧ هـ (٢) عزاه ابن كثير فى تفسيره فى سورة الإسراء إلى البيهقى فى دلائل النبوة وإلى ابن جرير وابن أبى حاتم فى تفسيريهما كلهم من طريق أبى هارون العبدى عن أبى سعيد قال واسم أبى هارون عمارة بن جوين : مضعف عند الأئمة اهـ

وفى رواية[١] قال : لما عرج بى سمعت فى السماء السابعة فوق رأسى رعداً وصواعق ورأيت رجالا بطونهم بين أيديهم كالبيوت فيها حيات وعقارب ترى من ظاهر بطونهم فقلت من هؤلاء يا جبريل فقال هؤلاء أكلة الربا .

وروى[٢] عن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود عن أبيه إذا ظهر الزنا والربا فى قرية أذن الله بهلاكها ، وعن عمر[٣] مرفوعاً « إذا ضن الناس بالدينار والدرهم وتبايعوا بالعينة وتتبعوا أذناب البقر وتركوا الجهاد فى سبيل الله أنزل الله بلاء فلا يرفعه عنهم حتى يراجعوا دينهم » .

وقال[٤] صلى الله عليه وسلم : « ما ظهر فى قوم الربا إلا ظهر فيهم الجنون ، ولا ظهر فى قوم الزنا إلا ظهر فيهم الموت وما بخس قوم الكيل والوزن إلا منعهم الله القطر » .

وجاء فى حديث فيه طول[٥] أن آكل الربا يعذب من حين يموت إلى يوم القيامة بالسباحة فى النهر الأحمر الذى هو مثل الدم و يلقم الحجارة وهو المال الحرام الذى جمعه فى الدنيا يكلف المشقة فيه و يلقم حجارة من نار كما ابتلع الحرام فى الدنيا هذا العذاب له فى البرزخ قبل يوم القيامة مع لعنة الله له كما صح عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال أربعة حق على الله أن لا يدخلهم الجنة ولا يذيقهم

---

(١) رواه أحمد فى حديث طويل وابن ماجه مختصراً والأصبهانى كلهم من رواية على بن زيد عن أبى الصلت عن أبى هريرة قاله المنذرى اه وعلى بن جدعان فيه كلام كثير فى تضعيفه .

(٢) رواه أبو يعلى بإسناد جيد وله شاهد من حديث ابن عباس صحح الحاكم إسناده أفاده المدرى فى ترهيبه (٣) رواه أبو داود وغيره من طريق إسحق بن أسيد نزيل مصر — مختلف فيه — والحديث من رواية ابن عمر أفاده المنذرى .

(٤) رواه ابن ماجه والبزار والحاكم وقال على شرط مسلم أفاده المنذرى

(٥) هو حديث سمرة الطويل فى منام رآه النبي صلى الله عليه وسلم رواه البخارى

نعيمها مدمن الخمر وآكل الربا وآكل مال اليتيم بغير حق والعاق لوالديه إلا أن يتوبوا .

وقد ورد أن أكلة الربا يحشرون فى صورة الكلاب والخنازير من أجل حيلهم على أكل الربا كما مسخ أصحاب السبت حين تحيلوا على إخراج الحيتان التى نهاهم الله عن اصطيادها يوم السبت لحفروا لها حياضاً تقع فيها يوم السبت فيأخذونها يوم الأحد فلما فعلوا ذلك مسخهم الله قردة وخنازير وهكذا الذين يتحيلون على الربا بأنواع الحيل فإن الله لاتخفى عليه حيل المحتالين ، قال أيوب[1] السختيانى: يخادعون الله كما يخادعون صبيا ولو أتوا الأمر عياناً كان أهون عليهم ، وقال[2] صلى الله عليه وآله وسلم : « الربا سبعون باباً أهونها مثل أن ينكح الرجل أمه وإن أربى الربا استطالة الرجل فى عرض أخيه المسلم » فصح أنه باب من أعظم أبواب الربا .

وعن أنس[3] قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الربا وعظم شأنه فقال : « الدرهم الذى يصيبه الرجل من الربا أشد من ست وثلاثين زنية فى الإسلام » وعنه[4] صلى الله عليه وسلم قال : « الربا سبعون حوباً أهونها كوقع الرجل على أمه » ، وفى رواية : أهونها كالذى ينكح أمه ، والحوب الإثم .

وعن أبى بكر الصديق رضى الله عنه قال : الزائد والمستزيد فى النار يعنى الآخذ والمعطى فيه سواء نسأل الله العافية .

---

(١) أيوب بن أبى تميمة السختيانى أبو بكر البصرى أحد الأئمة الأعلام من أكابر التابعين مات سنة ١٣١ هـ (٢) رواه الطبرانى فى الأوسط من رواية عمر بن راشد وقد وثق وهو من رواية البراء بن عازب وله شاهد من حديث أبى هريرة عند ابن ماجه والبيهقى عن أبى معشر وقد وثق أفاده المنذرى (٣) رواه ابن أبى الدنيا والبيهقى وأشار المنذرى إلى ضعفه بتصديره بلفظ روى (٤) قال المنذرى : رواه ابن ماجه والبيهقى كلاهما عن أبى معشر وقد وثق عن سعيد المقبرى عن أبى هريرة .

فصل

عن ابن مسعود(١) رضى الله عنه قال : إذا كان لك على رجل دين فأهدى لك شيئاً فلا تأخذه فإنه ربا ، وقال الحسن(٢) رحمه الله : إذا كان لك على رجل دين فما أكلت من بيته فهو سحت وهذا من قوله صلى الله عليه وسلم : « كل قرض جر نفعاً فهو ربا » ، وقال ابن مسعود أيضاً : من شفع لرجل شفاعة فأهدى إليه هدية فهى سحت وتصديقه من قوله صلى الله عليه وسلم : « من شفع لرجل شفاعة فأهدى له عليها فقبلها فقد أتى باباً عظيما من أبواب الربا » أخرجه أبو داود فنسأل الله العفو والعافية فى الدين والدنيا والآخرة(٣) .

الكبيرة الثالثة عشرة : أكل مال اليتيم وظلمه

قال الله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً) ، وقال تعالى : (وَلاَ تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ) .

وعن أبى سعيد الخدرى(٤) رضى الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى حديث المعراج : « فإذا أنا برجال قد وكل بهم رجال يفكون لحاهم

---

(١) أبو عبد الرحمن عبد الله بن مسعود الصحابى الجليل توفى سنه ٣٢ هـ .

(٢) هو البصرى من كبار أئمة التابعين مات بعد سنة ١٤٩ هـ

(٣) زاد فى الصغرى قال النبى صلى الله عليه وسلم : « اجتنبوا السبع الموبقات » فذكر منها أكل الربامتفق عليه وقال صلى الله عليه وسلم «لعن الله آكل الربا وموكله» رواه مسلم والترمذى وزاد وشاهديه وكاتبيه وقال صلى الله عليه وسلم « آكل الربا وموكله وكاتبه إذا علما ذلك ملعونون على لسان محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة .

(٤) عزاه الشيخ ابن كثير فى تفسيره عند قوله « إن الذين يأكلون أموال اليتامى إلخ وفى سورة الإسراء من أولها إلى ابن أبى حاتم وفى سنده أبو هرون العبدى واسمه عمارة بن جوين تركوه ومنهم من كذبه كما فى التقريب فقول المصنف هنا رواه مسلم لعله سبق قلم أو من النساخ فحرر .

وآخرون يجيئون بالصخور من النار فيقذفونها بأفواههم وتخرج من أدبارهم فقلت يا جبريل من هؤلاء ؟ قال الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون فى بطونهم ناراً » رواه مسلم .

وعن أبى هريرة[1] رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يبعث الله عز وجل قوماً من قبورهم تخرج النار من بطونهم تأجج أفواههم ناراً فقيل من هم يا رسول الله ؟ قال : ألم تر أن الله تعالى يقول : (إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَاراً) .

وقال السدى[2] رحمه الله تعالى : يحشر آكل مال اليتيم ظلماً يوم القيامة ولهب النار يخرج من فيه ومن مسامعه وأنفه وعينيه يعرفه كل من رآه أنه آكل مال اليتيم .

قال العلماء : فكل ولى ليتيم إذا كان فقيراً فأكل من ماله بالمعروف بقدر قيامه عليه فى مصالحه وتنمية ماله فلا بأس عليه وما زاد على المعروف فسحت حرام لقوله تعالى : (وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيراً فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ) .

وفى الأكل بالمعروف أربعة أقوال ؛ أحدها : أنه الأخذ على وجه القرض . والثانى : الأكل بقدر الحاجة من غير إسراف . والثالث : أنه أخذ بقدر الحاجة إذا عمل لليتيم عملا . والرابع : أنه الأخذ عند الضرورة فإن أيسر قضاه وإن لم يوسر فهو فى حل ، وهذه الأقوال ذكرها ابن الجوزى[3] فى تفسيره .

(١) عزاه ابن كثير فى تفسيره إلى ابن مردويه وابن أبى حاتم وابن حبان فى صحيحه عن عقبة بن مكرم بسنده إلى أبى برزة واسمه فضلة بن عبيد الأسلمى فعزو الحديث هنا إلى أبى هريرة لعله وهم أو من تحريف النساخ (٢) إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبى كريم السدى بضم السين وتشديد الدال أبو محمد الكوفى صاحب التفسير صدوق يهم ورمى بالتشيع مات سنة ١٢٧ هـ ، اهـ تقريب . (٣) هو الحافظ جمال الدين العربى أبو الفرج =

وفى صحيح البخارى[١] أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أنا وكافل اليتيم فى الجنة هكذا » وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما ، وفى صحيح مسلم عنه صلى الله عليه وسلم قال : « كافل اليتيم له أو لغيره أنا وهو كهاتين فى الجنة وأشار بالسبابة والوسطى » .

كفالة اليتيم هى القيام بأموره والسعى فى مصالحه من طعامه وكسوته وتنمية ماله إن كان له مال وإن كان لا مال له أنفق عليه وكساه ابتغاء وجه الله تعالى ، وقوله فى الحديث له أو لغيره أى سواء كان اليتيم قرابة أو أجنبيًّا منه فالقرابة مثل أن يكفله جده أو أخوه أو أمه أو عمه أو زوج أمه أو خاله أو غيره من أقاربه والأجنبى من ليس بينه وبينه قرابة .

وقال[٢] رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من ضم يتيما من المسلمين إلى طعامه وشرابه حتى يغنيه الله تعالى أوجب الله له الجنة إلا أن يعمل ذنباً لا يغفر ، وقال صلى الله عليه وسلم : « من مسح رأس يتيم لا يمسحه إلا لله كان له بكل شعرة مرت عليها يده حسنة ومن أحسن إلى يتيم أو يتيمة عنده كنت أنا وهو هكذا فى الجنة[٣] » .

وقال رجل[٤] لأبى الدرداء رضى الله عنه أوصنى بوصية قال: ارحم اليتيم وأدنه منك وأطعمه من طعامك فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه رجل يشتكى قسوة قلبه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أردت أن يلين قلبك فأدن اليتيم منك ، وامسح رأسه ، وأطعمه من طعامك ، فإن ذلك يلين قلبك وتقدر على حاجتك .

= عبدالرحمن بن على بن محمد بن على الجوزى صاحب التصانيف المشهورة البغدادى الفقيه الحنبلى المتوفى سنة ٥٧ هـ (١) د ، ت (٢) رواه الترمذى من حديث ابن عباس وقال حسن صحيح بلفظ من قبض وله شواهد ذكرها المنذرى فى الترغيب .

(٢) رواه أحمد وغيره من طريق عبيد الله بن زحر عن على بن يزيد عن القاسم عن أبى أمامة قاله المنذرى (٤) رواه الطبرى من رواية بقية وفيه راو لم يسم قال المنذرى وله شاهد من حديث أبى هريرة رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح قاله المنذرى

ومما حكى عن بعض السلف قال: كنت فى بداية أمرى مكباً على المعاصى وشرب الخمر ، فظفرت يوماً بصبى يتيم فقير ، فأخذته وأحسنت إليه وأطعمته ، وكسوته ، وأدخلته الحمام وأزلت شعثه ، وأكرمته كما يكرم الرجل ولده بل أكثر ، فبت ليلة بعد ذلك ، فرأيت فى النوم أن القيامة قد قامت ، ودعيت إلى الحساب ، وأمر بى إلى النار لسوء ما كنت عليه من المعاصى ، فسحبتنى الزبانية ليمضوا بى إلى النار ، وأنا بين أيديهم حقير ذليل يجرونى سحباً إلى النار ، وإذا بذلك اليتيم قد اعترضنى بالطريق وقال: خلوا عنه يا ملائكة ربى حتى أشفع له إلى ربى فإنه قد أحسن إلىَّ وأكرمنى ، فقالت الملائكة: إنا لم نؤمر بذلك ، وإذا النداء من قبل الله تعالى يقول: خلوا عنه ، فقد وهبت له ما كان منه بشفاعة اليتيم وإحسانه إليه ، قال: فاستيقظت وتبت إلى الله عز وجل ، وبذلت جهدى فى إيصال الرحمة إلى الأيتام .

ولهذا قال أنس بن مالك رضى الله عنه خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم: خير البيوت بيت فيه يتيم يحسن إليه ، وشر البيوت بيت فيه يتيم يساء إليه ، وأحب عباد الله إلى الله تعالى من اصطنع صنعاً إلى يتيم أو أرملة .

وروى أن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام: يا داود كن لليتيم كالأب الرحيم ، وكن للأرملة كالزوج الشفيق ، واعلم كما تزرع كذا تحصد معناه أنك كما تفعل كذلك يفعل معك ، أى لا بد أن تموت ويبقى لك ولد يتيم أو امرأة أرملة .

وقال داود عليه السلام فى مناجاته: إلهى ما جزاء من أسند اليتيم والأرملة ابتغاء وجهك ؟ قال: جزاؤه أن أظله فى ظلى ، يوم لا ظل إلا ظلى ، معناه: ظل عرشى يوم القيامة .

ومما جاء فى فضل الإحسان إلى الأرملة واليتيم عن بعض العلويين وكان نازلا ببلخ من بلاد العجم ، وله زوجة علوية وله منها بنات وكانوا فى سعة ونعمة ، فمات الزوج ، وأصاب المرأة وبناتها بعده الفقر والقلة ، فخرجت ببناتها إلى بلدة أخرى ، خوف شماتة الأعداء ، واتفق خروجها فى شدة البرد ، فلما دخلت ذلك

البلد أدخلت بناتها فى بعض المساجد المهجورة ، ومضت تحتال لهم فى القوت ، فمرت بجمعين جمع على رجل مسلم ، وهو شيخ البلد ، وجمع على رجل مجوسى ، وهو ضامن البلد ، فبدأت بالمسلم وشرحت حالها له ، وقالت : أنا امرأة علوية ، ومعى بنات أيتام أدخلتهم بعض المساجد المهجورة ، وأريد الليلة قوتهم ، فقال لها : أقيمى البينة أنك علوية شريفة ، فقالت : أنا امرأة غريبة ما فى البلد من يعرفنى ، فأعرض عنها فمضت من عنده منكسرة القلب ، فجاءت إلى ذلك الرجل المجوسى فشرحت له حالها وأخبرته أن معها بنات أيتام وهى امرأة علوية شريفة غريبة ، وقصت عليه ما جرى لها مع الشيخ المسلم ، فقام وأرسل بعض نسائه وأتوا بها و بناتها إلى داره ، فأطعمهن أطيب الطعام ، وألبسهن أفخر اللباس ، و باتوا عنده فى نعمة وكرامة .

قال : فلما انتصف الليل ، رأى ذلك الشيخ المسلم فى منامه كأن القيامة قد قامت ، وقد عقد اللواء على رأس النبى صلى الله عليه وسلم ، و إذا القصر من الزمرد الأخضر ، شرفاته من اللؤلؤ والياقوت ، وفيه قباب اللؤلؤ والمرجان ، فقال :يارسول الله ، لمن هذا القصر ؟ قال : لرجل مسلم موحد ، فقال : يا رسول الله ، أنا رجل مسلم موحد ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أقم عندى البينة أنك مسلم موحد ، قال : فبقى متحيراً ، فقال له صلى الله عليه وسلم : لما قصدتك المرأة العلوية قلت أقيمى عندى البينة بأنك علوية ، فكذا أنت أقم عندى البينة أنك مسلم [موحد] .

فانتبه الرجل حزيناً على رده المرأة خائبة ، ثم جعل يطوف بالبلد و يسأل عنها ، حتى دل عليها أنها عند المجوسى ، فأرسل إليه فأتاه ، فقال له : أريد منك المرأة الشريفة العلوية و بناتها ، فقال : ما إلى هذا من سبيل ، وقد لحقنى من بركاتهم ما لحقنى ، قال : خذ منى ألف دينار وسلمهن إلىّ ، فقال : لا أفعل ، فقال لا بد منهن ، فقال : الذى تريده أنت أنا أحق به ، والقصر الذى رأيته فى منامك خلق لى ، أتدلى على بالإسلام ؟ فوالله ما نمت البارحة أنا وأهل دارى

حتى أسلمنا كلنا على يد العلوية ، ورأيت مثل الذى رأيت فى منامك ، وقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : العلوية و بناتها عندك ؟ قلت : نعم يا رسول الله ، قال : القصر لك ولأهل دارك ، وأنت وأهل دارك من أهل الجنة ، خلقك الله مؤمناً فى الأزل . قال : فانصرف المسلم و به من الحزن والكآبة ما لا يعلمه إلا الله فانظر — رحمك الله ! — إلى بركة الإحسان إلى الأرملة والأيتام ما أعقب صاحبه من الكرامة فى الدنيا .

ولهذا ثبت فى الصحيحين [1] عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « الساعى على الأرملة والمساكين كالمجاهد فى سبيل الله » قال الراوى : أحسبه قال « وكالقائم لا يفتر، وكالصائم لا يفطر » والساعى عليهم : هو القائم بأمورهم ومصالحهم ابتغاء وجه الله تعالى ، وفقنا الله لذلك بمنه وكرمه ، إنه جواد كريم ، رؤف غفور رحيم .

الكبيرة الرابعة عشرة : الكذب

على الله عز وجل ، وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم

قال الله عز وجل ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ ﴾ قال الحسن : هم الذين يقولون إن شئنا فعلنا و إن شئنا لم نفعل ، قال ابن الجوزى فى تفسيره : وقد ذهب طائفة من العلماء إلى أن الكذب على الله وعلى رسوله كفر ينقل عن الملة ، ولا ريب أن الكذب على الله وعلى رسوله فى تحليل حرام وتحريم حلال كفر محض و إنما الشأن فى الكذب عليه فيما سوى ذلك . وقال [2] عليه الصلاة والسلام «من كذب على بنى له بيت فى جهنم» وقال عليه الصلاة والسلام

---

(١) وابن ماجه من حديث أبى هريرة قاله المنذرى .

(٢) رواه البخارى ومسلم وغيرهما وقد روى من غير ماواحد فى الصحاح والسنن والمسانيد وغيرها حتى بلغ مبلغ التواتر اهـ ماقاله المنذرى فى ترغيبه .

« ومن كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » وقال صلى الله عليه وسلم : « من روى عنى حديثاً وهو يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين »[١] ، وقال[٢] صلى الله عليه وسلم : « إن كذباً على ليس ككذب على غيرى ، من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » وقال صلى الله عليه وسلم : « من يقل عنى ما لم أقله فليتبوأ مقعده من النار » وقال صلى الله عليه وسلم[٣] : « يطبع المؤمن على كل شىء إلا الخيانة والكذب » نسأل الله التوفيق والعصمة ، إنه جواد كريم .

الكبيرة الخامسة عشرة : الفرار من الزحف

إذا لم يزد العدو على ضعف المسلمين إلا متحرفا لقتال أو متحيزاً[٤] إلى فئة ، وإن بعدت ، قال الله تعالى (وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفاً لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ) .

وعن أبى هريرة[٥] رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اجتنبوا السبع الموبقات » ، قالوا : وما هن يا رسول الله ؟ قال : « الشرك بالله والسحر وقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولى يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات » .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : لما نزلت (إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ) فكتب الله عليهم أن لا يفر عشرون من مائتين ، ثم

---

(١) رواه مسلم وغيره من حديث سمرة بلفظ من حدث عنى بحديث فذكره اهمنذرى

(٢) رواه مسلم وغيره من حديث المغيرة يعنى ابن شعبة اهـ منذرى .

(٣) رواه البزار وأبو يعلى من حديث سعد بن أبى وقاص ورواته رواة الصحيح وذكره الدارقطنى فى العلل مرفوعا وموقوفا وقال الوقوف أشبه بالصواب ورواه الطبرانى فى الكبير والبيهقى من حديث ابن عمر مرفوعا وله شاهد عند أحمد من حديث الأعمش قال حدثت عن أبى أمامة فذكر نحوه أفاده المنذرى فى ترغيبه .

(٤) المتحرف للقتال من يفر عن العدو لخدعة حربية والتحيز للفئة من يفر عن وجه العدو لينضم إلى جماعة المجاهدين وجملتهم . (٥) تقدم تخريجه مراراً وأنه متفق عليه .

نزلت (الآنَ خَفَّفَ اللهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفاً ، فإنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ ، و إنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللهِ وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ) فكتب أن لا يفر مائة من مائتين ، رواه البخارى .

الكبيرة السادسة عشرة

غش الإمام الرعية ، وظلمه لهم

قال الله تعالى (إِنَّمَا السَّبِيلُ على الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فى الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) وقال تعالى (وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلِ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُؤُوسِهِمْ لاَ يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ) وقال تعالى (وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ) وقال تعالى (كَانُوا لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ ما كَانُوا يَفْعَلُونَ) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم[١] : « من غشنا فليس منا » وقال عليه [الصلاة] والسلام[٢]: « الظلم ظلمات يوم القيامة » وقال صلى الله عليه وسلم[٣] : « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » وقال[٤] رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أيما راع غش رعيته فهو فى النار » وقال صلى الله عليه وسلم : « من استرعاه الله رعية ثم لم يحطها بنصحه إلا حرم الله عليه الجنة » . أخرجه البخارى ، وفى[٥]

(١) رواه مسلم من حديث أبى هريرة .

(٢) خ ، م ، ت من حديث ابن عمر .

(٣) رواه خ ، م من حديث ابن عمر .

(٤) رواه الطبرانى فى الأوسط والصغير عن أنس ورواته ثقات إلا عبد الله بن ميسرة أباليلى وشواهده الصحيحة كثيرة عن معقل بن يسار فى الصحيحين وعن ابن عباس وغيره فى غيرهما (٥) يعنى للبخارى أيضاً .

لفظ : « يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة » وقال صلى الله عليه وسلم : « ما من حاكم يحكم بين الناس إلا حبس يوم القيامة وملك آخذ بقفاه ، فإن قال ألقه ألقاه فهوى فى جهنم أربعين خريفاً » رواه الإمام أحمد(١) ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم(٢) : « ويل للأمراء ، ويل للعرفاء ، ويل للأمناء ، ليتمنين أقوام يوم القيامة أن ذوائبهم كانت معلقة بالثريا يعذبون ، ولم يكونوا عملوا على شيء » .

وقال صلى الله عليه وسلم(٣) : « ليأتين على القاضى العدل يوم القيامة ساعة يتمنى أنه لم يقص بين اثنين فى ثمرة قط » ، وقال صلى الله عليه وسلم : « ما من أمير عشرة إلا يؤتى به يوم القيامة مغلولة يده إلى عنقه ، إما أطلقه عدله ، أو أوبقه جوره » (٤) .

ومن دعاء (٥) رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « اللهم من ولى من أمر هذه الأمة شيئاً فرفق بهم فأرفق به ، ومن شفق عليهم فأشفق عليه » وقال(٦) صلى الله عليه وسلم « من ولاه الله شيئا من أمور المسلمين فاحتجب دون حاجتهم وخلتهم وفقرهم احتجب الله دون حاجته وخلته وفقره » .

وقال(٧) رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سيكون أمراء فسقة جورة ، فمن صدقهم بكذبهم ، وأعانهم على ظلمهم ، فليس منى ولست منه ، ولن يرد على

---

(١) وروى ابن ماجه والبزار نحواً من هذا فى حديث ابن مسعود وفى إسنادها مجالد بن سعيد مختلف فيه أفاده المنذرى (٢) رواه أحمد عن أبى هريرة مرفوعا من طرق رواة بعضها ثقات قاله المنذرى فى موضع وقال فى موضع رواه حب والحاكم وقال صحيح الإسناد (٣) راوه البزار والطبرانى فى الأوسط من حديث أبى هريرة ورجال البزار رجال الصحيح وله شاهد من حديث سعد بن أبى وقاص عند أحمد وعن أبى الدرداء عند حب أفاده المنذرى (٤) رواه أحمد وابن حبان من حديث عائشة اه منه . (٥) مسلم والنسائى عن عائشة ، (٦) د ، ت عن أبى مريم عمرو بن مرة الجهنى (٧) رواه أحمد والترمذى وصححه والنسائى والبزار بألفاظ متقاربة من حديث كعب بن عجرة .

الحوض » وقال[١] رسول الله صلى الله عليه وسلم : « صنفان من أمتى لن تنالهم شفاعتى سلطان ظلوم غشوم ، وغال فى الدين يشهد عليهم و يتبرأ منهم » وقال[٢] عليه الصلاة والسلام : « أشد الناس عذاباً يوم القيامة إمام جائر » وفى الحديث[٣] أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أيها الناس مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل أن تدعوا الله فلا يستجيب لكم وقبل أن تستغفروا الله فلا يغفر لكم إن الأحبار من اليهود والرهبان من النصارى لما تركوا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لعنهم الله على لسان أنبيائهم ثم عمهم بالبلاء » .

وقال[٤] رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » « ومن أحدث حدثاً أو آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا » وفى الحديث[٥] أيضاً «من لا يَرحم لا يُرحم ، لا يرحم الله من لا يرحم الناس» . وقال[٦] صلى الله عليه وسلم : « الإمام العادل يظله الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله » وقال[٧] صلى الله عليه وسلم : « المقسطون على منابر من نور الذين يعدلون فى حكمهم وأهليهم وما ولوا » .

ولما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذا رضى الله عنه إلى اليمن قال : « إياك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم فإنها ليس بينها و بين الله حجاب » رواه البخارى . وقال[٨] عليه الصلاة والسلام : « ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة »

---

(١) رواه الطبرانى فى الكبير من حديث أبى أمامة ورجاله ثقات اه منه .

(٢) رواه الطبرانى من حديث عبد الله بن مسعود ورواته ثقات إلا ليث بن سليم اه

(٣) رواه الأصبهانى من حديث ابن عمر وأشار المنذرى إلى ضعفه .

(٤) رواه خ ، م ، د من حديث عائشة (٥) رواه خ ، م ، ت ، من حديث جرير بن عبد الله وله شواهد من حديث أبى موسى وابن مسعود وابن عمرو وابن عباس وغيرهم والسنن والمسند والطبرانى (٦) رواه خ ، م ، من حديث أبى هريرة فى ضمن حديث السبعة الذين يظلهم الله فى ظله (٧) رواه مسلم والنسائى من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص (٨) رواه مسلم وغيره من حديث أبى هريرة

فذكر منهم الملك الكذاب ، وقال : « إنكم ستحرصون على الإمارة وستكون ندامة يوم القيامة » رواه البخارى ، وفيه أيضاً « إنا والله لا نولى هذا العمل أحداً سأله أحداً حرص عليه » .

وقال[1] رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا كعب بن عجرة أعاذك الله من إمارة السفهاء أمراء يكونون من بعدى لا يهتدون بهديى ولا يستنون بسنتى » .

وعن[2] أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من طلب قضاء المسلمين حتى ينساله ثم غلب عدله جوره فله الجنة ، ومن غلب جوره عدله فله النار » .

وقال[3] : « ستحرصون على الإمارة وستكون ندامة يوم القيامة » وقال[4] عمر لأبى ذر رضى الله عنهما : حدثنى بحديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو ذر : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « يجاء بالوالى يوم القيامة فينبذ به على جسر جهنم فيرتج به الجسر ارتجاجة لا يبقى منه مفصل إلا زال عن مكانه فإن كان مطيعاً لله فى عمله مضى به وإن كان عاصياً لله فى عمله انخرق به الجسر فهوى به فى جهنم مقدار خمسين عاما » فقال عمر : من يطلب العمل بها يا أبا ذر ؟ قال : من سلت الله أنفه وألصق خده بالتراب .

وقال عمرو بن المهاجر : قال لى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه : إذا رأيتنى قد ملت عن الحق فضع يدك فى تلبابى ثم هزنى ثم قل : يا عمر ما تصنع ؟

يا راضيا باسم الظالم كم عليك من المظالم ، السجن جهنم والحق الحاكم ،

---

(١) رواه أحمد والبزار ورواته محتج بهم فى الصحيح قاله المنذرى (٢) رواه أبو داود اه منه . (٣) تمامه « فنعمت المرضعة وبئست الفاطمة » رواه البخارى والنسائى من حديث أبى هريرة قاله المنذرر . (٤) روى نحوه ابن أبى الدنيا من حديث أبى هريرة أن بشربن عاصم الجشمى حدث عمر فذكره وأن عمر سأل سلمان وأبا ذر فصدقاه قاله المنذرى وضعفه .

ولا حجة لك فيما تخاصم ، القبر مهول فتذكر حبسك ، والحساب طويل فخلص نفسك ، والعمر كيوم فبادر شمسك، تفرح بمالك والكسب خبيث ، وتمرح بآمالك والسير حثيث ، إنّ الظلم لا يترك منه قدر أنملة ، فإذا رأيت ظالما قد سطا فنم له ، فربما بات فأخذت جنبه من الليل نملة ، أى قروح فى الجسد .

الكبيرة السابعة عشرة : الكبر

الكبر والفخر والخيلاء والعجب والتيه ، قال الله تعالى : (وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ) وقال تعالى : (إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ) ، وقال[1] رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بينما رجل يتبختر فى مشيه إذ خسف الله به الأرض فهو يتجلل فيها إلى يوم القيامة » وقال[2] عليه الصلاة والسلام : « يحشر الجبارون المتكبرون يوم القيامة أمثال الذرّ يطؤهم الناس يغشاهم الذل من كل مكان » وقال بعض السلف : أول ذنب عصى الله به الكبر ، قال الله تعالى : (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ) فمن استكبر على الحق لم ينفعه إيمانه كما فعل إبليس .

وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا يدخل الجنة أحد فى قلبه مثقال ذرة من كبر » رواه مسلم ، وقال تعالى : (إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ) .

---

(١) رواه ح ، س وغيرهما بنحوه من حديث ابن عمر وشواهده من حديث أبى سعيد الخدرى وجابر وأبى هريرة وأقربها إلى ماهنا لفظ أبى هريرة عن خ ، م كمافى المنذرى (٢) تمامه « يساقون إلى السجن فى جهنم يقال له بولس تعلوهم نار الأنيار يسقون من عصارة أهل النار طينة الخبال » رواه النسائى من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عبد الله بن عمرو بن العاص اهـ منه .

وقال صلى الله عليه وسلم : « قال الله تعالى العظمة إزارى والكبرياء ردائى فمن نازعنى فيهما ألقيته فى النار » رواه مسلم . المنازعة : المجاذبة .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « اختصمت الجنة والنار ، فقالت الجنة : مالى لايدخلنى إلا ضعفاء الناس وسقطهم ، وقالت النار : أوثرت بالجبارين والمتكبرين » الحديث[1] ، وقال تعالى : (وَلاَ تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ) أى لا تمل خدك معرضاً متكبراً . والمرح : التبختر .

وقال سلمة بن الأكوع : « أكل رجل عند رسول الله صل الله عليه وسلم بشماله ، فقال : كل بيمينك ، قال : لا أستطيع ، فقال : لا استطعت ، ما منعه إلا الكبر ، فما رفعها إلى فيه بعد » رواه مسلم ، وقال[2] عليه الصلاة والسلام : « ألا أخبركم بأهل النار كل عتل جواظ مستكبر » . العتل : الغليظ الجافى ، والجواظ : الجموع المنوع ، وقيل : الضخم المختال فى مشيته ، وقيل : القصير البطين .

وعن ابن عمر[3] رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ما من رجل يختال فى مشيته ويتعاظم فى نفسه إلا لقى الله وهو عليه غضبان » وصح[4] من حديث أبى هريرة أول ثلاثة يدخلون النار : أمير مسلط أى ظالم ، وغنى لا يؤدى الزكاة ، وفقير فخور . وفى صحيح البخارى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم : المسبل والمنان والمنفق سلعته بالحلف الكاذب » والمسبل هو الذى

---

(١) تمامه « فقضى الله بينهما إنك الجنة رحمتى أرحم بك من أشاء وإنك النار عذابى أعذب بك أشاء ولكليكما ملؤها » رواه مسلم من حديث أبى سعيد الخدرى اه منذرى (٢) رواه البخارى ومسلم من حديث حارثة عن وهب اه منذرى .

(٣) رواه الطبرانى فى الكبير ورواته محتج فى الصحيح والحاكم وقال الصحيح على شرط مسلم اه منه (٤) رواه ابن خزيمة وابن حبان فى صحيحهما اه منه .

يسبل إزاره أو ثيابه أو سراويله حتى يكون إلى قدميه ؛ لأنه صلى الله عليه وسلم قال[١] : « ما أسفل من الكعبين من الإزار فهو فى النار » .

وأشر الكبر الذى فيه من يتكبر على العباد بعلمه ويتعاظم فى نفسه بفضيلته ، فإن هذا لم ينفعه علمه ، فإن من طلب العلم للآخرة كسره علمه وخشع قلبه ، واستكانت نفسه بالمرصاد فلا يفترغها بل يحاسبها كل وقت ويتفقدها فإن غفل عنها جمحت عن الطريق المستقيم وأهلكته . ومن طلب العلم للفخر والرياسة وبطر على المسلمين وتحامق عليهم وازدراهم فهذا من أكبر الكبر ، ولا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

الكبيرة الثامنة عشرة : شهادة الزور

قال الله تعالى : (وَالَّذِينَ لاَ يَشْهَدُونَ الزُّورَ) الآية ، وفى الأثر[٢] عدلت شهادة الزور الشرك بالله تعالى مرتين ، وقال تعالى : (وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ) وفى الحديث[٣] لا تزول قدما شاهد الزور يوم القيامة حتى تجب له النار .

قال المصنف رحمه الله تعالى : شاهد الزور قد ارتكب عظائم :

أحدها : الكذب والافتراء قال الله تعالى : (إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ) وفى الحديث[٤] «يطبع المؤمن على كل شىء ليس الخيانة والكذب» .

وثانيها : أنه ظلم الذى شهد عليه حتى أخذ بشهادته ماله وعرضه وروحه .

---

(١) رواه خ ، من حديث أبى هريرة اه منذرى . (٢) هذا الحديث من رواية خريم بن فاتك مرفوعا فذكره قال : ثم قرأ (فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور حنفاء لله غير مشركين به) رواه أبو داود هذا لفظه والترمذى وابن ماجه ورواه الطبرانى فى الكبير موقوفا على ابن مسعود باسناد حسن اه منذرى .

(٣) رواه ابن ماجه والحاكم وقال صحيح الإسناد من حديث ابن عمر بلفظ «لن تزول . » الخ (٤) تقدم فى الكبيرة الرابعة عشرة تخريجه .

وثالثها : أنه ظلم الذى شهد له بأن ساق إليه المال الحرام فأخذه بشهادته فوجبت له النار ، وقال[١] صلى الله عليه وسلم : « من قضيت له من مال أخيه بغير حق فلا يأخذه فإنما أقطع له قطعة من نار » .

ورابعها : أنه أباح ما حرّم الله تعالى وعصمه من المال والدم والعرض ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا أنبئكم بأكبر الكبائر الإشراك بالله وعقوق الوالدين ألا وقول الزور ألا وشهادة الزور » فما زال يكررها حتى قلنا : ليته سكت ، رواه البخارى[٢] ، فنسأل الله تعالى السلامة والعافية من كل بلاء .

الكبيرة التاسعة عشرة : شرب الخمر

قال الله تعالى : (يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ، إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ) فقد نهى الله عز وجل فى هذه الآية عن الخمر وحذر منها ، وقال النبى[٣] صلى الله عليه وسلم : « اجتنبوا الخمر فإنها أم الخبائث » فمن لم يجتنبها فقد عصى الله ورسوله واستحق العذاب بمعصية الله ورسوله ، قال الله تعالى : (وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ) وعن ابن عباس[٤] رضى الله عنهما

---

(١) متفق عليه من حديث أم سلمة ونحوه فى أبى داود اه مشكاة .

(٢) ومسلم والترمذى من حديث أبى بكرة اه منه

(٣) رواه الحاكم من حديث ابن عباس بلفظ « فانها مفتاح كل شر » وقال صحيح الإسناد وفى حديث عثمان مرفوعا اجتنبوا أم الخبائث فانه كان رجل ممن كان قبلكم الخ فذكر قصة ــ رواه حب ، هق مرفوعا وموقوفا وذكر أنه المحفوظ اه منذرى .

(٤) رواه الطبرانى وقال رجاله رجال الصحيح اه منذرى

قال : لما نزل تحريم الخمر مشى الصحابة بعضهم إلى بعض وقالوا : حرّمت الخمر وجعلت عدلا للشرك .

وذهب[١] عبد الله بن عمرو إلى أن الخمر أكبر الكبائر ، وهى بلا ريب أمّ الخبائث وقد لعن شاربها فى غير حديث[٢] ، وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كل مسكر خمر ، وكل خمر حرام ، ومن شرب الخمر فى الدنيا ومات ولم يتب منها وهو مدمنها لم يشربها فى الآخرة » رواه مسلم[٣] .

وروى مسلم[٤] عن جابر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إنّ على الله عهداً لمن شرب المسكر أن يسقيه الله من طينة الخبال » قيل : يا رسول الله وما طينة الخبال ؟ قال : « عرق أهل النار أو عصارة أهل النار » .

وفى الصحيحين أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من شرب الخمر فى الدنيا يحرمها فى الآخرة » .

ذكر أنّ مدمن الخمر كعابد وثن رواه الإمام أحمد فى مسنده من حديث أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مدمن الخمر كعابد وثن » .

ذكر أن مدمن الخمر إذا مات ولم يتب لا يدخل الجنة روى النسائى[٥] من حديث ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يدخل الجنة عاق ولا مدمن خمر » وفى رواية « ثلاثة قد حرم الله عليهم الجنة مدمن الخمر والعاق لوالديه والديوث وهو الذى يقر السوء فى أهله » .

---

(١) رواه الطبرانى مع قصة باسناد صحيح ورواه الحاكم وقال صحيح على شرط مسلم اه منه . (٢) من ذلك حديث ابن عمر عن د ، ه حديث أنس عن ه ، ت . حديث ابن عباس عن د وأحمد ، حب ، لك . (٣) خ ، د ، ت ى ، هق .
(٤) والنسائى . (٥) وأحمد والبزار والحاكم وقال صحيح الإسناد .

ذكر أن السكران لا يقبل الله منه حسنة ، روى[١] جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ثلاثة لا تقبل لهم صلاة ولا ترفع لهم حسنة إلى السماء : العبد الآبق حتى يرجع إلى مواليه فيضع يده فى أيديهم ، والمرأة الساخط عليها زوجها حتى يرضى عنها ، والسكران حتى يصحو » .

والخمر ما خامر العقل أى غطاه سواء كان رطباً أو يابساً أوماً كولا [أو] مشروباً وعن أبى سعيد[٢] الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يقبل الله لشارب الخمر صلاة ما دام فى جسده شيء منها » وفى رواية « من شرب الخمر لم يقبل الله منه شيئاً ومن سكر منها لم تقبل له صلاة أربعين صباحا ، فإن تاب ثم عاد كان حقا على الله أن يسقيه من مهل جهنم » وقال[٣] رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من شرب الخمر ولم يسكر أعرض الله عنه أربعين ليلة ، ومن شرب الخمر وسكر لم يقبل الله منه صرفا ولا عدلا أربعين ليلة فإن مات فيها مات كعابد وثن وكان حقا على الله أن يسقيه من طينة الخبال ، قيل : يا رسول الله وما طينة الخبال ؟ قال : عصارة أهل النار القيح والدم » .

وقال عبد الله بن أبى أوفى : من مات مدمن للخمر مات كعابد اللات والعزى قيل أرأيت مدمن الخمر هو الذى لا يستفيق من شربها قال لا ولكن هو الذى يشربها إذا وجدها ولو بعد سنين .

ذكر أن من شرب الخمر لا يكون مؤمناً حين يشربها عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم : « لا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن

(١) رواه ابنا خزيمة وابن حبان فى صحيحهما والبيهقى والطبرانى فى الأوسط اهمنه

(٢) ذكره فى اللآلئ المصنوعة عن عبد بن حميد بسنده إلى أبى سعيد الخدرى

(٣) روى بألفاظ نحو مما هنا أقربها حديث عبد الله بن عمرو عند حب فى صحيحه والحاكم مختصراً وكذا حديث عبدالله بن عمر عند ت وحسنه والحاكم وصححه وس ووقفه عليه مختصراً أفادة المنذرى .

والتوبة معروضة بعد » أخرجه البخارى [١] وفى الحديث [٢] « من زنى أو شرب الخمر نزع الله منه الإيمان كما يخلع الإنسان القميص من رأسه » وفيه من شرب الخمر ممسيا أصبح مشركا ومن شربها مصبحا أمسى مشركا وفيه [٣] عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن رائحة الجنة لتوجد من مسيرة خمسمائة عام ولا يجد ريحها عاق ولا منان ولا مدمن خمر ولا عابد وثن » وروى [٤] الإمام أحمد من حديث أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يدخل الجنة مدمن خمر ولا مؤمن بسحر ولا قاطع رحم ومن مات وهو يشرب الخمر سقاه الله من نهر الغوطة وهو ماء يجرى من فروج المومسات ــ أى الزانيات يؤذى أهل النار ريح فروجهن » .

وقال رسول [٥] الله صلى الله عليه وسلم « إن الله بعثنى رحمة وهدى للعالمين بعثنى لأمحق المعازف والمزامير وأمر الجاهلية وأقسم ربى تعالى بعزته لا يشرب عبد من عبيدى جرعة من الخمر إلا سقيته مثلها من حميم جهنم ، ولا يدعها عبد من عبيدى من مخافتى إلا سقيته إياها فى حظائر القدس مع خير الندماء » .

ذكر من لعن فى الخمر . وروى أبو داود [٦] أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لعنت الخمر بعينها وشاربها وساقيها وبائعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها

(١) م ، د ، ت ، س وقوله « والتوبة معروضة بعد » من زيادة مسلم وأبى داود أفاده المنذرى . (٢) رواه الحاكم من حديث أبى هريرة اهـ منه .

(٣) رواه الطبرانى فى الصغير من حديث أبى هريرة وأشار المنذرى إلى ضعفه اهـ منه

(٤) وأبو يعلى وابن حبان فى صحيحه والحاكم وصححه اهـ منه .

(٥) رواه أحمد من حديث أبى أمامة من طريق على بن يزيد يعنى الألهانى فيه خلاف والأكثر على تضعيفه اهـ منه .

(٦) رواه من حديث ابن عمر بلفظ « لعن الله الخمر الخ » ولفظ وآكل ثمنها من زيادة ابن ماجه وشاهده من حديث أنس عند ت ، هـ كما فى المنذرى

وحاملها والمحمولة إليه وآكل ثمنها » ورواه الإمام [١] أحمد من حديث ابن عباس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « أتاني جبريل عليه السلام فقال يامحمد إن الله لعن الخمر وعاصرها ومعتصرها وبائعها ومبتاعها وشاربها وآكل ثمنها وحاملها والمحمولة إليه وساقيها ومستقيها » .

ذكر النهى عن عيادة شربة الخمر إذا مرضوا وكذلك لايسلم عليهم . عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال : « لا تعودوا شرَّاب الخمر إذا مرضوا » قال البخارى وقال ابن عمر لاتساموا على شربة الخمر وقال [٢] صلى الله عليه وسلم « لاتجالسوا شراب الخمر ولا تعودوا مرضاهم ولا تشهدوا جنائزهم وإن شارب الخمر يجىء يوم القيامة مسودا وجهه مدلعا لسانه على صدره يسيل لعابه يقذره كل من رآه عرفه أنه شارب خمر » .

قال بعض العلماء وإنما نهى عن عيادتهم والسلام عليهم لأن شارب الخمر فاسق ملعون قد لعنه الله ورسوله كما تقدم فى قوله لعن الله الخمر وشاربها الحديث . فإن اشتراها وعصرها كان ملعوناً مرتين وإن سقاها لغيره كان ملعونا ثلاث مرات فلذلك نهى عن عيادته والسلام عليه إلا أن يتوب فمن تاب تاب الله عليه .

ذكر أن الخمر لا يحل التداوى بها . عن أم سلمة [٣] رضى الله عنها قالت اشتكت ابنة لى فنبذت لها فى كوز ، فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يغلى فقال : « ما هذا يا أم سلمة ؟ » فذكرت له أنى أداوى به ابنتى

---

(١) أى بسند صحيح وابن حبان فى صحيحه والحاكم وقال صحيح الإسناد اه منذرى

(٢) ذكره ابن الجوزى فى الموضوعات عن ابن عدى بسنده إلى ابن عمر وقال موضوع فيه ضعفاء ليث وجعفر بن الحارث أبو الأشهب وأبو مطيع ، وله طرق أخرى لاترفعه عن الحضيض .

(٣) رواه البيهقى وأبو يعلى وشاهده عن ابن مسعود بن أحمد والحاكم وعلقمة والبخارى عن ابن مسعود بصيغة الجزم

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنّ الله تعالى لم يجعل شفاء أمتى فيما حرّم عليها » .

ذكر أحاديث متفرقة رويت فى الخمر . من ذلك ما ذكره أبو نعيم فى الحلية عن أبى موسى رضى الله عنه قال أتى النبى صلى الله عليه وسلم بنبيذ فى جرة له نشيش فقال: « اضربوا بهذا الحائط فإنّ هذا شراب من لا يؤمن بالله واليوم الآخر » .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من كان فى صدره آية من كتاب الله وصب عليها الخمر يجىء يوم القيامة كل حرف من تلك الآية فيأخذ بناصيته حتى يوقفه بين يدى الله تبارك وتعالى فيخاصمه ومن خاصمه القرآن خصم فالويل لمن كان القرآن خصمه يوم القيامة » وجاء عن النبى صلى الله عليه وسلم : « ما من قوم اجتمعوا على مسكر فى الدنيا إلا جمعهم الله فى النار فيقبل بعضهم على بعض يتلاومون يقول أحدهم للآخر يا فلان لاجزاك الله عنى خيراً فأنت الذى أوردتنى هذا المورد ، ويقول له الآخر مثل ذلك » وجاء عن النبى صلى الله عليه وسلم «من شرب الخمر فى الدنيا سقاه الله من سم الأساودة شربة يتساقط لحم وجهه فى الإناء قبل أن يشربها فإذا شربها تساقط لحمه وجلده يتأذى به أهل النار ، ألا وشاربها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه وآكل ثمنها شركاء فى إثمها ، لا يقبل الله منهم صلاة ولا صوماً ولا حجاً حتى يتوبوا ، فإن ماتوا قبل التوبة كان حقاً على الله أن يسقيهم بكل جرعة شربوها فى الدنيا من صديد جهنم ، ألا وكل مسكر خمر وكل خمر حرام » .

ويدخل فى قوله صلى الله عليه وسلم : كل مسكر خمر : الحشيشة ، كما سيأتى الكلام عليها إن شاء الله تعالى .

وروى إن شربة الخمر إذا أتوا على الصراط يتخطفهم الزبانية إلى نهر الخبال ، فيسقون بكل كأس شربوها من الخمر شربة من نهر الخبال ، فلو أن تلك الشربة تصب من السماء لأحرقت السموات من حرها نعوذ بالله منها .

ذكر الآثار عن السلف فى الخمر ذكر عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : إذا مات شارب الخمر فادفنوه ثم اصلبوه على خشبة ثم انبشوا عنه قبره فإن لم تروا وجهه مصروفاً عن القبلة و إلا فاتركوه مصلوباً ، وعن الفضيل بن عياض أنه حضر عند تلميذ له حضرته الوفاة فجعل يلقنه الشهادة ولسانه لا ينطق بها فكررها عليه فقال لا أقولها وأنا برىء منها ثم مات فخرج الفضيل من عنده وهو يبكى ثم رآه بعد مدّة فى منامه وهو يسحب به إلى النار فقال له : يا مسكين بم نزعت منك المعرفة فقال يا أستاذ كان بى علة فأتيت بعض الأطباء فقال لى لا تشرب فى كل سنة قدحاً من الخمر و إن لم تفعل تبقى بك علتك ؛ فكنت أشربها فى كل سنة لأجل التداوى فهذا حال من يشربها للتداوى فكيف حال من يشربها لغير ذلك نسأل الله العفو والعافية من كل بلاء .

وسئل بعض التائبين عن سبب توبته فقال : كنت أنبش القبور فرأيت فيها أمواتاً مصروفين عن القبلة فسألت أهليهم عنهم فقالوا كانوا يشربون الخمر فى الدنيا وماتوا من غير توبة ، وقال بعض الصالحين : مات لى ولد صغير فلما دفنته رأيته بعد موته فى المنام وقد شاب رأسه فقلت يا ولدى دفنتك وأنت صغير فما الذى شيبك فقال يا أبتى دفن إلى جانبى رجل ممن كان يشرب الخمر فى الدنيا فزفرت جهنم لقدومه زفرة لم يبق منها طفل إلا شاب رأسه من شدة زفرتها . نعوذ بالله منها ونسأل الله العفو والعافية مما يوجب العذاب فى الآخرة .

فالواجب على العبد أن يتوب إلى الله تعالى قبل أن يدركه الموت وهو على أشر حالة فيلقى فى النار نعوذ بالله منها .

فصل

والحشيشة المصنوعة من ورق القنب حرام كالخمر يحدّ شاربها كما يحدّ شارب الخمر وهى أخبث من الخمر من جهة أنها تفسد العقل والمزاج حتى يصير فى الرجل تخنث ودياثة وغير ذلك من الفساد والخمر أخبث من جهة أنها تفضى إلى المخاصمة والمقاتلة وكلاهما يصد عن ذكر الله وعن الصلاة .

وقد توقف بعض العلماء المتأخرين فى حدها ورأى أن أكلتها تعزر بما دون الحد حيث ظنها تغير العقل من غير طرب بمنزلة البنج ولم يجد للعلماء المتقدمين فيها كلاماً وليس كذلك بل أكلتها ينتشون و يشتهونها كشراب الخمر وأكثر حتى لا يصبروا عنها وتصدهم عن ذكر الله وعن الصلاة إذا أكثروا منها مع ما فيها من الدياثة والتخنث وفساد المزاج والعقل وغير ذلك لكن لما كانت جامدة مطعومة ليست شراباً تنازع العلماء فى نجاستها على ثلاثة أقوال فى مذهب الإمام أحمد وغيره فقيل هى نجسة كالخمر المشروبة وهذا هو الاعتبار الصحيح وقيل لا لجمودها ، وقيل يفرق بين جامدها ومائعها ، و بكل حال فهى داخلة فيما حرم الله ورسوله من الخمر المسكر لفظاً ومعنى . قال أبوموسى يا رسول الله أفتنا فى شرابين كنا نصنعهما باليمين « البتع » وهو من العسل ينبذ حتى يشتد ، و « المزر » وهو من الذرة والشعير ينبذ حتى يشتد قال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أعطى جوامع الكلم بخواتمه فقال صلى الله عليه وسلم : « كل مسكر حرام » رواه مسلم وقال صلى الله عليه وسلم: « ما أسكر كثيره فقليله حرام » ولم يفرق صلى الله عليه وسلم بين نوع ونوع لكونه مأكولا أو مشروباً على أن الخمر قد يصطبغ بها يعنى الخبز وهذه الحشيشة قد تذاب بالماء وتشرب والخمر يشرب و يؤكل والحشيشة تشرب وتؤكل و إنما لم يذكرها العلماء لأنها لم تكن على عهد السلف الماضين و إنما حدثت فى مجىء التتار إلى بلاد الإسلام وقد قيل فى وصفها شعراً :

فآكلها وزارعها حلالا فتلك على الشقى مصيبتان

فوالله ما فرح إبليس بمثل فرحه بالحشيشة لأنه زينها للأنفس الخسيسة فاستحلوها واسترخصوها :

قل لمن يأكل الحشيشة جهلا عشت فى أكلها بأقبح عيشه

قيمة المرء جوهر فلماذا يا أخا الجهل بعته بحشيشه

(حكاية) : عن عبد الملك بن مروان أن شابًّا جاء إليه باكياً حزيناً فقال :

يا أمير المؤمنين إني ارتكبت ذنباً عظيما فهل لى من توبة ؟ فقال : وما ذنبك قال : ذنبي عظيم . قال : وما هو فتب إلى الله تعالى فإنه يقبل التوبة عن عباده و يعفو عن السيئات . قال : يا أمير المؤمنين كنت أنبش القبور وكنت أرى فيها أموراً عجيبة قال وما رأيت قال يا أمير المؤمنين نبشت ليلة قبراً فرأيت صاحبه قد حول وجهه عن القبلة فخفت منه وأردت الخروج و إذا أنا بقائل يقول فى القبر ألا تسأل عن الميت لماذا حول وجهه عن القبلة فقلت لماذا حول قال لأنه كان مستخفا بالصلاة فهذا جزاء مثله ثم نبشت قبراً آخر فرأيت صاحبه قد حول خنزيراً ، وقد شد بالسلاسل والأغلال فى عنقه فخفت منه وأردت الخروج و إذا بقائل يقول لى ألا تسأل عن عمله ، ولماذا يعذب فقلت لماذا فقال : كان يشرب الخمر فى الدنيا ومات من غير توبة ، والثالث يا أمير المؤمنين نبشت قبراً فوجدت صاحبه قد شد بالأرض بأوتاد من نار ، وأخرج لسانه من قفاه فخفت ورجعت وأردت الخروج فنوديت ألا تسأل عن حاله لماذا ابتلى فقلت لماذا ؟ فقال : كان لا يتحرز من البول وكان ينقل الحديث بين الناس فهذا جزاء مثله ، والرابع يا أمير المؤمنين نبشت قبراً فوجدت صاحبه قد اشتعل ناراً فخفت منه وأردت الخروج فقيل ألا تسأل عنه وعن حاله ؛ فقلت : وما حاله ؟ فقال : كان تاركا للصلاة ، والخامس يا أمير المؤمنين نبشت قبراً فرأيته قد وسع على الميت مد البصر وفيه نور ساطع ، والميت نائم على سرير ، وقد أشرق نوره وعليه ثياب حسنة فأخذتنى منه هيبة وأردت الخروج فقيل لى هلا تسأل عن حاله لماذا أكرم بهذه الكرامة فقلت لماذ أكرم فقيل لى لأنه كان شابًا طائعاً نشأ فى طاعة الله عز وجل وعبادته ؛ فقال عبد الملك عند ذلك إن فى هذا لعبرة للعاصين و بشارة للطائعين فالواجب على المبتلى بهذه المعاتب المبادرة إلى التوبة والطاعة . جعلنا الله و إياكم من الطائعين ، وجنبنا أفعال الفاسقين إنه جواد كريم .

الكبيرة العشرون : القمار

قال الله تعالى: (يَاأَيُّهَا الذين آمنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنْصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * إِنمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَعَنِ الصَّلاَةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ) والميسر هو القمار بأى نوع كان نرد أو شطرنج أو فصوص أو كعاب أو جوز أو أبيض أو حصى أو غير ذلك ، وهو من أكل أموال الناس بالباطل الذى نهى الله عنه بقوله : (ولا تأكلوا أموالكم بَيْنَكم بِالْبَاطِلِ) وداخل فى قول النبى صلى الله عليه وسلم[1] : « إن رجالا يتخوضون فى مال الله بغير حق فلهم النار يوم القيامة » ، وفى صحيح البخارى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من قال لصاحبه تعال أقامرك فليتصدق » فإذا كان مجرد القول يوجب الكفارة أو الصدقة فما ظنك بالفعل .

فصل

اختلف العلماء فى النرد والشطرنج إذا خليا عن رهن فاتفقوا على تحريم اللعب بالنرد لما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من لعب بالنرد شير فكأنما صبغ يده فى لحم الخنزير ودمه » أخرجه مسلم ، وقال صلى الله عليه وسلم[2] : « من لعب بالنرد فقد عصى الله ورسوله » ، وقال ابن عمر رضى الله عنه اللاعب بالنرد قمارا كآكل لحم الخنزير واللاعب بها من غير قمار كالرهن بودك الخنزير .

قال وأما الشطرنج فأكثر العلماء على تحريم اللعب بها سواء كان برهن أو بغيره أما بالرهن فهو قمار بلا خلاف ، وأما الكلام إذا خلا عن الرهن فهو

(١) رواه البخارى كما قاله المؤلف فى الرسالة الصغرى . (٢) رواه مالك ، د ، ه ، ك ، هق وقال ك صحيح على شرطهما

أيضاً قمار حرام عند أكثر العلماء وحكى إباحته فى رواية عن الشافعى إذا كان فى خلوة ولم يشغل عن واجب ولا عن صلاة فى وقتها وسئل النووى رحمه الله عن اللعب بالشطرنج أحرام أم جائز فأجاب رحمه الله تعالى هو حرام عند أكثر أهل العلم ، وسئل أيضا رحمه الله عن لعب الشطرنج هل يجوز أم لا وهل يأثم اللاعب بها أم لا أجاب رحمه الله إن فوت به صلاة عن وقتها أو لعب بها على عوض فهو حرام و إلا فمكروه عند الشافعى وحرام عند غيره ، وهذا كلام النووى فى فتاويه .

والدليل على تحريمه على قول الأكثرين فى قوله تعالى : (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ) إلى قوله : (وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالأَزْلَامِ) قال سفيان ووكيع بن الجراح هى الشطرنج ، وقال علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه الشطرنج ميسر الأعاجم ، ومر رضى الله عنه على قوم يلعبون بها فقال ما هذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون لأن يمس أحدكم جمراً حتى يطفى خير له من أن يمسها . ثم قال والله لغير هذا خلقتم ، وقال أيضا رضى الله عنه صاحب الشطرنج أكذب الناس يقول أحدهم قتلت وما قتل ومات وما مات ، وقال أبو موسى الأشعرى رضى الله تعالى عنه لا يلعب بالشطرنج إلا خاطىء وقيل لإسحاق بن راهويه أترى فى اللعب بالشطرنج بأس فقال البأس كله فيه وقيل له إن أهل الثغور يلعبون بها لأجل الحرب فقال هو فجور ، وسئل محمد بن كعب القرظى عن اللعب بالشطرنج فقال أدنى ما يكون فيها أن اللاعب بها يعرض يوم القيامة أو قال يحشر يوم القيامة مع أصحاب الباطل .

وسئل ابن عمر رضى الله عنهما عن الشطرنج فقال هى أشر من النرد وتقدم الكلام على تحريمه ، وسئل الإمام مالك بن أنس رحمه الله عن الشطرنج فقال الشطرنج من النرد بلغنا عن ابن عباس أنه ولى مالا ليتيم فوجدها فى تركة والد اليتيم فأحرقها ولو كان اللعب بها حلالا لما جاز له أن يحرقها

لكونها مال اليتيم ولكن لما كان اللعب بها حراما أحرقها فتكون من جنس الخمر إذا وجد فى مال اليتيم وجبت إراقته كذلك الشطرنج وهذا مذهب حبر الأمة رضى الله عنه وقيل لإبراهيم النخعى ما تقول فى اللعب بالشطرنج ؟ قال : إنها ملعونة .

وروى [١] أبو بكر الأثرم فى جامعه عن واثلة بن الأسقع عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال إن لله فى كل يوم ثلثمائة وستين نظرة إلى خلقه ليس لصاحب الشاه فيها نصيب يعنى لاعب الشطرنج لأنه يقول شاه ، وروى أبو بكر الآجرى بإسناده عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إذا مررتم بهؤلاء الذين يلعبون بهذه الأزلام البرد والشطرنج وما كان من اللهو فلا تسلموا عليهم فإنهم إذا اجتمعوا وأكبوا عليها جاءهم الشيطان بجنوده فأحدق بهم كلما ذهب واحد منهم يصرف بصره عنها لكزه الشيطان بجنوده فلا يزالون يلعبون حتى يتفرقوا كالكلاب اجتمعت على جيفة فأكلت منها حتى ملأت بطونها ثم تفرقت ولأنهم يكذبون عليها فيقولون شاه مات وروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال [٢] «أشد الناس عذاباً يوم القيامة صاحب الشاه ـ يعنى صاحب الشطرنج ـ ألا تراه يقول قتلته والله مات والله افترى وكذب على الله » .

وقال مجاهد : مامن ميت يموت إلا مثل له جلساؤه الذين كان يجالسهم ، فاحتضر رجل ممن كان يلعب بالشطرنج ، فقيل له : قل لا إله إلا الله ، فقال شاهك ثم مات ، فغلب على لسانه ما كان يعتاده حال حياته فى اللعب ، فقال عوض كلمة الإخلاص شاهك وهذا كما جاء فى إنسان آخر ممن كان يجالس شراب الخمر أنه حين حضره الموت ، فجاءه إنسان يلقنه الشهادة ، فقال له : اشرب واسقنى

---

(١) أحمد بن محمد بن هانىء أبو بكر الأثرم البغدادى صاحب الإمام أحمد المتوفى سنة ٢٧٣ هـ . (٢) قال المنذرى فى الترغيب : وقد ورد ذكر الشطرنج فى أحاديث لا أعلم لشىء منها إسنادا صحيحاً ولا حسناً والله أعلم .

ثم مات فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم . وهذا كما جاء فى حديث مروى : يموت كل إنسان على ما عاش عليه و يبعث[١] على ما مات عليه ، فنسأل الله المنان بفضله أن يتوفانا مسلمين لامبدلين ولا مغيرين ولاضالين ولا زائغين إنه جواد كريم .

الكبيرة الحادية والعشرون · قذف المحصنات

قال الله تعالى : (إِنَّ الذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) وقال الله تعالى : (وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) بين الله تعالى فى الآية أن من قذف امرأة محصنة حرة عفيفة عن الزنا والفاحشة أنه ملعون فى الدنيا والآخرة وله عذاب عظيم ، وعليه فى الدنيا الحدّ ثمانون جلدة وتسقط شهادته و إن كان عدلا .

وفى الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اجتنبوا السبع الموبقات » فذكر منها قذف المحصنات الغافلات المؤمنات ، والقذف أن يقول لامرأة أجنبية حرة عفيفة مسلمة : يا زانية أو يا باغية أو يا قحبة ، أو يقول لزوجها : يا زوج القحبة ، أو يقول لولدها : يا ولد الزانية أو يا ابن القحبة ، أو يقول لبنتها : يا بنت الزانية أو يا بنت القحبة ، فإن القحبة عبارة عن الزانية ، فإذا قال ذلك أحد من رجل أو امرأة لرجل أو لامرأة كمن قال لرجل : يا زانى ، أو قال لصبى حر ياعلق أو يامنكوح وجب عليه الحدّ ثمانون جلدة إلا أن يقيم بينة بذلك ، والبينة ما قال الله أربعة شهداء يشهدون على صدقه فيما قذف به تلك المرأة أو ذلك الرجل فإن لم يقم بينة جلد إذا طالبته بذلك التى قذفها أو إذا طالبه بذلك الذى قذفه ،

---

(١) روى مسلم ، بلفظ آخر « يبعث كل عبد على ما مات عليه » ذكره فى أسنى المطالب

وكذلك إذا قذف مملوكه أو جاريته بأن قال لمملوكه : يا زانى ، أو لجاريته يا زانية أو يا باغية أو يا قحبة لما ثبت فى الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من قذف مملوكه بالزنا أقيم عليه الحدّ يوم القيامة إلا أن يكون كما قال » وكثير من الجهال واقعون فى هذا الكلام الفاحش الذى عليهم فيه العقوبة فى الدنيا والآخرة ، ولهذا ثبت فى الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن الرجل ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزل[١] بها فى النار أبعد مما بين المشرق والمغرب » فقال له معاذ بن جبل : يا رسول الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به ، فقال : « ثكلتك[٢] أمك يا معاذ ، وهل يكب الناس فى النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم » وفى الحديث[٣] « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت » وقال تبارك وتعالى فى كتابه العزيز : (ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد) وقال عقبة بن عامر[٤] : يا رسول الله ، ما النجاة ؟ قال « أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك ، وإن أبعد الناس إلى الله القلب القاسى » .

وقال صلى الله عليه وسلم[٥] : « إن أبغض الناس إلى الله الفاحش البذى الذى يتكلم بالفحش وردى الكلام » وقانا الله وإياكم شر ألسنتنا بمنه وكرمه إنه جواد كريم[٦] .

---

(١) يزل أى يهوى من الزلل بالراى (٢) أى فقدتك ولا يقصد معناه وإنما يجرى على لسانهم عفواً . (٣) رواه خ ، م فى ضمن حديث إكرام الضيف والنهى عن أذى الجار من المنذرى (٤) رواه د . ت وحسنه وابن أبى الدنيا كلهم من طريق عبيد الله بن زحر عن على بن يزيد عن القاسم عن أبى أمامة عنه .

(٥) فى معناه حديث عبد الله بن عمرو مرفوعا «إياكم والفحش فان الله لا يحب الفحش ولا التفحش» رواه النسائى فى سننه الكبرى فى التفسير منها والحاكم وصححه وكذلك حديثه « الجنة حرام على كل فاحش أن يدخلها» رواه ابن أبى الدنيا وأبو نعيم وحديث ابن مسعود مرفوعا «ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذى» رواه الترمذى باسناد صحيح أفاده العراقى (٦) فائدة : قال المؤلف فى الصغرى : =

الكبيرة الثانية والعشرون : الغلول من الغنيمة

وهى من بيت المال ومن الزكاة قال الله تعالى : (إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الْخَائِنِينَ) وقال تعالى : (وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فذكر الغلول فعظمه وعظم أمره ثم قال : « لا ألفين[1] أحدكم يجىء يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء[2] يقول : يا رسول الله أغثنى ، فأقول : لا أملك لك من الله شيئاً قد أبلغتك ، لا ألفين أحدكم يجىء يوم القيامة على رقبته فرس له حمحمة[3] ، فيقول : يا رسول الله أغثنى ، فأقول : لا أملك لك من الله شيئاً قد أبلغتك ، لا ألفين أحدكم يجىء يوم القيامة على رقبته شاة لها ثغاء[4] يقول : يا رسول الله أغثنى ، فأقول : لا أملك لك من الله شيئاً قد أبلغتك ، لا ألفين أحدكم يجىء يوم القيامة على رقبته نفس لها صياح فيقول : يا رسول الله أغثنى ، فأقول : لا أملك لك من الله شيئاً قد أبلغتك ، لا ألفين أحدكم يجىء يوم القيامة على رقبته رقاع تخفق فيقول : يا رسول الله أغثنى ، فأقول : لا أملك لك من الله شيئاً قد أبلغتك ، لا ألفين أحدكم يجىء يوم القيامة على رقبته صامت فيقول : يا رسول الله أغثنى ، فأقول : لا أملك لك من الله شيئاً قد أبلغتك » أخرج هذا الحديث مسلم[5] .

(قوله) على رقبته رقاع تخفق أى ثياب وقماش (قوله) على رقبته صامت

= وأما من قذف أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها بعد نزول براءتها من السماء فهو كافر مكذب للقرآن فيقتل كفرا .

(١) أى لاأجدن (٢) الرغاء صوت البعير . (٣) الحمحمة صوت الفرس .

(٤) الثغاء صوت الشاة (٥) يعنى بها اللفظ وإلا فقدت عزاه فى الترغيب للبخارى أيضا وقال واللفظ لمسلم .

أى من ذهب أو فضة ، فمن أخذ شيئاً من هذه الأنواع المذكورة من الغنيمة قبل أن تقسم بين الغانمين ، أو من بيت المال بغير إذن الإمام ، أو من الزكاة التى تجمع للفقراء جاء يوم القيامة حامله على رقبته ، كما ذكر الله تعالى فى القرآن : (وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)

ولقول النبى صلى الله عليه وسلم : « أدوا الخيط والمخيط و إياكم والغلول فإنه عار على صاحبه يوم القيامة » ولقول النبى صلى الله عليه وسلم لما استعمل ابن اللتبية على الصدقة وقدم وقال : هذا لكم وهذا أهدى إلى فصعد النبى صلى الله عليه وسلم المنبر وحمد الله وأثنى عليه إلى أن قال : « والله لا يأخذ لقى أحد منكم شيئاً بغير حقه إلا جاء يوم القيامة يحمله فلا أعرفن رجلا منكم الله يحمل بعيراً له رغاء أو بقرة لها خوار أو شاة تيعر ، ثم رفع يده صلى الله عليه وسلم فقال : اللهم هل بلغت »[1] .

وعن أبى هريرة قال[2] : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى خيبر (ففتح علينا) فلم نغنم ذهباً ولا ورقاً غنمنا المتاع (الطعام) والثياب ثم انطلقنا إلى الوادى (يعنى وادى القرى) ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد وهبه له رجل من بنى جذام (يدعى رفاعة بن يزيد من بنى الضبيب) فلما نزلنا (الوادى) قام عبد رسول الله صلى الله عليه وسلم يحل رحله فرمى بسهم فكان فيه حتفه ، فقلنا : هنيئاً له الشهادة يا رسول الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كلا والذى نفسى بيده إن الشملة لتلتهب عليه ناراً أخذها من الغنائم لم تصبها المقاسم » قال : ففزع الناس ، فجاء رجل بشراك أو شراكين (فقال : أصبت يوم خيبر)

---

(١) رواه خ ، م من حديث أبى حميد الساعدى ، الخوار صوت البقر ، والبعار صوت الغنم اه منذرى (٢) وكذا رواه د ، ى والزيادات بين قوسين أثناء الحديث من لفظ الحديث فى الترغيب والترهيب لم تكن فى الأصل وقد كان فيه بين لفظى ذهبا وورقا كلمة قصة حذفناها لعدم وجودها فى لفظ الحديث فى الترغيب ولأنها تكرار مع لفظ ورقا ، والشملة كما قاله المنذرى كساء أصفر من القطيفة يتشح به اه

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « شراك أو شرا كان من نار » متفق عليه ، وعن عبد الله بن عمر[١] رضى الله عنهما قال : كان على ثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل يقال له كركرة فمات ؛ فقال النبي عليه الصلاة والسلام : « هو فى النار » فذهبوا ينظرون إليه فوجدوا عباءة قد غلها ، وعن زيد[٢] بن خالد الجهنى أن رجلا غل فى غزوة خيبر فامتنع النبى عليه الصلاة والسلام من الصلاة عليه وقال : « إن صاحبكم غل فى سبيل الله » قال : ففتشنا متاعه فوجدنا فيه خرزاً من خرز اليهود ما يساوى درهمين . قال الإمام أحمد رحمه الله : ما نعلم أن النبى عليه الصلاة والسلام امتنع من الصلاة على أحد إلا على الغال وقاتل نفسه . وجاء[٣] عن النبى عليه الصلاة والسلام أنه قال : « هدايا العمال غلول » .

وفى الباب أحاديث كثيرة و يأتى بعضها فى باب الظلم ، والظلم على ثلاثة أقسام (أحدها) أكل المال بالباطل (وثانيها) ظلم العباد بالقتل والضرب والكسر والجراح (وثالثها) ظلم العباد بالشتم واللعن والسب والقذف ، وقد خطب النبى عليه الصلاة والسلام بمنى فقال : « ألا إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام لحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا » متفق عليه .

وقال عليه الصلاة والسلام[٤] : « لا يقبل الله صلاة بغير طهور ولا صدقة من غلول » فنسأل الله التوفيق لما يحب و يرضى إنه جواد كريم .

الكبيرة الثالثة والعشرون : السرقة

قال الله تعالى : (وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِنَ اللهِ وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) قال ابن شهاب نكل الله بالقطع فى السرقة

---

(١) رواه خ من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص وكان فى الأصل ابن عمر غلطا فصححناه (عمرو) والثقل محركة الغنيمة وكركرة بفتح الكافين أو كسرهما أفاده المنذرى (٣) رواه مالك وأحمد د ، ى ، ه بنحو مما هنا كما فى المنذرى (٣) رواه وابن ماجه من حديث أبى حميد الساعدى وله شواهد من حديث حذيفة وابن عباس وجابر أفاده فى كشف الخفاء (٤) رواه مسلم من حديث ابن عمر اه مشكاة

عن أموال الناس والله عزيز فى انتقامه من السارق حكيم فيما أوجبه من قطع يده ، وقال [١] صلى الله عليه وسلم « لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولكن التوبة معروضة » .

عن ابن عمر [٢] رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قطع فى مجن قيمته ثلاث دراهم وعن [٣] عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول الله صلى عليه وسلم يقطع يد السارق فى ربع دينار فصاعدا . وفى رواية [٤] قال رسول الله صلى الله عايه وسلم « لا تقطع يد السارق فيما دون ثمن المجنّ » قيل لعائشة رضى الله عنها وما ثمن المجن قالت ربع دينار . وفى رواية [٥] قال اقطعوا فى ربع رينار ولا تقطعوا فيما دون ذلك وكان ربع الدينار يومئذ ثلاثة دراهم والدينار اثنى عشر درهما .

وعن أبى هريرة [٦] رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يدة ويسرق الحبل فتقطع يده » قال الأعمش كانوا يرون أنه بيض الحديد والحبل كانوا يرون أن منها ما يساوى ثمنه ثلاثة دراهم .

وعن عائشة [٧] رضى الله عنها قالت كانت مخزومية تستعير المتاع وتجحده فأمر النبى صلى الله عليه وسلم بقطع يدها فأتى أهلها أسامة بن زيد فكلموه فيها فكلم النبى صلى الله عليه وسلم فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : « يا أسامة لا أراك تشفع فى حد من حدود الله تعالى » ثم قام النبى صلى الله عليه وسلم خطيبا فقال « إنما أهلك من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف قطعوه والذى نفسى بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » فقطع يد المخزومية .

---

(١) تقدم عزوه فيما تقدم فى الكبيرة العاشرة .

(٢) متفق عليه كما فى المشكاة وبلوغ المرام (٣) متفق عليه .

(٤) هى لفظ مسلم كما فى بلوغ المرام . (٥) لفظ رواية أحمد اه منه .

(٦) متفق عليه كما فى المشكاة . (٧) متفق عليه واللفظ لمسلم كما فى المشكاة .

وعن عبد الرحمن [١] بن جرير قال سألنا فضالة بن عبيد عن تعليق يد السارق فى عنقه أمن السنة ؟ قال أتى النبى صلى الله عليه وسلم بسارق فقطع يده ثم أمر بها فعلقت فى عنقه قال العلماء ولا تنفع السارق توبته إلا أن يرد ما سرقه فإن كان مفلسا تحلل من صاحب المال والله أعلم .

الكبيرة الرابعة والعشرون : قطع الطريق

قال الله تعالى : (إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ) ، قال الواحدى [٢] رحمه الله : معنى يحاربون الله ورسوله يعصونهما ولا يطيعونهما كل من عصاك فهو محارب لك ويسعون فى الأرض فسادا أى بالقتل والسرقة وأخذ الأموال . وكل من أخذ السلاح على المؤمنين فهو محارب لله ورسوله . وهذا قول مالك والأوزاعى والشافعى (قوله) أن يقتلوا إلى قوله أو ينفوا من الأرض قال الوالبى [٣] عن ابن عباس رضى الله عنهما « أو » أدخلت للتخيير ومعناها الإباحة إن شاء الإمام قتل وإن شاء صلب وإن شاء نفى ، وهذا قول الحسن وسعيد بن

---

(١) رواه ت ، د ، س ه كذا فى المشكاة (٢) هو أبو الحسن على بن أحمد ابن محمد بن على بن متويه بفتح الميم وتشديد التاء المثناة صاحب التفاسير المشهورة « البسيط والوسيط والوجيز وأسباب نزول القرآن والتحبير فى شرح أسماء الله الحسنى » وشرح ديوان أبى الطيب المتنبى شرحا مستوفى ليس فى شروحه على كثرتها مثله وذكر فيه أشياء غريبة الخ وكان الواحدى تلميذ أبى إسحق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبى المفسر المشهور وعنه أخذ علم التفسير وأربى عليه ، توفى سنة ٤٦٨ هجرية فى جمادى الآخرة اه من ابن خلكان . (٣) يعنى على بن أبى طلحة الوالبى رواية تفسير ابن عباس وإن كان فى سماعه منه كلام راجع ترجمته فى الميزان الذهبى .

المسيب ومجاهد وقال فى رواية عطية [١] أو ليست للإباحة إنما هى مرتبة للحكم باختلاف الجنايات فمن قتل وأخذ المال قتل وصلب ومن أخذ المال ولم يقتل قطع ومن سفك الدماء وكف عن الأموال قتل ومن أخاف السبيل ولم يقتل نفى من الأرض وهذا مذهب الشافعى رضى الله عنه،وقال الشافعى:أيضا يحد كل واحد بقدر فعله فمن وجب عليه القتل والصلب قتل قبل صلبه كراهية تعذيبه وتصلب ثلاثا ثم ينزل ومن وجب عليه القتل دون الصلب قتل ودفع إلى أهله يدفنونه ومن وجب عليه القطع دون القتل قطعت يده اليمنى ثم حسمت فإن عاد وسرق ثانيا قطعت رجله اليسرى فإن عاد وسرق قطعت يده اليسرى لما روى [٢] عن النبى صلى الله عليه وسلم قال فى السارق إن سرق فاقطعوا يده ثم إن سرق فاقطعوا رجله ثم إن سرق فاقطعوا يده ثم إن سرق فاقطعوا رجله ولأنه فعل أبى بكر وعمر رضى الله عنهما ولا مخالف لهما من الصحابة ووجه كونها اليسرى اتفاق من صار إلى قطع الرجل بعد اليد على أنها اليسرى وذلك معنى قوله من خلاف .

وقوله تعالى ﴿ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الأَرْضِ ﴾ قال ابن عباس هو أن يهدر الإمام دمه فيقول من لقيه فليقتله هذا فيمن لم يقدر عليه فأما من قبض عليه فنفيه من الأرض الحبس والسجن لأنه إذا حبس ومنع من التقلب فى البلاد فقد نفى منها أنشد ابن قتيبة لبعض المسجونين شعراً :

خرجنا من الدنيا ونحن من أهلها فلسنا من الأحياء فيها ولا الموتى

إذا جاءنا السجان يوماً لحاجة عجبنا وقلنا جاء هذا من الدنيا

قال : فبمجرد قطع الطريق و إخافة السبيل قد ارتكب الكبيرة فكيف إذا أخذ المال أو جرح أو قتل فقد فعل عدة كبائر مع ما غالبهم عليه من ترك الصلاة

(١) يعنى ابن سعيد العوفى مختلف فى توثيقه صدوق يخطىء كثيرا وكان يدلس أفاده فى التقريب (٢) رواه داود والنسائى من حديث جابر واستنكره النسائى وأخرجه من حديث الحارث أبى حاطب نحوه وذكر الشافعى أن القتل فى الخامسة منسوخ اه بلوغ المرام

وإنفاق ما يأخذونه فى الخمر والزنا واللواطة وغير ذلك ، نسأل الله العافية من كل بلاء ومحنة إنه جواد كريم غفور رحيم .

الكبيرة الخامسة والعشرون : اليمين الغموس

قال الله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَناً قَلِيلاً أُولَئِكَ لاَ خَلاَقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللهُ وَلاَ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) قال الواحدى[1] : نزلت فى رجلين اختصما إلى النبى عليه الصلاة والسلام فى ضيعة ، فهم المدعى عليه أن يحلف فأنزل الله هذه الآية فنكل المدعى عليه عن اليمين وأقر للمدعى بحقه . وعن عبد الله[2] قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من حلف على يمين وهو فيها فاجر ليقتطع بها مال امرىء مسلم لقى الله تعالى وهو عليه غضبان » فقال الأشعث : فى والله نزلت كان بينى و بين رجل من اليهود أرض فجحدنى ، فقدمته إلى النبى عليه الصلاة والسلام فقال : « ألك بينة ؟ » قلت : لا ، قال لليهودى : « احلف » قلت : يا رسول الله إنه إذاً يحلف فيذهب بمالى ، فأنزل الله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَناً قَلِيلاً) أى عرضاً يسيراً من الدنيا ، وهو ما يحلفون عليه كاذبين (أُولَئِكَ لاَ خَلاَقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ) أى لا نصيب لهم فى الآخرة (وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللهُ) أى بكلام يسرهم (وَلاَ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ) نظرا يسرهم يعنى نظر الرحمة (وَلاَ يُزَكِّيهِمْ) ولا يزيدهم خيراً ولا يثنى عليهم .

وعن عبد الله بن مسعود قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من حلف على مال امرىء مسلم بغير حق لقى الله وهو عليه غضبان » قال عبدالله : ثم قرأ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم تصديقه من كتاب الله : (إِنَّ الَّذِينَ

(١) تقدمت ترجمته قريبا . (٢) رواه ح ، م ، د ، ت ، ه مختصرا اه منذرى وتفسير الآية فى آخر الحديث من صنيع المؤلف .

يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً) إلى آخر الآية ، أخرجاه فى الصحيحين وعن أبى أمامة قال : كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « من اقتطع حق امرىء مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرّم عليه الجنة » فقال رجل : وإن كان يسيراً يا رسول الله ؟ قال : « وإن كان قضيبا من أراك » أخرجه مسلم[١] فى صحيحه . قال حفص بن ميسرة : ما أشدّ هذا الحديث فقال : أليس فى كتاب الله تعالى (إنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً) الآية . وعن أبى ذر[٢] عن النبى عليه الصلاة والسلام قال : « ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم » فقرأ بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات ، فقال أبو ذرّ : خابوا وخسروا يا رسول الله من هم ؟ قال : « المسبل والمنان والمنفق سلعته بالحلف الكاذب » وقال عليه الصلاة والسلام : « الكبائر الإشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس واليمين الغموس » أخرجه البخارى[٣] فى صحيحه ، والغموس هى التى يتعمد الكذب فيها سميت غموساً لأنها تغمس الحالف فى الإثم، وقيل : تغمسه فى النار[٤] .

فصل — ومن ذلك الحلف بغير الله عز وجل كالنبى والكعبة والملائكة والسماء والماء والحياة والأمانة ـ وهى من أشدّ ما هنا ـ والروح والرأس وحياة السلطان ونعمة السلطان وتربة فلان .

عن ابن عمر[٥] رضى الله عنهما عن النبى عليه الصلاة والسلام قال : « إنَّ الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم فمن حلف فليحلف بالله أو ليصمت» وفى رواية فى الصحيح « فمن كان حالفاً فلا يحلف إلا بالله أو ليسكت » .

---

(١) س ، ه ، مالك كلهم من حديث أبى أمامة إياس بن ثعلبة الحارثى اه منذرى

(٢) رواه مسلم د ، ت ، ص ، ه .

(٣) ت ، س من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص وقد تقدم مرارا .

(٤) عبارة المنذرى: تغمس الحالف بها فى الإثم فى الدنيا وفى النار فى الآخرة وهى أحسن مما هنا من جعلهما قولين فيها (٥) رواه مالك ، خ ،م ، د ، ت،س ، ه قاله المنذرى

وعن[١] عبد الرحمن بن سمرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تحلفوا بالطواغى ولا بآبائكم » رواه مسلم . الطواغى : جمع طاغية ، وهى الأصنام ، ومنه الحديث هذه طاغية دوس أى صنمهم ومعبودهم . وعن بريدة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من حلف بالأمانة فليس منا » رواه أبو داود وغيره ، وعنه رضى الله عنه[٢] قال : قال رسول الله عليه الصلاة والسلام : « من حلف فقال إنى برىء من الإسلام ، فإن كان كاذباً فهو كما قال ، و إن كان صادقاً فلن يرجع إلى الإسلام سالما » .

وعن أبى عمر رضى الله عنهما أنه سمع رجلا يقول والكعبة ، فقال : لا تحلف بغير الله فإنى سمعت رسول الله عليه الصلاة والسلام يقول : « من حلف بغير الله فقد كفر وأشرك » رواه الترمذى وحسنه وابن حبان فى صحيحه والحاكم وقال صحيح على شرطها[٣] قال : وفسر بعض العلماء قوله كفر أو أشرك على التغليظ كما روى عن النبى عليه الصلاة والسلام أنه قال : « الرياء شرك » .

وقال[٤] عليه الصلاة والسلام : « من حلف فقال فى حلفه : واللات والعزى ، فليقل : لا إله إلا الله » وقد كان فى الصحابة من هو حديث عهد بالحلف بها قبل إسلامه فربما سبق لسانه إلى الحلف بها ، فأمره النبى عليه الصلاة والسلام أن يبادر بقول لا إله إلا الله ليكفر بذلك ما سبق إلى لسانه و بالله التوفيق .

---

(١) كان فى الأصل أبو عبد الرحمن وهو غلط وإنما هو عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب من مسلمة الفتح افتتح سجستان روى له الستة سكن البصرة مات بعد سنة ٥٠ هـ أفاده فى التقريب .

(٢) أى عن بريدة رواه د والحاكم وقال صحيح على شرطهما اهـ منه .

(٣) وسكت على ذلك المنذرى فى ترغيبه لكن قال المصنف فى الصغرى : إسناده على شرط مسلم وساقه من الحسن بن عبيد الله النخعى عن سعد بن عبيدة فتأمل

(٤) قال فى الصغرى متفق عليه يعنى رواه خ ، م .

الكبيرة السادسة والعشرون : الظلم

بأكل أموال الناس وأخذها ظلماً وظلم الناس بالضرب والشتم والتعدى والاستطالة على الضعفاء قال تعالى : (وَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُؤُوسِهِمْ لا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولَ الذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَ لَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُم الأَمْثَالُ) ، وقال تعالى : (إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاس) ، وقال تعالى : (وَسَيَعْلَمُ الذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ)[1] ، وقال عليه الصلاة والسلام : إن الله ليملى للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : (وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكِ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ) ،وقال[2] عليه الصلاة والسلام: من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرض أو شيء فليتحلله اليوم من قبل أن لا يكون دينار ولا درهم إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته فإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه .

وقال عليه الصلاة والسلام[3] عن ربه تبارك وتعالى أنه قال : « يا عبادى إنى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا » ،

---

(١) رواه خ ؛ م ، ت من حديث أبى موسى الأشعرى قاله المنذرى .

(٢) رواه خ ، ت من حديث أبى هريرة اهـ منذرى .

(٣) رواه مسلم والترمذى وهو من حديث أبى ذر الطويل .

وقال[١] رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أتدرون من المفلس قالوا يا رسول الله المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع فقال : إن المفلس من أمتى من يأتى يوم القيامة بصلاة وزكاة وصيام وحج فيأتى وقد شتم هذا وقذف هذا وأخذ مال هذا ونبش عن عرض هذا وضرب هذا وسفك دم هذا فيؤخذ لهذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرح عليه ثم طرح فى النار » وهذه الأحاديث كلها فى الصحاح[٢] ، وتقدم حديث « إن رجالا يتخوضون فى مال الله بغير حق فلهم النار يوم القيامة » ، وتقدم قوله[٣] لمعاذ حين بعثه إلى اليمن « واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها و بين الله حجاب »[٤] ، وفى الصحيح : « من ظلم قيد شبر من الأرض طوقه من سبع أرضين يوم القيامة » .

وفى بعض الكتب يقول الله تعالى اشتد غضبى على من ظلم من لم يجد له ناصراً غيرى ، وأنشد بعضهم :

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدرا فالظلم يرجع عقباه إلى الندم
تنام عيناك والمظلوم منتبه يدعو عليك وعين الله لم تنم

وكان بعض السلف يقول : لا تظلم الضعفاء فتكون من أشرار الأقوياء، وقال أبو هريرة رضى الله عنه إن الحبارى لتموت فى وكرها هزالا من ظلم الظالم وقيل مكتوب فى التوراة ينادى مناد من وراء الجسر - يعنى الصراط - يا معشر الجبابرة الطغاة و يا معشر المترفين الأشقياء إن الله يحلف بعزته وجلاله أن لا يجاوز هذا الجسر اليوم ظالم : عن جابر[٥] قال : لما رجعت مهاجرة الحبشة عام الفتح إلى رسول الله

(١) رواه مسلم ت من حديث أبى هريرة . (٢) تقدم فى القمار رواه خ
(٣) رواه خ م ، د ، ى من حديث طويل عن ابن عباس .
(٤) رواه خ ، م ، من حديث عائشة وشواهده كثيرة كما فى المنذرى .
(٥) عزا المرفوع منه فى الجامع الصغير إلى ابن ماجه وابن حبان فى صحيحه وصححه وذكر بعده شاهدا له من حديث بريدة عند أبى يعلى والبيهقى وعلم عليه بالصحة أيضاً .

صلى الله عليه وسلم قال : ألا تخبرونى بأعجب ما رأيتم بأرض الحبشة فقال فتية كانوا منهم بلى يا رسول الله بينما نحن يوما جلوس إذ مرت بنا عجوز من عجائزهم تحمل على رأسها قلة من ماء فمرت بفتى منهم فجعل إحدى يديه بين كتفيها ثم دفعها فخرت المرأة على ركبتيها وانكسرت قلتها فلما قامت التفتت إليه ثم قالت : سوف تعلم يا غادر إذا وضع الله الكرسى وجمع الله الأولين والآخرين وتكلمت الأيدى والأرجل بما كانوا يكسبون سوف تعلم من أمرى وأمرك عنده غداً قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « صدقت كيف يقدس الله قوما لا يؤخذ من شديدهم لضعيفهم » .

إذا ما الظلوم استوطأ الظلم مركبا ولج عتوًّا فى قبيح اكتسابه

فكله إلى صرف الزمان وعدله سيبدو له ما لم يكن فى كتابه

وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « خمسة غضب الله عليهم إن شاء أمضى غضبه عليهم فى الدنيا وإلا أمر بهم فى الآخرة إلى النار : أمير قوم يأخذ حقه من رعيته ولا ينصفهم من نفسه ولا يدفع الظلم عنهم وزعيم قوم يطيعونه ولا يساوى بين القوى والضعيف ويتكلم بالهوى ، ورجل لا يأمر أهله وولده بطاعة الله ولا يعلمهم أمر دينهم ، ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه العمل ولم يوفه أجرته ورجل ظلم امرأة صداقها » .

وعن عبد الله بن سلام قال إن الله تعالى لما خلق الخلق واستووا على أقدامهم رفعوا رؤوسهم إلى السماء وقالوا يارب مع من أنت قال مع المظلوم حتى يؤدى إليه حقه وعن وهب بن منبه قال بنى جبار من الجبابرة قصرا وشيده فجاءت عجوز فقيرة فبنت إلى جانبه كوخا تأوى إليه فركب الجبار يوما وطاف حول القصر فرأى الكوخ فقال لمن هذا فقيل لامرأة فقيرة تأوى إليه فأمر به فهدم فجاءت العجوز فرأته مهدوما فقالت من هدمه فقيل لها الملك رآه فهدمه فرفعت العجوز رأسها إلى السماء وقالت يارب إذا لم أكن أنا حاضرة فأين كنت أنت قال فأمر الله جبريل أن يقلب القصر على من فيه فقلبه .

وقيل لما حبس خالد بن برمك وولده قال يا أبتي بعد العز صرنا فى القيدوالحبس فقال يا بنى دعوة المظلوم سرت بليل غفلنا عنها ولم يغفل الله عنها وكان يزيد بن حكيم يقول : ما هبت أحداً قط هيبتى رجلا ظلمته وأنا أعلم أنه لا ناصر له إلا الله يقول لى حسبى الله . الله بينى و بينك .

وحبس الرشيد أبا العتاهيةالشاعر فكتب إليه من السجن هذين البيتين شعراً:

أما والله إن الظلم شوم وما زال المسىء هو الظلوم

ستعلم يا ظلوم إذا التقينا غداً عند المليك من الملوم

وعن[1] أبى أمامة قال : يجىء الظالم يوم القيامة حتى إذا كان على جسر جهنم لقيه المظلوم وعرفه ما ظلمه به فما يبرح الذين ظلموا بالذين ظلموا حتى ينزعوا ما بأيديهم من الحسنات فإن لم يجدوا لهم حسنات حملوا عليهم من سيئاتهم مثل ما ظلموهم حتى يردوا إلى الدرك الأسفل من النار .

وعن[2] عبد الله بن أنيس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يحشر العباد يوم القيامة حفاة عراة غرلا بهما فيناديهم مناد بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب : أنا الملك الديان لا ينبغى لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة أو أحد من أهل النار أن يدخل النار وعنده مظلمة أن أقصه حتى اللطمة فما فوقها ولا يظلم ربك أحداً. قلنا يا رسول الله كيف و إنما نأتى حفاة عراة فقال : بالحسنات والسيئات جزاء ولا يظلم ربك أحد ، وجاء عن[3] النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال:

---

(١) رواه الطبرانى فى الأوسط من حديث أبى أمامة مرفوعا ورواته مختلف فى توثيقهم قاله المنذرى (٢) رواه أحمد باسناد حسن قاله المنذرى وعزاه ابن القيم فى صواعقه إلى أبى يعلى الموصلى فى مسنده والبخارى فى الأدب المفرد والضياء فى المختارة والطبرانى فى المعجم والسنة وغيرهم وحسن إسناده وهو من رواية همام بن يحيي عن القاسم بن عبد الواحد عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر فى رحلته إلى الشام إلى عبد الله بن أنيس فذكره وعلقه خ فى أول صحيحه مجزوما به وفى آخره بلفظ ويذكر عن جابر إلخ .

(٣) رواه البزار والطبرانى باسناد حسن من حديث أبى هريرة قاله المنذرى .

من ضرب سوطاً ظلماً اقتص منه يوم القيامة ، ومما ذكر أن كسرى اتخذ مؤدباً لولده يعلمه ويؤدبه حتى إذا بلغ الولد الغاية فى الفضل والأدب استحضره المؤدب يوماً وضربه ضرباً شديداً من غير جرم ولا سبب فحقد الولد على المعلم إلى أن كبر ومات أبوه فتولى الملك بعده فاستحضر المعلم وقال له : ما حملك على أن ضربتنى فى يوم كذا وكذا ضرباً وجيعاً من غير جرم ولا سبب فقال المعلم اعلم أيها الملك أنك لما بلغت الغاية فى الفضل والأدب علمت أنك تنال الملك بعد أبيك فأردت أن أذيقك ألم الضرب وألم الظلم حتى لا تظلم أحداً فقال جزاك الله خيراً ثم أمر له بجائزة وصرفه .

ومن الظلم أخذ مال اليتيم ، وتقدم[١] حديث معاذ بن جبل حين قال له رسول الله : واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب ، وفى رواية[٢] : إن دعاء المظلوم يرفع فوق الغمام ، ويقول الرب تبارك وتعالى : وعزتى وجلالى لأنصرنك ولو بعد حين وأنشدوا شعراً :

توق دعا المظلوم إن دعاءه ... ليرفع فوق السحب ثم يجاب
توق دعا من ليس بين دعائه ... وبين إله العالمين حجاب
ولا تحسبن الله مطرحا له ... ولا أنه يخفى عليه خطاب
فقد صح أن الله قال وعزتى ... لأنصر المظلوم وهو مثاب
فمن لم يصدق ذا الحديث فإنه ... جهول وإلا عقله فمصاب

فصل — ومن أعظم الظلم المماطلة بحق عليه مع قدرته على الوفاء لما ثبت فى الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مطل الغنى ظلم »

---

(١) تقدم قريبا أنه رواه ح ، م . د . س ، من حديث ابن عباس .

(٢) رواها أحمد فى حديث لأبى هريرة وت وحسنة ، هـ ، ابن خزيمة وابن حبان فى صحيحهما قاله المنذرى

وفى رواية « لى الواجِدِ ظلم يحِل عِرضه وعقوبته » أى يحل شكايته وحبسه .

فصل — ومن الظلم أن يظلم المرأة حقها من صداقها ونفقتها وكسوتها وهو داخل فى قوله عليه الصلاة والسلام : « لى الواجد ظلم يحل عرضه وعقوبته » .

وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : يؤخذ بيد العبد أو الأمة يوم القيامة فينادى به على رؤوس الخلائق : هذا فلان ابن فلان من كان له عليه حق فليأت إلى حقه قال فتفرح المرأة أن يكون لها حق على أبيها أو أخيها أو زوجها ثم قرأ : (فَلاَ أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلاَ يَتَسَاءلُونَ) قال فيغفر الله من حقه ما شاء ولا يغفر من حقوق الناس شيئًا فينصب العبد للناس ثم يقول الله تعالى لأصحاب الحقوق : ائتوا إلى حقوقكم قال فيقول الله تعالى للملائكة خذوا من أعماله الصالحة فأعطوا كل ذى حق حقه بقدر طلبته فإن كان وليًا لله وفضل له مثقال ذرة ضاعفها الله تعالى له حتى يدخله الجنة بها و إن كان عبداً شقيًا ولم يفضل له شىء فتقول الملائكة ربنا فنيت حسناته و بقى طالبوه فيقول الله خذوا من سيئاتهم فأضيفوها إلى سيئاته ثم صك له صكا إلى النار . و يؤيد ذلك ما تقدم(١) من قول النبى صلى الله عليه وسلم : « أتدرون من المفلس فذكر أن المفلس من أمته من يأتى يوم القيامة بصلاة وزكاة وصيام و يأتى وقد شتم هذا وضرب هذا وأخذ مال هذا فيؤخذ لهذا من حسناته ولهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح فى النار » .

فصل — ومن الظلم أن يستأجر أجيراً أو إنسانًا فى عمل ولا يعطيه أجرته لما ثبت فى صحيح البخارى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يقول الله تعالى : « ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة ومن كنت خصمه خصمته رجل أعطى بى ثم غدر ، ورجل باع حرًّا فأكل ثمنه ورجل استأجر أجيراً

(١) تقدم قريبا رواه مسلم ، من حديث أبى هريرة .

فاستوفى منه العمل ولم يعطه أجرته ، وكذلك إذا ظلم يهودياً أو نصرانياً أو نقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفسه فهو داخل فى قوله تعالى : أنا حجيجه ، أو قال : أنا خصمه ، يوم القيامة ومن ذلك أنه يحلف على دين فى ذمته كاذباً فاجراً لما ثبت فى الصحيحين أن رسول لله صلى الله عليه وسلم قال : « من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة » قيل يارسول الله و إن كان شيئاً يسيراً قال « و إن كان قضيباً من أراك » .

فخف القصاص غداً إذا وفيت ما كسبت يداك اليوم بالقسطاس
فى موقف ما فيه إلا شاخص أو مهطع أو مقنع للراس
أعضاؤهم فيه الشهود ، وسجنهم نار ، وحاكمهم شديد الباس
إن تمطل اليوم الحقوق مع الغنى فغداً تؤديها مع الإفلاس

وقد روى أنه لا أكره للعبد يوم القيامة من أن يرى من يعرفه خشية أن يطالبه بمظلمة ظلمه بها فى الدنيا كما قال النبى عليه الصلاة والسلام[١] « لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء » ، وقال عليه الصلاة والسلام[٢] « من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرضه أو من شىء فليتحلل منه اليوم من قبل أن لا يكون دينار ولا درهم ، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته و إن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه ثم طرح فى النار» وروى عبد الله بن أبى الدنيا بسنده إلى أبى أيوب[٣] الأنصارى أن رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قال : « أول من يختصم يوم القيامة الرجل وامرأته ، والله ما يتكلم لسانها ، ولكن يداها ورجلاها يشهدان عليها بما كانت تعنت لزوجها فى الدنيا ،

---

(١) رواه مسلم ، ت من حديث أبى هريرة رضى الله عنه .
(٢) رواه البخارى والترمذى من حديث أبى هريرة قاله المنذرى فى ترغيبه .
(٣) الطبرانى وفى سنده عبد الله بن عبد العزيز الليثى وهو ضعيف ووثقه سعيد ابن منصور وقال كان مالك يرضاه اه مجمع الزوائد .

و يشهد على الرجل يده ورجله بما كان يولى زوجته من خير أو شر ، ثم يدعى بالرجل وخدمه مثل ذلك فما يؤخذ منهم دوانيق ولا قراريط ، ولكن حسنات هذا الظالم تدفع إلى هذا المظلوم وسيئات هذا المظلوم تحمل على هذا الظالم ، ثم يؤتى بالجبارين فى مقامع من حديد فيقال سوقوهم إلى النار » ، وكان شريح القاضى يقول : سيعلم الظالمون حق من انتقصوا ، إن الظالم ينتظر العقاب والمظلوم ينتظر النصر والثواب وروى أنه إذا أراد الله بعبده خيراً سلط عليه من يظلمه ؛ ودخل طاوس اليمانى على هشام بن عبد الملك فقال له اتق الله يوم الأذان ، قال هشام : وما يوم الأذان ؟ قال قوله تعالى (فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةَ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ) فصعق هشام فقال طاوس : هذا ذل الصفة ، فكيف بذل المعاينة ؟ يا راضيا باسم الظالم كم عليك من المظالم ؟ السجن جهنم ، والحق الحاكم !

فصل — فى الحذر من الدخول على الظلمة ومخالطتهم ومعونتهم ، قال الله تعالى (وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ) والركون ههنا : السكون إلى الشيء والميل إليه بالمحبة ، قال ابن عباس رضى الله عنهما لا تميلوا كل الميل فى المحبة ولين الكلام والمودة ، وقال السدى وابن زيد : لا تداهنوا الظلمة ، وقال عكرمة : هو أن يطيعهم ويودهم ، وقال أبو العالية : لا ترضوا بأعمالهم (فتمسكم النار) فيصيبكم لفحها (وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ) وقال ابن عباس رضى الله عنهما : ما لكم من مانع يمنعكم من عذاب الله (ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ) لا تمنعون من عذابه ، وقال تعالى (احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ) أى : أشباههم وأمثالهم وأتباعهم .

وعن [1] ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « سيكون أمراء يغشاهم غواش — أو حواش — من الناس يظلمون ويكذبون ،

(١) رواه أحمد وأبو يعلى وابن حبان فى صحيحه من حديث أبى سعيد الخدرى لا ابن مسعود كما فى المنذرى فلعل ماهنا من خطأ النساخ .

فمن دخل عليهم وصدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه ، ومن لم يدخل عليهم ولم يعنهم على ظلمهم فهو مني وأنا منه » وعنه[١] رضى الله عنه عن النبي عليه الصلاة والسلام « من أعان ظالماً سلط عليه » وقال سعيد بن المسيب رحمه الله : لا تملؤا أعينكم من أعوان الظلمة إلا بإنكار من قلوبكم لئلا تحبط أعمالكم الصالحة ، وقال مكحول الدمشقي : ينادى مناد يوم القيامة : أين الظلمة وأعوانهم ؟ فما يبقى أحد مد لهم حبراً أو حبر لهم دواة أو برى لهم قلما فما فوق ذلك إلا حضر معهم فيجمعون فى تابوت من نار فيلقون فى جهنم . وجاء رجل خياط إلى سفيان الثورى فقال : أنى رجل أخيط ثياب السلطان ، هل أنا من أعوان الظلمة ؟ فقال سفيان : بل أنت من الظلمة أنفسهم ، ولكن أعوان الظلمة من يبيع منك الإبرة والخيوط .

وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أول من يدخل النار يوم القيامة السواطون ، الذين يكون معهم الأسواط يضربون بها الناس بين يدى الظلمة » وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : الجلاوزة والشرط كلاب النار يوم القيامة . الجلاوزة : أعوان الظلمة .

وقد روىَ أن الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام أن مُرْ بنى إسرائيل أن يتلوا من ذكرى فإنى أذكر من ذكرنى وإن ذكرى إياهم ألعنهم ، وفى رواية فإنى أذكر من ذكرنى منهم باللعنة[٢] وجاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا يقف أحدكم فى موقف يضرب فيه رجل مظلوم فإن اللعنة تنزل على من حضر ذلك المكان إذا لم يدفعوا عنه »

وروى[٣] عن رسول الله عليه الصلاة والسلام أنه قال : « أتى رجل فى قبره

(١) عزاه السيوطى فى جامعه الصغير إلى ابن عساكر عن ابن مسعود وأشار إلى ضعفه

(٢) رواه الطبرانى باسناد حسن من حديث ابن عباس بلفظ يقتل فيه رجل ظلما الخ اه ترغيب .

(٣) رواه الطبرانى من حديث ابن عمرو فى سنده يحيى بن عبد الله البابلى وهو ضعيف قاله فى مجمع الزوائد وعزاه فى الترغيب إلى كتاب التوبيخ لأبى الشيخ ابن حبان وأشار لضعفه

فقيل له إنا ضار بوك مائة ضربة فلم يزل يتشفع إليهم حتى صاروا إلى ضربة واحدة فضربوه فالتهب القبر عليه ناراً ، فقال : لم ضربتمونى هذه الضربة ؟ فقالوا : إنك صلّيت صلاة بغير طهور ، ومررت برجل مظلوم فلم تنصره ، فهذا حال من لم ينصر المظلوم مع القدرة على نصره فكيف حال الظالم ! ؟

وقد ثبت فى الصحيحين(١) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « انصر أخاك ظالماً أو مظلوما » قال يا رسول الله أنصره إذا كان مظلوماً فكيف أنصره إذا كان ظالماً ؟ قال « تمنعه من الظلم فإن ذلك نصره » .

ومما حكى قال بعض العارفين : رأيت فى المنام رجلا ممن يخدم الظلمة والمكاسين بعد موته بمدة فى حاله قبيحة فقلت له ما حالك ؟ قال : شر حال ، فقلت : إلى أين صرت ؟ قال : إلى عذاب الله ، قلت : فما حال الظلمة عنده ؟ قال : شر حال ، أما سمعت قول الله عز وجل (وَسَيَعْلَمُ الذينَ ظَلَمُوا أيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ) ، ومما حكى قال بعضهم : رأيت رجلا مقطوع اليد من الكتف وهو ينادى من رآنى فلا يظلمن أحداً فتقدمت إليه فقلت له يا أخى ما قصتك ؟ قال يا أخى قصة عجيبة وذلك أنى كنت من أعوان الظلمة فرأيت يوما صياداً وقد اصطاد سمكة كبيرة فأعجبتنى فجئت إليه فقلت أعطنى هذه السمكة فقال لا أعطيكها أنا آخذ بثمنها قوتاً لعيالى ، فضربته وأخذتها منه قهراً ومضيت بها ، قال : فبينا أنا أمشى بها حاملها إذ عضت على إبهامى عضة قوية فلما جئت بها إلى بيتى وألقيتها من يدى ضربت على إبهامى وآلمتنى ألماً شديداً حتى لم أنم من شدة الوجع والألم وورمت يدى ، فلما أصبحت أتيت الطبيب وشكوت إليه الألم فقال هذه بدء الأكلة اقطعها وإلا تقطع يديك فقطعت إبهامى ثم ضربت على يدى فلم أطق النوم ولا الفرار من شدة الألم فقيل لى اقطع كفك فقطعته وانتشر الألم إلى الساعد وآلمنى ألماً شديداً ولم أطق الفرار وجعلت أستغيث من شدة الألم فقيل لى اقطعها إلى المرفق فقطعتها ، فانتشر الألم إلى العضد

---

(١) ح من حديث أنس ومسلم من حديث جابر قاله المنذرى فيه .

وضربت على عضدى أشد من الألم الأول فقيل لى : اقطع يدك من كتفك وإلا سرى إلى جسدك كله فقطعتها ، فقال لى بعض الناس ما سبب ألمك فذكرت قصة السمكة ، فقال : لى لو كنت رجعت فى أول ما أصابك الألم إلى صاحب السمكة ، واستحللت منه وأرضيته لما قطعت من أعضائك عضواً ، فاذهب الآن إليه واطلب رضاه قبل أن يصل الألم إلى بدنك ، قال : فلم أزل أطلبه فى البلد حتى وجدته ، فوقعت على رجليه أقبلها وأبكى ، وقلت له : يا سيدى سألتك بالله إلى ما عفوت عنى ، فقال لى : ومن أنت ؟ قلت : أنا الذى أخذت منك السمكة غصباً ، وذكرت ما جرى وأريته يدى فبكى حين رآها ثم قال : يا أخى قد أحللتك منها لما قد رأيته بك من البلاء ، فقلت : يا سيدى بالله هل كنت قد دعوت على لما أخذتها ؟ قال : نعم ، قلت : اللهم إن هذا قد تقوى على بقوته على ضعفى على ما رزقتنى ظلماً فأرنى قدرتك فيه ، فقلت : يا سيدى قد أراك الله قدرته فىّ وأنا تائب إلى الله عز وجل عما كنت عليه من خدمة الظلمة ولا عدت أقف لهم على باب ولا أكون من أعوانهم ما دمت حيًّا إن شاء الله ، وبالله التوفيق .

موعظة — إخوانى كم أخرج الموت نفساً من دارها لم يدارها وكم أنزل أجساداً بجارها لم يجارها وكم أجرى العيون كالعيون بعد قرارها ، شعراً :

يا معرضا بوصال عيش ناعم ستصد عنه طائعا أو كارها
إن الحوادث تزعج الأحرار عن أوطانها والطير عن أوكارها

أين من ملك المغارب والمشارق ، وعمر النواحى وغرس الحدائق ، ونال الأمانى وركب العوائق ، صاح به من داره غراب بين ناعق ، وطرقه فى لهوه أقطع طارق وزجرت عليه رعود وصواعق ، وحل به ما شيب بعض المفارق ، وقلاه الحبيب الذى لم يفارق ، وهجره الصديق والرفيق الصادق ، ونقل من جوار المخلوقين إلى جوار الخالق ، نازله والله الموت فلم يحاشه ، وأذله بالقهر بعد عز جاشه ، وأبدله خشن التراب بعد لين فراشه ، وخرقه الدود فى قبره كتمزيق قماشه ، وبقى فى ضنك

شديد من معاشه ، و بعد عن الصديق فكأنه لم يماشه ؛ ما نفعه والله الاحتراز ، ولا ردت عنه الركاز ، بل ضره من الزاد الإعواز ، وصار والله عبرة للمجتاز ، وقطع شاسعا من السبل الأوفاز ، و بقى رهينا لا يدرى أهلك أم فاز ؛ وهذا لك بعد أيام ، وما أنت فيه الآن أحلام ، ودنياك لا تصلح وما سمعت ستراه غداً على التمام ، و يقع لى ولك ، و يحك ! أما يؤثر فيك هذا الكلام ؟

الكبيرة السابعة والعشرون : المكاس

وهو داخل فى قوله تعالى (إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) والمكاس من أكبر أعوان الظلمة ، بل هو من الظلمة أنفسهم ، فإنه يأخذ ما لا يستحق و يعطيه لمن لا يستحق ولهذا قال النبى صلى الله عليه وسلم : « المكاس لايدخل الجنة » وقال صلى الله عليه وسلم : « لا يدخل الجنة صاحب مكس » رواه أبو داود ، وما ذاك إلا لأنه يتقلد مظالم العباد ، ومن أين للمكاس يوم القيامة أن يؤدى للناس ما أخذ منهم إنما يأخذون من حسناته إن كان له حسنات ، وهو داخل فى قول[1] النبى صلى الله عليه وسلم : « أتدرون من المفلس ؟ قالوا : يا رسول الله المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع ، قال : إن المفلس من أمتى من يأتى بصلاة وزكاة وصيام وحج ، و يأتى وقد شتم هذا وضرب هدا وأخذ مال هذا ، فيؤخذ لهذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من سيئاتهم فطرحت عليه ، ثم طرح فى النار » .

وفى حديث المرأة التى طهرت نفسها بالرجم : لقد تابت تو بة لو تابها صاحب مكس لغفر له ، أو لقبلت منه ، والمكاس من فيه شبه من قاطع الطريق ، وهو من اللصوص ، وجابى المكس وكاتبه وشاهده وآخذه من جندى وشيخ

---

(١) رواه مسلم والترمذى من حديث أبى هريرة كما فى الترغيب للمنذرى .

وصاحب رواية شركاء فى الوزر آكلون للسحت والحرام وصح أن رسول الله عليه الصلاة والسلام قال : «لا يدخل الجنة لحم نبت من السحت ، النار أولى به » والسحت كل حرام قبيح الذكر يلزم منه العار .

وذكر الواحدى[1] رحمه الله تفسير قوله تعالى : (قُلْ لاَ يَسْتَوِى الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ) وعن جابر أن رجلا قال : يا رسول الله إن الخمر كانت تجارتى و إنى جمعت من بيعها مالا فهل ينفعنى ذلك المال إن عملت فيه بطاعة الله تعالى ، فقال رسول الله عليه الصلاة والسلام : « إن أنفقته فى حج أو جهاد أو صدقة لم يعدل عند الله جناح بعوضة إن الله لا يقبل إلا الطيب ؛ فأنزل الله تعالى تصديقاً لقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (قُلْ لاَ يَسْتَوِى الْخَبِيثُ وَالطَّيِّب وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثُ) قال عطاء والحسن : الحلال والحرام ، فنسأل الله العفو والعافية .

موعظة — أين من حصن الحصون المشيدة واحترس ، وعمر الحدائق فبالغ وغرس ، ونصب لنفسه سرير العز وجلس ، و بلغ المنتهى ورأى الملتمس ، وظن فى نفسه البقاء ولكن خاب الظن فى النفس ، أزعجه والله هازم اللذات واختلس ، ونازله بالقهر فأنزله عن الفرس ، ووجه به إلى دار البلاء فانطمس ، وتركه فى ظلام ظلمة من الجهل والدنس ؛ فالعاقل من أباد أيامه فإن العواقب فى خلس . ينظر :

تبنى وتجمع والآثار تندرس	وتأمل اللبث والأعمار تختلس
ذا اللب فكر فما فى العيش من طمع	لا بد ما ينتهى أمر وينعكس
أين الملوك وأبناء الملوك ومن	كانوا إذا الناس قاموا هيبة جلسوا
ومن سيوفهم فى كل معترك	تخشى ودونهم الحجاب والحرس
أضحوا بمهلكة فى وسط معركة	صرعى ومن إذا ماشى فى الورى بطشوا
وعمهم حدث وضمهم جدث	باتوا فهم جثث فى الرمس قد حبسوا

(١) ذكره فى تفسيره الوسيط بلاسند وقال السيوطى فى لباب النقول فى أسباب النزول بسند ضعيف

كأنهم قط ما كانوا وما خلقوا ... ومات ذكرهم بين الورى ونسوا
والله لو عاينت عينـاك ما صنعت ... أيدى البـلا بهم والدود يفترس
لعاينت منظراً تشجى القلوب له ... وأبصرت منكراً من دونه البلس
من أوجه ناضرات حار ناظرها ... فى رونق الحسن منها كيف ينطمس
وأعظم باليـات ما بهـا رمق ... وليس تبقى لهـذا وهى تنتهس
وألسن ناطقات زانهـا أدب ... ما شـأنها شانها بالآفة الخرس
حتام يا ذا النهى لا ترعوى سفها ... ودمع عينيك لا يهمى وينبجس

موعظة — يا من يرحل فى كل يوم مرحلة وكتابه قد حوى حتى الخردلة ما ينتفع بالنذير والنذر متصلة ولا يصغى إلى ناصح وقد عزله ودروعه مخرقة والسهام مرسلة ونور الهدى قد بدا ولكن ما رآه ولا تأمله وهو يؤمل البقاء ويرى مصير من قد أمله قد انعكف بعد الشيب على العيب بصبابة ووله كن كيف شئت فبين يديك الحساب والزلزلة ونعم جلدك ، فلا بد للديدان أن تأكله ، فيا عجبا من فتور مؤمن موقن بالجزاء ، والمسألة أنستيقن من غرور و بله ، ويحك يا هذا من استدعاك وفتح منزلة فقد أولاك لو علمت منزله فبادر ما بقى من عمرك واستدرك أوله فبقية عمر المؤمن جوهرة لا قيمة له .

الكبيرة الثامنة والعشرون . أكل الحرام

وتناوله على أى وجه كان

قال الله عز وجل : (وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ) أى : لا يأكل بعضكم مال بعض بالباطل ، قال ابن عباس رضى الله عنهما : يعنى باليمين الباطلة الكاذبة يقتطع بها الرجل مال أخيه بالباطل والأكل بالباطل على وجهين ؛ أحدها : أن يكون على جهة الظلم نحو الغصب والخيانة والسرقة .

والثانى : على جهة الهزل واللعب كالذى يؤخذ فى القمار والملاهى ونحو ذلك .

وفى صحيح البخارى[1] أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إنّ رجالا يتخوضون فى مال الله بغير حق فلهم النار يوم القيامة » وفى صحيح مسلم حين ذكر النبى عليه الصلاة والسلام : « الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يده إلى السماء يارب يارب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذى بالحرام فأنى يستجاب لذلك » وعن[2] أنس رضى الله عنه قال : قلت : يا رسول الله ، ادع الله أن يجعلنى مستجاب الدعوة ؛ فقال عليه الصلاة والسلام : « يا أنس أطلب كسبك تجب دعوتك فإن الرجل ليرفع اللقمة من الحرام إلى فيه فلا يستجاب له دعوة أربعين يوما » ، وروى[3] البيهقى بإسناده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم و إن الله يعطى الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطى الدين إلا من يحب فمن أعطاه الله الدين فقد أحبه ، ولا يكسب عبد مالا حراماً فينفق منه فيبارك له فيه ولا يتصدق منه فيقبل منه ولا يتركه خلف ظهره إلا كان زاده إلى النار إن الله لا يمحو السيىء بالسيىء ولكن يمحو السيى بالحسن» وعن[4] ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الدنيا حلوة خضرة من اكتسب فيها مالا من حله وأنفقه فى حقه أثابه الله وأورثه جنته ومن اكتسب فيها مالا من غير حله وأنفقه فى غير حقه أدخله الله تعالى دار الهوان ورب متخوض (فيما[5] اشتهت نفسه من الحرام) له النار يوم القيامة » وجاء عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : « من لم يبال من أين اكتسب المال لم يبال الله من أى باب أدخله النار » وعن أبى هريرة[6] رضى الله عنه قال : « لأن يجعل أحدكم

---

(١) من حديث خولة الأنصارية (٢) ذكره المنذرى فى ترغيبه من حديث ابن عباس وأن الذى طلب دعوة الرسول فى إجابة دعوته هو سعد بن أبى وقاص وعزاه إلى الطبرانى (٣) عزاه فى الترغيب إلى رواية أحمد من حديث ابن مسعود قال قد حسنها بعضهم . (٤) رواه البيهقى قاله المنذرى فى الترغيب . (٥) عبارة الترغيب هكذا فى مال الله ورسوله . (٦) رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن إسحاق وقد وثق قاله الهيثمى فى مجمعه وقال المنذرى إسناده جيد .

فى فيه ترابا خير من أن يجعل فى فيه حراما » وقد روى عن يوسف بن أسباط رحمه الله قال : إن الشاب إذا تعبد قال الشيطان لأعوانه : انظروا من أين مطعمه فإن كان مطعم سوء قال دعوه يتعب و يجتهد فقد كفاكم نفسه إن اجتهاده مع أكل الحرام لا ينفعه ويؤيد ذلك ما ثبت فى الصحيح[١] من قوله عليه الصلاة والسلام عن الرجل الذى مطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذى بالحرام فأنى يستجاب لذلك ، وقد روى فى حديث أن ملكا على بيت المقدس ينادى كل يوم وكل ليلة « من أكل حراما لم يقبل الله منه صرفا ولا عدلا » الصرف : النافلة ، والعدل : الفريضة . وقال عبد الله بن المبارك : « لأن أرد درهما من شبهة أحب إلى من أتصدق بمائة ألف ومائة » وجاء عن النبى عليه الصلاة والسلام[٢] أنه قال : « من حج بمال حرام فقال لبيك فقال ملك لا لبيك ولا سعديك حجك مردود عليك » وروى الإمام أحمد فى مسنده[٣] عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من اشترى ثوبا بعشرة دراهم وفى ثمنه درهم من حرام لم يقبل الله له صلاة ما دام عليه » وقال وهب بن الورد : لو قمت قيام السارية ما نفعك حتى تنظر ما يدخل بطنك أحلال أم حرام ؟ .

وقال ابن عباس رضى الله عنهما : « لا يقبل الله صلاة امرىء وفى جوفه حرام حتى يتوب إلى الله تعالى منه » ، وقال سفيان الثورى : من أنفق الحرام فى الطاعة فهو كمن طهر الثوب بالبول والثوب لا يطهره إلا الماء والذنب لا يكفره إلا الحلال ، وقال عمر رضى الله عنه : « كنا ندع تسعة أعشار الحلال مخافة الوقوع فى الحرام » وعن كعب[٤] بن عجرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله

---

(١) يعنى صحيح مسلم من حديث أبى هريرة وتقدم قريبا . (٢) رواه الطبرانى من حديث أبى هريرة وفى سنده سليمان بن داود اليمامى ضعيف اه مجمع الزوائد .

(٣) من حديث ابن عمر وفى سنده هاشم لم يعرفه الهيثمى وأشار المنذرى إلى ضعفه

(٤) حديث كعب بن عجرة رواه الترمذى وابن حبان فى صحيحه بلفظ «لا يدخل =

عليه وسلم : « لا يدخل الجنة جسد غذى بالحرام » وعن زيد[١] بن أرقم قال : كان لأبى بكر غلام يخرج له الخراج أى قد كاتبه على مال ، وكان يجيئه كل يوم بخراجه فيسأله من أين أتيت بها فإن رضيه أكله و إلا تركه ، قال : فجاءه ذات ليلة بطعام وكان أبو بكر صائماً فأكل منه لقمة ونسى أن يسأله ثم قال له : من أين جئت بهذا ؟ فقال : كنت تكهنت لأناس بالجاهلية وما كنت أحسن الكهانة إلا أنى خدعتهم ، فقال أبو بكر : أف لك كدت تهلكنى ، ثم أدخل يده فى فيه فجعل يتقيأ ولا يخرج ، فقيل له : إنها لا تخرج إلا بالماء فدعا بماء فجعل يشرب و يتقيأ حتى قاء كل شيء فى بطنه ، فقيل له : يرحمك الله كل هذا من أجل هذه اللقمة ؟ فقال رضى الله عنه : لو لم تخرج إلا مع نفسى لأخرجتها إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « كل جسد نبت من سحت فالنار أولى به » فخشيت أن ينبت بذلك فى جسدى من هذه اللقمة ، وقد تقدم قوله عليه الصلاة والسلام : « لا يدخل الجنة جسد غذى بحرام » و إسناده صحيح ، قال العلماء رحمهم الله : و يدخل فى هذا الباب المكاس و الخائن والزغلى والسارق والبطاط وآكل الربا وموكله وآكل مال اليتيم وشاهد الزور ومن استعار شيئاً فجحده وآكل الرشوة ومنقص الكيل والوزن ومن باع شيئاً فيه عيب فغطاه والمقامر والساحر والمنجم والمصور والزانية والنائحة والعشرية والدلال إذا أخذ أجرته بغير إذن من البائع ومخبر المشترى بالزائد ومن باع حراً فأكل ثمنه .

فصـــل — روى[٢] عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « يؤتى

= الجنة لحم ودم نبتا على سحت النار أولى به ؛ ومافى الكتاب هنا لفظ حديث أبى بكر الصديق رواه أبو يعلى والبزار والطبرانى فى الأوسط والبيهقى و بعض أسانيدهم حسن أفاده المنذرى فى ترغيبه . (١) رواه البخارى من حديث عائشة بدون الزيادة فى آخره من شرب الماء الخ . (٢) رواه الطبرانى من حديث أبى أمامة الباهلى من حديث طويل فى سنده كلثوم بن زياد وبكر بن سهل الدمياطى وكلاهما وثق وفيه ضعف وبقية رجاله رجال الصحيح اه مجمع الزوائد .

يوم القيامة بأناس معهم من الحسنات كأمثال جبال تهامة حتى إذا جيء بهم جعلها الله هباء منثوراً ثم يقذف بهم فى النار ، فقيل : يا رسول الله ، كيف ذلك ؟ قال : « كانوا يصلون ويصومون ويزكون ويحجون غير أنهم كانوا إذا عرض لهم شيء من الحرام أخذوه فأحبط الله أعمالهم » وعن بعض الصالحين أنه رؤى بعد موته فى المنام فقيل له : ما فعل الله بك ؟ قال : خيراً غير أنى محبوس عن الجنة بإبرة استعرتها فلم أردّها فنسأل الله تعالى العفو والعافية والتوفيق لما يحب ويرضى إنه جواد كريم رءوف رحيم .

موعظة — عباد الله أما الليالى والأيام تهدم الآجال ، أما مال المقيم فى الدنيا إلى الزوال ، أما آخر الصحة يؤول إلى الاعتلال ، أما غاية السلامة نقصان الكمال أما بعد استقرار المنى هجوم الآجال ، أما أنبئتم عن الرحيل وقد قرب الانتقال ، أما بانت لكم العبر وضربت لكم الأمثال :

وعـــزيز ناعم ذل له ... كل صعب المرتقى وعر المرام
فكساه بعـــد لين ملبس ... خشنا بالرغم منـــه فى الرغام
ووجـــوه ناضرات بدّلت ... بعد لون الحسن لوناً كالقتام
وشمـــوس طالعات أفلت ... بعد ذاك النور منها بالظلام
ومنيف شامخ بنيـــانه ... لين الأعطاف مهتز القوام
أف للدنيـــا فمـــا شيمتها ... غير نقض العقد أو حفر الذمام
فاستعدوا الزاد تنجوا واعملوا ... صالحا من قبل تقويض الخيام

يا متعلقا بزخرف يروق بقاؤه كلمح البروق يامضيعا فى الهوى واجبات الحقوق ، تبارز الخالق وتستحى من المخلوق يا مؤثراً أعلى العلال ستراه ذلك الفسوق ألا سترى ذلك الفسوق يا متولها مهاد الهوى وهو من سجن الردى مرموق آبك على نفسك لعله فاتك بالبكاء محقوق . عجباً لمن رأى فعل الموت لصحبه ، وأيقن بتلفه وماقضى نحبه وسكنى الإيمان بالآخرة فى قلبه ، ونام غافلا على جنبه ونسى جزاءه على جرمه

وذنبه وأعرض إلى أربه من الهوى عن ربه كأنى به ، وقد سقى كأس حمام يستغيث من شربه وأفرده الموت عن أهله وسربه ونقله إلى قبره ذل فيه بعد عجبه ، فياذا اللب جز على قبره وعج[1] به لقد خرقت المواعظ المسامع وما أراه انتفع به السامع ، لقد بدا نور المطالع لكنه أعمى المطالع ، ولقد بانت العبر بآثار الغير لمن اغتر بالمصارع فما بالها لا تسكب المدامع ياعجباً لقلب عند ذكر الحق غير خاشع ، لقد نشبت فيه مخالب المطامع يا من شيبه قد أتى هل ترى مامضى من العمر براجع انتبه لما بقى وانته وراجع فالهول عظيم والحساب شديد والطريق شاسع ، إن عذاب ربك لواقع ما له من دافع .

الكبيرة التاسعة والعشرون : أن يقتل الإنسان نفسه

قال الله تعالى : (وَلاَ تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً ، وَمَنْ يَفْعَلْ ذٰلِكَ عُدْوَاناً وَظُلْماً فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَاراً وَكَانَ ذٰلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيراً) .

قال الواحدى فى تفسير هذه الآية : ولا تقتلوا أنفسكم ، أى لا يقتل بعضكم بعضاً لأنكم أهل دين واحد فأنتم كنفس واحدة . هذا قول ابن عباس والأكثرين وذهب قوم إلى أن هذا نهى عن قتل الإنسان نفسه ، ويدل على صحة هذا ما أخبرنا أبو منصور محمد بن محمد المنصورى بإسناده عن عمرو[2] بن العاص قال : احتلمت فى ليلة باردة وأنا فى غزوة ذات السلاسل فأشفقت إن اغتسلت أن أهلك فتيممت فصليت بأصحابى الصبح فذكرت ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فقال يا عمرو صليت بأصحابك وأنت جنب ؟ فأخبرته الذى منعنى من الاغتسال فقلت إنى سمعت الله يقول : (وَلاَ تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً) فضحك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم يقل شيئاً فدل هذا الحديث على أن عمراً تأول هذه الآية هلاك نفسه لا نفس غيره ولم ينكر ذلك عليه النبى صلى الله عليه وآله وسلم . قوله :

---

(١) أى اكثرت واهتم به . (٢) رواه أبو داود وقال المنذرى فى مختصره حسن

(ومن يفعل ذلك) كان ابن عباس يقول : الإشارة تعود إلى كل ما نهى عنه من أول السورة إلى هذا الموضع ، وقال قوم : الوعيد راجع إلى أكل المال بالباطل وقتل النفس المحرمة ، وقوله : (عدوانًا وظلمًا) مع العدوان أى يعدو ما أمر الله به (كان ذلك على الله يسيراً) أى إنه قادر على إيقاع ما توعد به من إدخال النار ، وعن جندب بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « كان فيمن كان قبلكم رجل به جرح فجزع فأخذ سكينا فحز بها يده فما رقأ الدم حتى مات . قال الله تعالى : بادرنى عبدى بنفسه حرمت عليه الجنة » مخرج فى الصحيحين ، وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله عليه الصلاة والسلام : « من قتل نفسه بحديدة فحديدته فى يده يتوجأ بها فى بطنه فى نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً ، ومن قتل نفسه بسم فسمه فى يده يتحساه فى نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً ، ومن نزل من جبل فقتل نفسه فهو ينزل فى نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً » مخرج فى الصحيحين ، وفى حديث[1] ثابت بن الضحاك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لعن المؤمن كقتله ، ومن قذف مؤمنًا بكفر فهو كقتله ، ومن قتل نفسه بشىء عذب به يوم القيامة » ، وفى الحديث الصحيح عن الرجل الذى آلمته الجراح فاستعجل الموت فقتل نفسه بذباب سيفه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «هو من أهل النار » فنسأل الله أن يلهمنا رشدنا ، وأن يعيذنا من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا إنه جواد كريم غفور رحيم .

موعظة — ابن آدم كيف تظن أعمالك مشيدة ، وأنت تعلم أنها مكيدة ، وكيف تترك معاملة المولى وتعلم أنها مفيدة ، وكيف تقصر فى زادك ، وقد تحققت أن الطريق بعيدة يا معرضًا عنا إلى متى هذا الجفا والإعراض يا غافلا عن الموت والعمر لا شك فى انقراض ، يا مغترًا فى أمله وأيدى المنايا فى أجله تقرضه بمقراض ،

---

(١) رواه خ،م،د،س باختصار،وت وصححه وهذا لفظ الترمذى كما فى الترغيب والترهيب

يا مغروراً بصحته و بدنه كل يوم فى انتقاض يا من يفنى كل يوم بعضه ستفنى والله الأبعاض ، يا غافلا عن الزاد وقد أنذره بعد السواد البياض ، يا قليل الاحتراس ونيل المنايا طوال عراض ، يا من يساق إلى موارد التلف وقد نزحت الحياض ، يا ضاحكاً وعيون الفنا غير غماض ، عجبا لمن هـذه الأوقات بين يديه كيف يقدر جفنه على الإغماض

الكبيرة الثلاثون : الكذب فى غالب أقواله

قال الله تعالى : (أَلاَ لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ) ، وقال تعالى : (قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ) أى الكذابون ، وقال تعالى : (إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ) ، وفى الصحيحين عن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الصدق يهدى إلى البر ، و إن البر يهدى إلى الجنة ، وما يزال الرجل يصدق و يتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا ، و إن الكذب يهدى إلى الفجور و إن الفجور يهدى إلى النار وما يزال الرجل يكذب و يتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا » ، وفى الصحيحين[1] أيضا أنه صلى الله عليه وسلم قال : « آية المنافق ثلاث و إن صلى وصام وزعم أنه مسلم : إذا حدث كذب ، و إذا وعد أخلف ، و إذا ائتمن خان » ، وقال[2] صلى الله عليه وسلم : « أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ، ومن كانت فيه خصلة منها كان فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : إذا ائتمن خان ، و إذا حدث كذب ، و إذا عاهد غدر ، و إذا خاصم فجر » وفى صحيح البخارى[3] فى حديث منام النبى صلى الله عليه وسلم قال : فأتينا على رجل مضطجع لقفاه ، وآخر قائم عليه بكلوب من حـديد يشرشر شدقه إلى قفاه وعينه إلى قفاه ثم يذهب إلى الجانب الآخر فيفعل به مثل ما فعل فى الجانب الأول فما يرجع إليه حتى يصح مثل ما كان فيفعل به كذلك إلى يوم القيامة

(١) من حديث أبى هريرة . (٢) رواه خ ، م ، د ، ن ، س ، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص (٣) من حديث سمرة بن جندب مطولا .

فقلت لهما : « من هذا ؟ فقالا : إنه كان يغدو من بيته فيكذب الكذبة تبلغ الآفاق » وقال[1] عليه الصلاة والسلام : « يطبع المؤمن على كل شيء ليست الخيانة والكذب » وفى الحديث[2] « إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث » وقال عليه الصلاة والسلام[3] : « ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم : شيخ زان وملك كذاب وعائل مستكبر » العائل : الفقير ، وقال عليه الصلاة والسلام[4] : « ويل للذى يحدث بالحديث ليضحك به الناس فيكذب ويل له ويل له ويل له » وأعظم من ذلك الحلف كما أخبر الله تعالى عن المنافقين بقوله : (ويحلفون على الكذب وهم يعلمون) ، وفى الصحيح[5] أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم : رجل على فضل ماء يمنعه ابن السبيل ورجل بايع رجلا سلعة فحلف بالله لأخذتها بكذا وكذا فصدقه وأخذها وهو على غير ذلك ، ورجل بايع إماماً لا يبايعه إلا للدنيا فإن أعطاه منها وفى له ، وإن لم يعطه لم يف له » ، وقال[6] صلى الله عليه وسلم : « كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثاً هو لك به مصدق وأنت له به كاذب » ، وفى الحديث[7] أيضاً : « من تحلم بحلم لم يره كلف أن يعقد بين شعيرتين وليس بعاقد » ، وقال[8] رسول الله صلى الله عليه وسلم :

---

(١) رواه أحمد من حديث أبى أمامة بسند منقطع بلفظ. يطبع المؤمن على الخلال كلها الخ وله شاهد من حديث سعد بن أبى وقاص عند البزار وأبى يعلى بسند رجاله رجال الصحيح ولكن رجح الدارقطنى وقفه كذا فى الترغيب . (٢) متفق عليه حديث أبى هريرة اه مشكاة (٣) رواه مسلم وغيره من حديث أبى هريرة اه ترغيب

(٤) رواه أحمد من حديث النواس بن سمعان وشيخ أحمد فيه عمر بن هرون فيه خلاف قاله فى الترغيب (٥) رواه د ، ت وحسنه ر ، س والبيهقى من حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده اه ترغيب (٦) رواه الجماعة إلا الترمذى كلهم من حديث أبى هريرة . (٧) رواه البخارى من حديث (٧) رواه البخارى من حديث ابن عمر اه مشكاة .

(أفرى الفرى على الله أن يرى الرجل عينيه ما لم تريا) معناه أن يقول : رأيت فى منامى كيت وكيت ولم يكن رأى شيئاً ، وقال[١] ابن مسعود رضى الله عنه لايزال العبد يكذب و يتحرى الكذب حتى ينكت فى قلبه نكتة سوداء حتى يسود قلبه فيكتب عند الله من الكاذبين .

فينبغى للمسلم أن يحفظ لسانه عن الكلام إلا كلاماً ظهرت فيه المصلحة فإن فى السكوت سلامة والسلامة لا يعدلها شىء ، وفى صحيح البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت » فهذا الحديث المتفق على صحته نص صريح فى أنه لا ينبغى للإنسان أن لايتكلم إلا إذا كان الكلام خيراً وهو الذى ظهرت مصلحته للمتكلم قال[٢] أبو موسى : قلت يا رسول الله أى المسلمين أفضل قال : من سلم المسلمون من لسانه ويده ، وفى الصحيحين[٣] : « إن الرجل ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها ـ أى ما يفكر فيها بأنها حرام ـ يزل بها فى النار أبعد مما بين المشرق والمغرب » ، وفى موطأ الإمام[٤] مالك من رواية بلال بن الحارث المزنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله تعالى بها له رضوانه إلى يوم يلقاه وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله تعالى له بها سخطه إلى يوم يلقاه ، والأحاديث الصحيحة بنحو ما ذكرنا كثيرة ، وفيما أشرنا إليه كفاية . وسئل بعضهم : كم وجدت

(١) ذكره مالك فى موطئه بلاغا عنه اه ترغيب قال وقد تقدم بنحوه متصلا مرفوعا

(٢) رواه ح ، م ، ت ، س قاله المنذرى فى ترغيبه وأبو موسى هو الأشعرى اسمه عبد الله بن قيس

(٣) من حديث أبى هريرة ورواه س أيضا كما فى الترغيب .

(٤) وكذا رواه الترمذى وقال حسن صحيح ، س هـ ، حب ، ز وقال صحيح الإسناد اه ترغيب .

فى ابن آدم من العيوب فقال هى أكثر من أن تحصى والذى أحصيت ثمانية آلاف عيب ووجدت خصلة إن استعملها سترت العيوب كلها وهى حفظ اللسان . جنبنا الله معاصيه واستعملنا فيما يرضيه إنه جواد كريم .

موعظة — أيها العبد : لا شىء أعز عليك من عمرك وأنت تضيعه ، ولا عدوّ لك كالشيطان وأنت تطيعه ، ولا أضر من موافقة نفسك وأنت تصافيها ولا بضاعة سوى ساعات السلامة وأنت تسرف فيها ، لقد مضى من عمرك الأطايب فما بقى بعد شيب الذوائب ، يا حاضر البدن والقلب غائب ، اجتماع العيب والشيب من جملة المصائب ، يمضى زمن الصبا وحب الحبائب ، كفى زاجراً واعظاً تشيب منه الذوائب ، يا غافلا فاته أفضل المناقب ، أين البكا لخوف العظيم الطالب ، أين الزمان الذى ضاع فى الملاعب نظرت فيه آخر العواقب ، كم فى القيامة مع دمع ساكب على ذنوب قد حواها كتاب الكاتب ، من لى إذا قمت فى موقف المحاسب وقيل لى ما صنعت فى كل واجب كيف ترجو النجاة وتلهو بأسر الملاعب ، إذا أتتك الأمانى يظن الكاذب الموت صعب شديد مر المشارب ، يلقى شره بكأس صدور الكتائب ، فانظر لنفسك وانتظر قدوم الغائب يأتى بقهر ويرمى بسهم صائب ، يا آملا أن تبقى سليماً من النوائب بنيت بيتاً كنسيج العناكب ، أين الذين علوا متون الركايب ، ضاقت بهم المنايا سبل المذاهب وأنت بعد قليل حليف المصايب ، فانظر وتفكر وتدبر قبل العجايب .

الكبيرة الحادية والثلاثون : القاضى السوء

قال الله تعالى : (وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الكَافِرُونَ) وقال تعالى : (وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ)

وقال تعالى (وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ) روى الحاكم بإسناده[١] وفى صحيحه عن طلحة بن عبيد الله رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « لا يقبل الله صلاة إمام حكم بغير ما أنزل الله » .

وصحح الحاكم[٢] أيضا من حديث بريدة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « القضاة ثلاثة ، قاض فى الجنة وقاضيان فى النار ، قاض عرف الحق فقضى به فهو فى الجنة ، وقاض عرف الحق فجار متعمداً فهو فى النار ، وقاض قضى بغير علم فهو فى النار » قالوا : فما ذنب الذى يجهل ؟ قال : « ذنبه أن يكون قاضيا حتى يعلم » وعن أبى هريرة[٣] رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من جعل قاضيا فقد ذبح بغير سكين » وقال الفضيل بن عياض رحمه الله : ينبغى للقاضى أن يكون يوما فى القضاء ويوما فى البكاء على نفسه ، وقال محمد ابن واسع رحمه الله : أول من يدعى يوم القيامة إلى الحساب القضاة . وعن عائشة[٤] رضى الله عنها قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « يؤتى بالقاضى العدل يوم القيامة فيلقى من شدة الحساب ما يود أنه لم يقص بين اثنين فى تمرة » وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن القاضى ليزل فى زلقة فى جهنم أبعد من عدن » ، وعن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ليس من وال ولا قاض إلا يؤتى به يوم القيامة حتى يوقف بين يدى الله عز وجل على الصراط ثم تنشر

---

(١) فى سنده عبد الله بن محمد العدوى واه متهم وهذا مما أنكر على الحاكم قاله المنذرى ولفظه (لا يقبل الله صلاة إمام جائر) وقال الذهبى فى رسالته الصغرى عز وجل بسند لا أرضاه .

(٢) رواه د ، ت ، ه وقال ت حسن غريب اه ترغيب وقواه المصنف فى صغراه

(٣) رواه د ، ت وقال حسن غريب ، ه و ك وصححه اه ترغيب .

(٤) رواه أحمد وابن حبان فى صحيحه اه ترغيب .

سريرته فتقرأ على رؤوس الخلائق ، فإن كان عدلا نجاه الله بعدله ، وإن كان غير ذلك انتفض به ذلك الجسر انتفاضاً ، فصار بين كل عضو من أعضائه مسيرة كذا وكذا ثم ينخرق به الجسر إلى جهنم » .

وقال مكحول : لو خيرت بين القضاء و بين ضرب عنقي لاخترت ضرب عنقي على القضاء ، وقال أيوب السختياني : إني وجدت أعلم الناس أشدهم هرباً منه ، وقيل للثوري : إن شريحاً قد استقضى فقال : أي رجل قد أفسدوه . ودعا مالك بن المنذر محمد بن واسع ليجعله على قضاء البصرة فأبى فعاوده وقال : لتجلسن و إلا جلدتك فقال : إن تفعل فإنك سلطان و إن ذليل الدنيا خير من ذليل الآخرة ، وقال وهب ابن منبه : إذا همّ الحاكم بالجور أو عمل به أدخل الله النقص على أهل مملكته حتى في الأسواق والأرزاق والزرع والضرع وكل شيء ، وإذا همّ بالخير أو العدل أدخل الله البركة في أهل مملكته كذلك ، وكتب عامل من عمال حمص إلى عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه : أما بعد فإن مدينة حمص قد تهدمت واحتاجت إلى إصلاح ، فكتب إليه عمر : حصنها بالعدل ونقِّ طرقها من الجور والسلام . قال : ويحرم على القاضي أن يحكم وهو غضبان وإذا اجتمع في القاضي قلة علم وسوء قصد وأخلاق زعرة[1] وقلة ورع فقد تمّ خسرانه ووجب عليه أن يعزل نفسه ويبادر بالخلاص ، فنسأل الله العفو والعافية والتوفيق لما يحب ويرضى إنه جواد كريم .

موعظة — يا من عمره كلما زاد نقص ، يا من يأمن ملك الموت وقد اقتص ، يا مائلا إلى الدنيا هل سلمت من النقص ؟ يا مفرطا في عمره هل بادرت الفرص ؟ يا من إذا ارتقى في منهاج الهدى ثم لاح له الهوى نكص ، من لك يوم الحشر عند نشر القصص[2] ، عجباً لنفس أمست بالليل هاجعة ونسيت أهوال يوم الواقعة ولأن

---

(١) في الأساس : زعر الرجل زعرا ساء خلقه وقل خيره اهـ .

(٢) القصص : جمع قصة ، يعني الصحف التي فيها الأعمال .

تقرعها المواعظ فتصغى لها سامعة ، ثم تعود الزواجر عنها ضائعة والنفوس غدت فى كرم الكريم طامعة ، وليست له فى حال من الأحوال طائعة ، ولأقدام سعت فى الهوى فى طرق شاسعة بعد أن وضحت من الهدى سبل واسعة ، ولهمم شرعت فى مشارع الهوى متنازعة ، لم تكن مواعظ العقول لها نافعة ، وقلوب تضمر التوبة إذا فزعت بزواجر رادعة ثم تعود إلى ما لا يحل مراراً متتابعة .

الكبيرة الثانية والعشرون : أخذ الرشوة على الحكم

قال الله تعالى : (وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) أى لا تدلوا بأموالكم إلى الحكام أى لا تصانعوهم بها ولا ترشوهم ليقتطعوا لكم حقاً لغيركم وأنتم تعلمون أنه لا يحل لكم . وعن[1] أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لعن الله الراشى والمرتشى فى الحكم » أخرجه الترمذى وقال حديث حسن . وعن عبد الله بن عمرو : لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الراشى والمرتشى قال العلماء : فالراشى هو الذى يعطى الرشوة والمرتشى هو الذى يأخذ الرشوة ، و إنما تلحق اللعنة الراشى إذا قصد بها أذية مسلم أو ينال بها ما لا يستحق ، أما إذا أعطى ليتوصل إلى حق له أو يدفع عن نفسه ظلما فإنه غير داخل فى اللعنة ، وأما الحاكم فالرشوة عليه حرام أبطل بها حقاً أو دفع بها ظلما .

وقد روى فى حديث آخر[2] إن اللعنة على الرائش أيضاً وهو الساعى بينهما ، وهو تابع للراشى فى قصده إن قصد خيراً لم تلحقه اللعنة و إلا لحقته .

فصل — ومن ذلك ما روى أبو داود فى سننه عن أبى أمامة الباهلى رضى الله

(١) رواه ابن حبان فى صحيحه والحاكم وزاد والرائش يعنى الذى يسعى بينهما اهـ ترغيب . (٢) أخرجه د ، ت وقال حسن صحيح اهـ ترغيب .

عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من شفع لرجل شفاعة فأهدى له عليها هدية فقد أتى بابا كبيراً من أبواب الربا » . وعن ابن مسعود قال : السحت أن تطلب لأخيك الحاجة فتقضى فيهدى إليك هدية فتقبلها منه ؛ وعن مسروق أنه كلم ابن زياد فى مظلمة فردها فأهدى إليه صاحب المظلمة وصيفا فردها ولم يقبلها ، وقال : سمعت ابن مسعود يقول: من رد على مسلم مظلمة فأعطاه على ذلك قليلا أو كثيرا فهو سحت ، فقال الرجل : يا أبا عبد الرحمن ما كنا نظن أن السحت إلا الرشوة فى الحكم ، فقال : ذلك كفر[1] ، نعوذ بالله منه ونسأل الله العفو والعافية من كل بلاء ومكروه .

حكاية — ذكر عن الإمام أبى عمر الأوزاعى رحمه الله وكان يسكن ببيروت أن نصرانيا جاء إليه فقال : إن والى بعلبك ظلمنى بمظلمة ، وأريد أن تكتب إليه وأتاه بقلة عسل ، فقال الأوزاعى رحمه الله : إن شئت رددت القلة وكتبت لك إليه وإن شئت أخذت القلة ولم أكتب لك شيئا ، فقال النصرانى : بل اكتب لى وأنا آخذ القلة فكتب له إلى الوالى أن ضع عن هذا النصرانى من خراجه ، فأخذ القلة والكتاب ومضى إلى الوالى فأعطاه الكتاب ، فوضع عنه ثلاثين درهما بشفاعة الإمام رحمه الله وحشرنا فى زمرته .

موعظة — عباد الله : تدبروا العواقب ، واحذروا قوة المناقب ، واخشوا عقوبة المعاقب ، وخافوا سلب السالب ، فإنه والله طالب غالب . أين الذين قعدوا فى طلب المنى وقاموا ، وداروا على توطئة دار الرحيل وحاموا ، ما أقل ما لبثوا وما أوفى ما أقاموا ، لقد وبخوا فى نفوسهم فى قعر قبورهم على ما أسلفوا ولاموا :

أما والله لو علم الأنام لما خلقوا لما هجعوا وناموا
لقد خلقوا لأمر لو رأته عيون قلوبهم تاهوا وهاموا
ممات ، ثم قبر ، ثم حشر وتوبيخ وأهوال عظام

(١) رواه الطبرانى عنه موقوفا عليه اهـ ترغيب .

ليوم الحشر قد عملت رجال   فصلوا من مخافته وصاموا
ونحن إذا أمرنا أو نهينا   كأهل الكهف أيقاظ نيام

يا من بأقذار الخطايا قد تلطخ ، و بآفات البلايا قد تضمخ ، يا من سمع كلام من لام ووبخ ، يعقد عقد التوبة حتى إذا أمسى يفسخ ، يا مطلقاً لسانه والملك يحصى و ينسخ ، يامن طير الهوى فى صدره قد عشش وفرّخ ، كم أباد الموت ملوكا كالجبال الشمخ ، كم أزعج قواعد كانت فى الكبر ترسخ ، وأسكنهم ظلم اللحود ومن ورائهم برزخ ، يا من قلبه من بدنه أوسخ ، يامبارزاً بالعظائم أتأمن أن يخسف بك أو تمسخ يا من لازم العيب بعد اشتمال الشيب ففعله يؤرخ . والحمد لله دائماً أبداً .

الكبيرة الثالثة والثلاثون

تشبه المرأة بالرجال ، وتشبه الرجال بالنساء

فى الصحيح[1] أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لعن الله المتشبهات من النساء بالرجال والمتشبهين من الرجال بالنساء » وفى رواية[2] « لعن الله الرجلة من النساء » وفى رواية[3] قال : « لعن الله المخنثين من الرجال والمترجلات من النساء » يعنى اللاتى يتشبهن بالرجال فى لبسهم وحديثهم ، وعن أبى هريرة[4] رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لعن الله المرأة تلبس لبسة الرجل والرجل يلبس لبسة المرأة ».

فإذا لبست المرأة زى الرجال من المقالب والفرج والأكمام الضيقة فقد شابهت الرجال فى لبسهم فتلحقها لعنة الله ورسوله ولزوجها إذا أمكنها من ذلك أى رضى به ولم ينهها لأنه أمر بتقويمها على طاعة الله ونهيها عن المعصية لقول الله تعالى : (قُوا

(١) رواه خ ، د ، ت ، س ، ه ، ط من حديث ابن عباس مرفوع (بلفظ لعن رسول الله الخ ؛ طب ولفظه لعن الله المتشبهات) .

(٢) قال المصنف فى رسالته الصغرى : إسناده حسن .

(٣) عزاها فى الترغيب والترهيب البخارى من حديث ابن عباس

(٤) رواه د ، س ، ه ، حب فى صحيحه ك وقال على شرط مسلم اه ترغيب .

أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ) أى أدبوهم وعلموهم ومروهم بطاعة الله وانهوهم عن معصيته كما يجب ذلك عليكم فى حق أنفسكم ، ولقول[1] النبى صلى الله عليه وسلم « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، الرجل راع فى أهله ومسئول عنهم يوم القيامة » وجاء[2] عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ألا هلكت الرجال حين أطاعوا النساء » وقال الحسن : والله ما أصبح اليوم رجل يطيع امرأته فيما تهوى إلا كبه الله تعالى فى النار ، وقال صلى الله عليه وسلم : « صنفان من أهل النار لم أرهما قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات رؤسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا » أخرجه مسلم (قوله) كاسيات أى من نعم الله عاريات من شكرها ، وقيل : هو أن تلبس المرأة ثوباً رقيقاً يصف لون بدنها ؛ ومعنى مائلات قيل : عن طاعة الله وما يلزمهن حفظه ؛ مميلات أى يعلمن غيرهن الفعل المذموم ، وقيل مائلات يمشين متبخترات مميلات لأكتافهن وقيل مائلات يمتشطن المشطة الميلاء وهى مشية البغايا ومميلات يمشطن غيرهن تلك المشطة رؤسهن كأسنمة البخت أى يكبرنها ويعظمنها بلف عصابة أو عمامة أو نحوها . وعن نافع قال : كان ابن عمر وعبد الله بن عمرو عند الزبير بن عبد المطلب إذ أقبلت امرأة تسوق غنما متنكبة قوساً ، فقال عبد الله بن عمر : أرجل أنت أم امرأة ؟ فقالت : امرأة ، فالتفت إلىّ ابن عمر فقال : إن الله تعالى لعن على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم المتشبهات من النساء بالرجال والمتشبهين من الرجال بالنساء .

ومن الأفعال التى تلعن عليها المرأة إظهار الزينة والذهب واللؤلؤ من تحت

---

(١) رواه البخارى ومسلم من حديث ابن عمر .

(٢) أخرجه مسلم وغيره من حديث أبى هريرة وله شاهده من حديث ابن عمر صححه ابن حبان وقال الحاكم على شرط مسلم أفاده المنذرى رحمه الله تعالى .

النقاب ، وتطيبها بالمسك والعنبر والطيب إذا خرجت ، ولبسها الصباغات ، والأزر والحرير ، والأقبية القصار مع تطويل الثوب وتوسعة الأكمام وتطويلها ، إلى غير ذلك إذا خرجت ، وكل ذلك من التبرج الذى يمقت الله عليه ، ويمقت فاعله فى الدنيا والآخرة . وهذه الأفعال التى قد غلبت على أكثر النساء ، قال عنهن النبي صلى الله عليه وسلم : « اطلعت على النار فرأيت أكثر أهلها النساء » ، وقال صلى الله عليه وسلم : « ما تركت بعدى فتنة هى أضر على الرجال من النساء » فنسأل الله أن يقينا فتنتهن وأن يصلحهن وإيانا بمنه وكرمه .

موعظة — ابن آدم كأنك بالموت وقد فجأك وهجم وألحقك بمن سبقك من الأمم ، ونقلك إلى بيت الوحدة والظلم ، ومن ذلك إلى عسكر الموتى مخيمة بين الخيم ، مفرقا من مالك ما اجتمع من شملك وما انتظم ؛ ولا تدفعه بكثرة الأموال ولا بقوة الخدم ، وندمت على التفريط غاية الندم ، فياعجبا لعين تنام وطالبها لم ينم ، متى تحذر مما توعد وتهدد ومتى تضطرم نار الخوف فى قلبك وتتوقد إلى متى حسناتك تضمحل وسيئاتك تجدد ، إلى متى لا يهولك زجر الواعظ وإن شدد ، إلى متى أنت بين الفتور والتوانى تتردد ، متى تحذر يوما فيه الجلود تنطق وتشهد ، متى تترك ما يفنى فيما لا ينفد ، متى تهب بك فى بحر الوجد ريح الخوف والرجا ، متى تسكون فى الليل قائما إذا سجا ، أين الذين عاملوا مولاهم وانفردوا وقاموا فى الدجى وركعوا وسجدوا وقدموا إلى بابه فى الأسحار ووفدوا ، وصاموا هواجر النهار فصبروا واجتهدوا ، لقد ساروا وتخلفت وفاتك ما وجدوا ، وبقيت فى أعقابهم وإن لم تلحق بعدوا :

يا نائم الليل كم ترقد ... قم يا حبيبى فقد دنا الموعد
من نام حتى ينقضى ليله ... لم يبلغ المنزل له يجهد
قل لذوى الألباب أهل التقى ... قنطرة العرض لكم موعد

(١) هو فى الصحيحين من حديث .

الكبيرة الرابعة والثلاثون

الديوث المستحسن على أهله والقواد الساعى بين الاثنين بالفساد

قال الله تعالى : (الزَّانِى لاَ يَنْكِحُ إِلاَّ زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لاَ يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِمَ ذٰلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ) عن[1] عبد الله ابن عمر رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ثلاثة لا يدخلون الجنة : العاق لوالديه والديوث ورجلة النساء » وروى النسائى[2] : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ثلاثة قد حرم الله عليهم الجنة : مدمن الخمر والعاق لوالديه والديوث الذى يقر الخبث فى أهله » يعنى يستحسن على أهله نعوذ بالله من ذلك .

قال المصنف رحمه الله تعالى : فمن كان يظن بأهله الفاحشة و يتغافل لمحبته فيها أو لأن لها عليه دينا وهو عاجز أو صداقا ثقيلا أو له أطفال صغار فترفعه إلى القاضى وتطلب فرضهم فهو دون من يعرض عنه ولا خير فيمن لا غيرة له فنسأل الله العافية من كل بلاء ومحنة إنه جواد كريم .

موعظة — أيها المشغول بالشهوات الفانيات متى تستعد للمات الآت ، حتى متى لا تجتهد فى لحاق القوافل الماضيات ، أتطمع وأنت رهين الوساد فى لحاق السادات ، هيهات هيهات هيهات ؛ يا آملا فى زعمه اللذات احذر هجوم هازم اللذات ، احذر مكائده فهى كوامن فى عدة الآنفاس واللحظات :

تمضى حلاوة ما اختفيت و بعدها ... تبقى عليك مرارة التبعات

يا حسرة العاصين يوم معادهم ... لو أنهم سبقوا إلى الجنات

لو لم يكن إلا الحياء من الذى ... ستر العيوب لأكثروا الحسرات

---

(١) رواه س والبزار والحاكم وصححه من حديث ابن عمر قاله المنذرى فى ترغيبه

(٢) رواه أحمد والبزار والحاكم وقال صحيح الإسناد وهو من حديث عبد الله بن عمر أفاده المنذرى .

يامن صحيفته بالذنوب قد جفت ، وموازينه بكثرة الذنوب قد خفت ؛ أما رأيت أكفا عن مطامعها كفت أما رأيت عرائس آحاد إلى اللحود قد زفت ، أما عاينت أبدان المترفين وقد أدرجت فى الأكفان ولفت ، أما عاينت طور الأجسام فى الأرحام ومتى تنتبه لخلاص نفسك أيها الناعس : متى تعتبر بربع غيرك الدارس ، أين الأكاسرة الشجعان الفوارس ، أين المنعمون بالجوارى والظباء الخنس الكوانس ، أين المتكبرون ذوو الوجوه العوابس ، أين من اعتاد سعة القصور ؟ حبس فى القبور فى أضيق المحابس ، أين الرافل فى أثوابه عرى فى ترابه عن الملابس ، أين الغافل فى أمله وأهله عن أجاه سلبته أكف الخالس أين جامع الأموال سلب المحروس وهلك الحارس ، حق لمن علم مكر الدنيا أن يهجرها ، ولمن جهل نفسه أن يزجرها ، ولمن تحقق نقلته أن يذكرها ، ولمن عمر بالنعماء أن يشكرها ، ولمن دعى إلى دار السلام أن يقطع مفاوز الهوى ليحضرها .

الكبيرة الخامسة والثلاثون : فى المحلل والمحلل له

صح[١] من حديث ابن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه لعن المحلل والمحلل له ، قال الترمذى : والعمل على ذلك عند أهل العلم منهم عمر ابن الخطاب وعثمان بن عفان وعبد الله بن عمر وهو قول الفقهاء من التابعين ورواه الإمام أحمد فى مسنده والنسائى فى سننه أيضاً بإسناد صحيح ، وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المحلل فقال « لا ، إلا نكاح رغبة لا نكاح دلسة[٢] ، ولا استهزاء بكتاب الله عز وجل حتى يذوقى العسيلة رواه أبو إسحاق الجوزجانى وعن عقبة بن عامر قال : قال رسول الله صلى الله عليه

(١) رواه النسائى والترمذى قاله المصنف فى الصغرى :

(٢) التدليس كتم العيب كما فى المجمع والأساس والمراد هنا إظهار الرغبة فى النكاح مع إبطال خلافه .

وسلم « ألا أخبركم بالتيس المستعار ؟ قالوا بلى يارسول الله قال هو المحلل ، لعن الله المحلل والمحلل له » رواه ابن ماجة بإسناد صحيح ، وعن ابن عمر أن رجلا سأله فقال ماتقول فى امرأة تزوجتها أحلها لزوجها لم يأمرنى ولم يعلم فقال له ابن عمر : لا إلا نكاح رغبة إن أعجبتك أمسكتها وإن كرهتها فارقتها وإنا كنا نعد هذا سفاحا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وأما الآثار عن الصحابة والتابعين فقد روى الأثرم وابن المنذر عن عمر ابن الخطاب رضى الله عنه قال : لاأوتى بمحل ولامحال رجمتهما . وسئل عمر ابن الخطاب عن تحليل المرأة لزوجها فقال ذلك (السفاح) وعن عبد الله بن شريك العامرى قال : سمعت ابن عمر رضى الله عنه وقد سئل عن رجل طلق ابنة عم له ثم ندم ورغب فيها رجل فأراد أن يتزوجها ليحلها له فقال ابن عمر : كلاهما زان وإن مكثا عشرين سنة أو نحو ذلك إذا كان يعلم أنه يريد أن يحلها . وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه سأله رجل فقال : ابن عمى طلق امرأته ثلاثاً ثم ندم فقال : ابن عمك عصى الله فأندمه وأطاع الشيطان فلم يجعل له مخرجا فقال كيف ترى فى رجل يحلها له : فقال من يخادع الله يخدعه : وقال إبراهيم النخعى : إذا كان نية أحد الثلاثة الزوج الأول أو الزوج الآخر أو المرأة التحليل فنكاح الآخر باطل ولا تحل للأول . وقال الحسن البصرى : إذا هم أحد الثلاثة بالتحليل فقد أفسد . وقال سعيد ابن المسيب إمام التابعين فى رجل تزوج امرأة ليحلها لزوجها الأول فقال لاتحل . وممن قال بذلك مالك بن أنس والليث بن سعد وسفيان الثورى والإمام أحمد وقال إسماعيل بن سعيد سألت الإمام أحمد عن الرجل الذى يتزوج المرأة وفى نفسه أن يحلها لزوجها الأول ولم تعلم المرأة بذلك فقال هو محلل وإذا أراد بذلك الإحلال فهو ملعون ، ومذهب الشافعى رحمه الله إذا شرط التحليل فى العقد بطل العقد لأنه عقد بشرط قطعه دون غايته فبطل كنكاح المتعة وإن وجد الشرط قبل العقد فالأصح

الصحة و إن عقد كذلك ولم يشرط فى العقد ولا قبله كره ولم يفسد العقد و إن تزوجها على أنه إذا أحلها طلقها ففيه قولان أصحهما أنه يبطل ووجه البطلان أنه شرط يمنع صحة دوام النكاح فأشبه التأقيت وهذا هو الأصح فى الرافعى ووجه الثانى أنه شرط فاسد قارن العقد فلا يبطل كما لو تزوجها بشرط أن لايتزوج عليها ولا يسافر بها والله أعلم ، فنسأل الله أن يوفقنا لما يرضيه ويجنبنا معاصيه إنه جواد كريم غفور رحيم .

موعظة — لله در قوم تركوا الدنيا قبل تركها ، وأخرجوا قلوبهم بالنفر عن ظلام شكها ، التقطوا أيام السلامة وتغنموا ، وتلذذوا بكلام مولاهم فاستسلموا لأمره وسلموا ، وأخذوا مواهبه بالشكر وتسلموا ، هجروا فى طاعته لذيذ السكرى ، وهربوا إليه من جميع الورى ، وآثروا طاعته إيثار من علم ودرى ، ورضوا فلم يعترضوا على ماجرى ، وباعوا أنفسهم فيا نعم البيع و يا نعم الشرا ، أسلموا إليه لما سلموا الروح ، وخدموه والصدر لخدمته مشروح ، وقرعوا بابه و إذا الباب مفتوح ، وواصلوا البكا فالجفن بالدمع مقروح ، وقاموا فى الأسحار قيام من يبكى و ينوح وصبروا على مقطعات الصوف ولبس المسوح ، وراضوا أنفسهم فإذا المذموم ممدوح ، تعرفهم بسيماهم عليهم آثار الصدق تلوح ، قد عقبوا بنشر أنسه رائحة ارتياحهم تفوح ، من طيب الثنا روائح لهم بكل مكان تستنشق ، ممسكة التفحات إلا أنها وحشية لسواهم لا تعبق :

الكبيرة السادسة والثلاثون

عدم التنزه من البول وهو شعار النصارى

قال الله تعالى (وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ) وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال مر النبى صلى الله عليه وسلم بقبرين فقال : « إنهما ليعذبان وما يعذبان فى كبير أما أحدهما فكان يمشى بالنميمة وأما الآخر فكان لايستبرئ من البول » أى لايتحرز منه

مخرج فى الصحيحين ؛ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : استنزهوا من البول فإن غامة عذاب القبر منه . رواه الدارقطنى .

ثم إن من لم يتحرز من البول فى بدنه وثيابه فصلاته غير مقبولة وروى الحافظ أبو نعيم[1] فى الحلية عن شقى بن ماتع الأصبحى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أو بعة يؤذون أهل النار على مابهم من الأذى يسعون ما بين الحميم والجحيم ويدعون بالويل والثبور ويقول أهل النار بعضهم لبعض مابال هؤلاء قد آذونا على مابنا من الأذى قال فرجل مغلق عليه تابوت من جمر وجل يجر أمعاءه وزجل يسيل فمه قيحاً ودماً وجل يأكل لحمه قال فيقال لصاحب التابوت مابال الأبعد قد آذانا على ممابنا من الأذى فيقول إن الأبعد مات وفى عنقه أموال الناس ثم يقال للذى يجر أمعاءه مابال الأبعد قد آذانا على مابنا من الأذى فيقول إن الأبعد كان لايبالى أين ماأصاب البول منه « ولا يغسله » ثم يقال للذى يسيل فمه قيحا ودما مابال الأبعد قد آذانا على مابنا من الأذى فيقول إن الأبعد كان ينظر كل كلمة قبيحة فيستلذها » وفى رواية كان يأكل لحوم الناس ويمشى بالنميمة ثم يقال للذى يأكل لحمه مابال الأبعد قد آذانا على مابنا من الأذى فيقول إن الأبعد كان يأكل لحوم الناس — يعنى بالغيبة

فنسأل الله العفو والعافية بمنه وكرمه إنه أرحم الراحمين .

موعظة — أيها العبيد تذكروا فى مصارع الذين سبقوا ، وتدروا فى عواقبهم أين انطلقوا ، واعلموا أنهم قد تقاسموا وافترقوا ، أما أهل الخير فسعدوا وأما أهل الشر فشقوا ؛ فانظر لنفسك قبل أن تلقى مالقوا :

والمرء مثل هلال عند مطلعه يبدو ضئيلا لطيفاً ثم يتسق

---

(١) رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب الصمت وفى ذم الغيبة والطبرانى فى الكبير باسناد لين وأبو نعيم وقال شقى بن مانع مختلف فى صحبته فقيل له صحبة قال الحافظ (المنذرى) شقى ذكره البخارى وابن حبان فى التابعين اهـ ترغيب وترهيب .

يزداد حتى إذا ما تم أعقبه ... كر(١) الجديدين نقصا ثم يمتحق
كان الشباب رداء قد بهجت به ... فقد تطاير منه للبلا خرق
ومات مبتسم يجد المشيب به ... كالليل ينهض فى إعجازه الأفق
عجيب والدهر لا تفنى عجائبه ... من راكنين إلى الدنيا وقد صدقوا
وطالما نقص بالفجع صاحبه ... بطارق الفجع والتنغيص قد طرقوا
دار تعهد بها الآجال مهلكة ... وذو التجارب فيها خائف فرق
أيا للرجال لمخدوع بباطلها ... بعد البيان ومغرور بها يثق
أقول والنفس تدعونى لزخرفها ... أين الملوك ملوك الناس والسوق
أين الذين إلى لذاتها جنحوا ... قد كان قبلهم عيش ومرتفق
أمست مساكنهم قفرا معطلة ... كأنهم لم يكونوا قبلها خلقوا
يا أهل لذة دار لا بقاء لها ... إن اغترار بظل زائل حمق

الكبيرة السابعة والثلاثون : الرياء

قال الله تعالى مخبرا عن المنافقين : (يُرَاؤُنَ النَّاسَ وَلاَ يَذْكُرُونَ اللهَ إلاَّ قَلِيلاً) وقال تعالى : (فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاَتِهِمْ سَاهُونَ الَّذِينَ هُمْ يُرَاؤُنَ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ) وقال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِى يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ) الآية وقوله تعالى : (فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً) أى لا يرائى بعمله ، وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أول الناس يقضى عليه يوم القيامة رجل استشهد فى سبيل الله فأتى به فعرفه نعمه فعرفها قال : فما علمت فيها قال : قاتلت فيك حتى استشهدت قال كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جرىء ،

(١) يعنى تعاقب الليل والنهار .

وقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال فأتى به فعرفه نعمه فعرفها قال : فما عملت فيها قال : ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك قال كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جواد فقد قيل : ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار ، ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتى به فعرفه نعمه فعرفها قال : فما عملت فيها قال : تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن قال : كذبت ولكنك تعلمت ليقال هو عالم ، وقرأت ليقال هو قارىء ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار » رواه مسلم وقال صلى الله عليه وسلم [١] : « من سمع سمع الله به ومن يرائى يرائى الله به » قال الخطابى معناه : من عمل عملا على غير إخلاص إنما يريد أن يراه الناس ويسمعوه جوزى على ذلك بأنه يشهره ويفضحه فيبدو عليه ما كان يبطنه ويسره من ذلك والله أعلم وقال [٢] عليه الصلاة والسلام : « اليسير من الرياء شرك » وقال [٣] صلى الله عليه وسلم : « أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر ، فقيل وما هو يا رسول الله ؟ قال : الرياء يقول الله تعالى يوم يجازى العباد بأعمالهم اذهبوا إلى الذين كنتم تراءونهم بأعمالكم فانظروا هل تجدون عندهم جزاء . وقيل فى قوله تعالى : (وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ) قيل : كانوا عملوا أعمالا كانوا يرونها فى الدنيا حسنات بدت لهم يوم القيامة سيئات وكان بعض السلف إذا قرأ هذه الآية يقول : ويل لأهل الرياء وقيل إن [٤] المرائى ينادى به يوم

---

(١) متفق عليه من حديث جندب بن عبدالله ونحوه من حديث ابن عمر عند الطبرانى فى الكبير والبيهقى فى الشعب من رواية شيخ يكنى أبا يزيد عنه وفى مسند أحمد وغيره من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص قاله العراقى فى تخريج الإحياء .

(٢) رواه الحاكم من حديث معاذ والطبرانى نحوه أفاده العراقى . (٣) رواه أحمد والبيهقى فى الشعب من حديث محمود بن لبيد وله رؤية ورجاله ثقات ورواه الطبرانى عنه رافع بن خديج قاله العراقى (٤) ابن أبى الدنيا من رواية جبلة اليحصبى عن صحابى لم يسلم وإسناده ضعيف اهـ عراقى .

القيامة بأربعة أسماء : يا مرائى يا غادر يا فاجر يا خاسر اذهب فخذ أجرك ممن عملت له فلا أجر لك عندنا . وقال الحسن : المرائى يريد أن يغلب قدر الله فيه هو رجل سوء يريد أن يقول الناس هو صالح فكيف يقولون وقد حل من ربه محل الأردياء فلابد من قلوب المؤمنين أن تعرفه . وقال قتادة : إذا راءى يقول الله انظروا إلى عبدى كيف يستهزىء بى وروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه نظر إلى رجل وهو يطأطىء رقبته فقال : يا صاحب الرقبة ارفع رقبتك ليس الخشوع فى الرقاب إنما الخشوع فى القلوب وقيل إن أبا أمامة الباهلى رضى الله عنه أتى على رجل فى المسجد وهو ساجد يبكى فى سجوده ويدعو فقال له أبو أمامة : أنت أنت لو كان هذا فى بيتك . وقال محمد بن المبارك الصورى : أظهر السمت بالليل فإنه أشرف من إظهاره بالنهار لأن السمت بالنهار للمخلوقين والسمت بالليل لرب العالمين وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه : للمرائى ثلاث علامات يكسل إذا كان وحده وينشط إذا كان فى الناس ويزيد فى العمل إذا أثنى عليه وينقص إذا ذم به وقال الفضيل بن عياض رحمه الله : ترك العمل لأجل الناس رياء والعمل لأجل الناس شرك والإخلاص أن يعافيك الله منهما .

فنسأل الله المعونة والإخلاص فى الأعمال والأقوال والحركات والسكنات إنه جواد كريم .

موعظة — عباد الله إن أيامكم قلائل ومواعظكم قواتل ، فليخبر الأواخر الأوائل ، وليستيقظ الغافل قبل سير القوافل ، يا من يوقن أنه لا شك راحل ، وماله زاد ولا رواحل . يامن لج فى لجة الهوى متى ترتقى إلى الساحل ، هل انتبهت من رقاد شامل : وحضرت المواعظ بقلب غير غافل وقمت فى الليل قيام عاقل وكتبت بالدموع سطور الرسائل ، تخفى بها زفرات الندم والوسائل ،

و بعثتها فى سفينة دمع سائل ، لعلها ترسى على الساحل وأأسفا لمغرور جهول غافل ، لقد أثقل بعد الكهولة بالذنب الكاهل ، وقد ضيع البطالة و بدل الجاهل ، وركن إلى ركوب الهوى ركبة مائل ، يبنى البنيان و يشيد المعاقل ، وهو عن ذكر قبره متشاغل ، و يدعى بعد هذا أنه عاقل ، تالله لقد سبقه الأبطال إلى أعلى المنازل ، وهو يؤمل فى بطالته فوز العامل ، وهيهات هيهات مافاز باطل بطائل :

أيها المعجب فخراً ... بمقاصير البيوت
إنما الدنيا محل ... قيام وقنوت
فغداً تنزل بيتا ... ضيقاً بعد النحوت
بين أقوام سكوت ... ناطقات فى الصموت
فارض فى الدنيا بثو ... ب ومن العيش بقوت
واتخذ بيتا ضعيفا ... مثل بيت العنكبوت
ثم قل يا نفس هذا ... بيت مثواك فموت

الكبيرة الثامنة والثلاثون : التعلم للدنيا وكتمان العلم

قال الله تعالى : (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ) يعنى العلماء بالله عز وجل ، قال ابن عباس : يريد إنما يخافنى من خلقى من علم جبروتى وعزتى وسلطانى وقال مجاهد والشعبى : العالم من خاف الله تعالى : وقال الربيع بن أنس : من لم يخف الله فليس بعالم . وقال تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ) نزلت هذه الآية فى علماء اليهود ، وأراد (بالبينات) الرجم والحدود والأحكام ، و بالهدى أمر محمد عليه الصلاة والسلام ونعته (من بعد مابيناه للناس) أى بنى إسرائيل (وفى الكتاب) أى فى التوراة (أولئك) يعنى الذين يكتمون (يلعنهم الله ويلعنهم

اللاعنون) قال ابن عباس كل شيء إلا الجن والإنس ، وقال ابن مسعود ما تلاعن اثنان من المسلمين إلا رجعت تلك اللعنة على اليهود والنصارى الذين يكتمون أمر محمد عليه الصلاة والسلام وصفته ، وقال تعالى : (وإذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ) . قال الواحدى نزلت هذه الآية فى يهود المدينة أخذ الله ميثاقهم فى التوراة ليبينن شأن محمد صلى الله عليه وسلم ونعته ومبعثه ولا يخفونه ، وهو قوله تعالى : (لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ) ، وقال الحسن: هذا ميثاق الله تعالى على علماء اليهود أن يبينوا للناس ما فى كتابهم ، وفيه ذكر النبي عليه الصلاة والسلام ، وقوله : (فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ) . قال ابن عباس أى ألقوا ذلك الميثاق خلف ظهورهم (وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً) يعنى ما كانوا يأخذونه من سفلتهم برياستهم فى العلم ، وقوله : (فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ) . قال ابن عباس قبح شراؤهم وخسروا ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من تعلم علماً مما يبتغى به وجه الله لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضاً من الدنيا لم يجد عرف الجنة » - يعنى ريحها رواه[1] أبو داود ، وقد مر[2] حديث أبي هريرة فى الثلاثة الذين يسحبون إلى النار أحدهم الذى يقال له إنما تعلمت ليقال عالم ، وقد قيل ، وقال عليه الصلاة والسلام : « من ابتغى العلم ليباهى به العلماء أو ليمارى به السفهاء أو تقبل أفئدة الناس إليه فإلى النار » ، وفى لفظ : « أدخله الله النار » أخرجه الترمذى[3] ، وقال[4] صلى الله

---

(١) وابن ماجه وجب فى صحيحه ، لك وقاله على شرط فى م قال المنذرى وقال المصنف فى الصغرى سنده صحيح . (٢) أى فى الباب الماضى .

(٣) بسند فيه إسحاق بن يحيى وهو واه قاله المصنف فى صغراه .

(٤) باسناد صحيح رواه عطاء عن أبى هريرة ونحوه من حديث عبد الله بن عمرو وقال على شرطها ولا أعلم له علة قاله المصنف فى الصغرى .

عليه وسلم « من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار ، وكان[1] من دعاء رسول الله عليه وسلم « أعوذ بك من علم لا ينفع » وقال[2] صلى الله عليه وسلم «من تعلم علما لغير الله أو أراد به غير الله فليتبوأ مقعده من النار» وقال ابن مسعود: من تعلم علما لم يعمل به لم يزده العلم إلا كبراً . وعن أبي أمامة[3] رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يجاء بالعالم السوء يوم القيامة فيقذف في النار فيدور بالقصبة كما يدور الحمار بالرحا فيقال له بم لقيت هذا وإنما اهتدينا بك فيقول : كنت أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه[4] . وقال هلال بن العلاء : طلب العلم شديد وحفظه أشد من طلبه والعمل به أشد من حفظه والسلامة منه أشد من العمل به . فنسأل الله السلامة من كل بلاء والتوفيق لما يحب ويرضى إنه جواد كريم .

موعظة — ابن آدم ، متى تذكر عواقب الأمور ؟ متى ترحل الرحال عن هذه القصور ؟ إلى متى أنت في جميع ماتبني تدور؟ أين من كان قبلكم في المنازل والدور؟ أين من ظن بسوء تدبيره أنه لايجور ؟ رحل والله الكل فاجتمعوا في القبور ؟ واستوطنوا أخشن المهاد إلى نفخ الصور فإذا قاموا إلى فصل القضاء والسماء تمور ، كشفوا الحجاب المخفي وهتك المستور ، وظهرت عجائب الأفعال وحصل مافي الصدور ونصب الصراط فكم من قدم عثور ، ووضعت عليه كلاليب لخطف كل مغرور ،

---

(١) م ، ت س من حديث زيد بن أرقم وتمامه (ومن قلب لايخشع ومن نفس لا تشبع ومن دعوة لايستجاب لها اه منذرى . (٢) حسنه الترمذى قاله المصنف فى الصغرى وقال المنذرى رواه ، ه من رواية خالد بن دريك عن ابن عمر ولم يسمع منه ورجال إسنادهما ثقات . (٣) رواه د ، ت وحسنه ، ه ، حب فى صحيحه و ك بنحوه وقال على شرط الشيخين كلهم من حديث أبى هريرة قاله المنذرى فى الترغيب .

(٤) رواه ح ، م من حديث أسامة بن زيد ورواه البيهقى وحب من حديث أنس أفاده المنذرى فما هنا من جعله من حديث أبى أمامة خطأ من الناسخ أو سبق قلم .

وأصبحت وجوه المتقين تشرق كالبدور ، و باؤا بتجارة لن تبور ، ودعا أهل الفجور بالويل والثبور ، وجيء بالنار تقاد بالأزمة وهي تفور ، إذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقا وهي تفور ، ليس في الدنيا لمن آمن بالبعث سرور ، إنما يفرح بالدنيا جهول أو كفور .

إنما الدنيا متاع كل ما فيها غرور
فتذكر هول يوم السما فيه تمور

الكبيرة التاسعة والثلاثون : الخيانة

قال الله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) ، قال الواحدي رحمه الله تعالى : نزلت هذه الآية في أبي لبابة حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بني قريظة لما حاصرهم وكان أهله وولده فيهم ، فقالوا : يا أبا لبابة ما ترى لنا إن نزلنا على حكم سعد فينا ، فأشار أبو لبابة إلى حلقه ، أي إنه الذبح فلا تفعلوا فكانت تلك منه خيانة لله ورسوله ، قال أبو لبابة : فما زالت قدماى من مكاني حتى عرفت أني خنت الله ورسوله ، وقوله : (وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) عطف على النهي أي ولا تخونوا أماناتكم ، قال ابن عباس : الأمانات الأعمال التي ائتمن الله عليها العباد يعني الفرائض يقول لا تنقضوها . قال الكلبي : أما خيانة الله ورسوله فمعصيتهما ، وأما خيانة الأمانة فكل واحد مؤتمن على ما افترضه الله عليه إن شاء خانها و إن شاء أدّاها لا يطلع عليه أحد إلا الله تعالى وقوله (وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) أنها أمانة من غير شبهة ، وقال تعالى : (إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ) أي لا يرشد كيد من خان أمانته ، يعني أنه يفتضح في العاقبة بحرمان الهداية ، وقال[1] عليه الصلاة والسلام : « آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب ، و إذا وعد أخلف ،

(١) رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة وزاد مسلم « وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم » وروى نحوه أبو يعلى من حديث أنس قاله منذري في ترغيبه .

وإذا ائتمن خان » . وقال[1] رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له » والخيانة قبيحة فى كل شىء و بعضها شر من بعض وليس من خانك فى فلس كمن خانك فى أهلك ومالك وارتكب العظائم ، وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أدّ الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك » وفى الحديث[2] أيضاً : « يطبع المؤمن على كل شىء ليس الخيانة والكذب » . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم[3] : « يقول الله أنا ثالث الشريكين مالم يخن أحدهما صاحبه » وفيه أيضاً : « أول ما يرفع من الناس الأمانة وآخر ما يبقى الصلاة ورب مصل لا خير فيه » وقال[4] رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إياكم والخيانة فإنها بئست البطانة » وقال[5] عليه الصلاة والسلام : « هكذا أهل النار وذكر منهم رجلا لا يخفى[6] له طمع و إن دق إلا خانه » .

وقال[7] ابن مسعود : « يؤتى يوم القيامة بصاحب الأمانة الذى خان فيها فيقال له : أدّ أمانتك ، فيقول : أى يا رب وقد ذهبت الدنيا ؟ قال : فتمثل له كهيئتها يوم أخذها فى قعر جهنم ، ثم يقال له : انزل إليها فاخرجها ، قال : فينزل

---

(١) رواه أحمد والبزار والطبرانى فى الأوسط وابن حبان فى صحيحه من حديث أنس والطبرانى فى الأوسط والصغير من حديث ابن عمر قاله المنذرى .

(٢) رواه أحمد عن وكيع عن الأعمش قال حدثت عن أبى إمامة اه ترغيب، ففيه انقطاع بين الأعمش وأبى إمامة .

(٣) رواه أبو داود ، والحاكم وقال صحيح الإسناد .

(٤) رواه أبو داود ، س ، ه من حديث أبى هريرة وأوله « اللهم إنى أعوذ بك من الجوع فانه بئس الضجيع » الخ أفاده المنذرى فى الترغيب .

(٥) رواه مسلم فى حديث طويل من حديث عياض بن حمار المجاشعى .

(٦) لايخفى أى لا يظهر والخماء من الأضداد .

(٧) عزاه فى الترغيب والترهيب إلى أحمد والبيهقى موقوفا بنحو ماهنا قال وذكر عبد الله بن الإمام أحمد فى كتاب الزهد أنه سأل أباه عنه فقال إسناده جيد اه .

إليها فيحملها على عاتقه فهى عليه أثقل من جبال الدنيا حتى إذا ظن أنه ناج هوت وهوى فى أثرها أبد الآبدين ثم قال : الصلاة أمانة والوضوء أمانة والغسل أمانة والوزن أمانة والكيل أمانة وأعظم ذلك كله الودائع » .

اللهم عاملنا بلطفك وتداركنا بعفوك .

موعظة — عباد الله : ما أشرف الأوقات وقد ضيعتموها ، وما أجهل النفوس وقد أطعتموها ، وما أدق السؤال عن الأموال فانظروا كيف جمعتموها ، وما أحفظ الصحف بالأعمال فتدبروا ما أودعتموها ، قبل الرحيل عن القليل والمناقشة عن النقير والفتيل قبل أن تنزلوا بطون اللحود ، وتصيروا طعاما للدود فى بيت بابه مسدود ، ولو قيل فيه للعاصى : ما تختار ؟ لقال : أعود ولا أعود .

أين أهل الديار من قوم نوح ثم عاد من بعدهم وثمود
بينما القوم فى النمارق والاستبرق أفضت إلى التراب الخدود
وصحيح أضحى يعود مريضا وهو أدنى للموت ممن يعود

الكبيرة الأربعون : المنان

قال الله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى) قال الواحدى : هو أن يمن بما أعطى ، وقال الكلبى : بالمن على الله فى صدقته والأذى لصاحبها ؛ وفى الصحيح[1] أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم : المسبل والمنان والمنفق سلعته بالحلف الكاذب » المسبل : هو الذى يسبل إزاره أو ثيابه أو قميصه أو سراويله حتى يكون إلى القدمين ؛ لأنه صلى الله عليه وسلم

(١) يعنى صحيح مسلم وهو عند الجماعة سوى البخارى من حديث أبى ذر رضى الله عنه اه ترغيب للمنذرى .

قال[١] : « ما أسفل من الكعبين من الإزار فهو فى النار » وفى الحديث أيضاً : « ثلاثة لا يدخلون الجنة : العاق لوالديه ، والمدمن الخمر ، والمنان » رواه النسائى[٢] ، وفيه[٣] أيضاً : « لا يدخل الجنة خب ولا بخيل ولا منان » والخب هو المكر والخديعة ، والمنان هو الذى يعطى شيئاً أو يتصدق به ثم يمن به . وجاء عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : إياكم والمن بالمعروف فإنه يبطل الشكر ويمحق الأجر ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم قول الله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى) وسمع ابن سيرين رجلا يقول لآخر : أحسنت إليك وفعلت وفعلت ، فقال له ابن سيرين : اسكت فلا خير فى المعروف إذا أحصى ، وكان بعضهم يقول : مَنْ منّ بمعروفه سقط من شكره ومن أعجب بعمله حبط أجره ؛ وأنشد الشافعى رحمه الله تعالى :

لا تحملن من الأنام عليك منه
واختر لنفسك حظها واصبر فإن الصبر منه
منن الرجال على القلوب أشد من وقع الأسنه

وأنشد أيضاً بعضهم فقال :

وصاحب سلفت منه إلى يد أبطا عليه مكافاتى فعادانى
لما تيقن أن الدهر حاربنى أبدى الندامة مما كان أولانى
أفسدت بالمن ما قدمت من حسن ليس الكريم إذا أعطى بمنان

---

(١) رواه مالك ، د ، س ، هـ ، حب فى صحيحه فى ضمن حديث كما فى الترغيب .

(٢) ورواه س من حديث ابن عمر والبزار والحاكم وقال صحيح الإسناد وابن حبان فى صحيحه أفاده المنذرى فى ترغيبه

(٣) رواه الترمذى وقال حديث غريب اهـ ترغيب والخب بكسر الخاء المعجمة هو الخداع الخبيث .

موعظة — يا مبادراً بالخطايا ما أجهلك ، إلى متى تغتر بالذى أمهلك ، كأنه قد أهملك . فكأنك بالموت وقد جاء بك وأنهلك ، وإذا الرحيل وقد أفزعك الملك ، وأسرك البلا بعد الهوى وعقلك ، وندمت على وزر عظيم قد أثقلك يا مطمئناً بالفانى ما أكثر زللك ، ويا معرضاً عن النصح كأن النصح ما قيل لك ، أين حبيبك الذى كان ، وأين انتقل ؟ أما غره التلاف فى كره ومقل ، أين كثير المال أين طويل الأمل ، أما خلا وحده ، فى لحده بالعمل ، أين من جر ثوبه الخيلاء غافلا ورفل ، أما سافر به وإلى الآن ما وصل ، أين من تنعم فى قصره فكأنه فى الدنيا ما كان وفى قبره لم يزل ، أين من تفوق واحتفل ؟ غاب والله نجم سعوده وأفل ، أين الأكاسرة والجبابرة العتاة الأول ، ملك أموالهم سواهم والدنيا دول .

الكبيرة الحادية والأربعون : التكذيب بالقدر

قال الله تعالى : (إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ) . قال ابن الجوزى فى تفسيره؛ فى سبب نزولها قولان : أحدهما : أن مشركى مكة أتوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يخاصمونه فى القدر فنزلت هذه الآية . انفرد بإخراجه مسلم ، وروى[1] أبو أمامة أن هذه الآية نزلت فى القدرية ، والقول الثانى : أن أسقف نجران جاء إلى النبى صلى الله عليه وسلم[2] فقال يا محمد تزعم أن المعاصى بقدر وليس كذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنتم خصماء الله » فنزلت هذه الآية : (إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَالٍ وَسُعُرٍ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فى النارِ على وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرْ إِنَّ كُلَّ شيءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ)

---

(١) رواه ابن عدى وابن مردويه وابن عساكر وغيرهم بسند ضعيف قاله السيوطى فى الدر المنثور (٢) أخرجه ابن مردويه عن ابن عباس قاله السيوطى فى الدر المنثور

وروى[1] عمر بن الخطاب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة أمر منادياً فنادى نداء يسمعه الأولون والآخرون : أين خصماء الله ؟ فتقوم القدرية فيؤمر بهم إلى النار يقول الله : (ذُوقُوا مَسَّ سَقَرْ إنا كلَّ شيء خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ) ، وإنما قيل لهم خصماء الله لأنهم يخاصمون فى أنه لا يجوز أن يقدر المعصية على العبد ثم يعذبه عليها ، وروى هشام بن حسان عن الحسن قال : والله لو أن قدريا صام حتى يصير كالحبل ثم صلى حتى يصير كالوتر لكبه الله على وجهه فى سقر ثم قيل له ذق مس سقر إنا كل شيء خلقناه بقدر ، وروى مسلم فى صحيحه من حديث ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كل شيء بقدر حتى العجز والكيس ، وقال ابن عباس : كل شيء خلقناه بقدر مكتوب فى اللوح المحفوظ قبل وقوعه . قال الله تعالى : (وَاللهُ خَلَقَكُم وَمَا تَعْمَلُونَ) قال ابن جرير : فيها وجهان؛ أحدهما: أن تكون بمعنى المصدر فيكون المعنى : والله خلقكم وعملكم ، والثانى : أن تكون بمعنى الذى فيكون المعنى : والله خلقكم وخلق الذى تعملونه بأيديكم من الأصنام ، وفى هذه الآية دليل على أن أفعال العباد مخلوقة والله أعلم ، وقال تبارك وتعالى : (فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا) الإلهام إيقاع الشيء فى النفس . قال سعيد بن جبير : ألزمها فجورها وتقواها ، وقال ابن زايد جعل ذلك فيها بتوفيقه إياها للتقوى وخذلانه إياها للفجور والله أعلم ، وفى الحديث عن النبى عليه الصلاة والسلام أنه قال : « إن الله من على قوم فألهمهم الخير فأدخلهم فى رحمته وابتلى قوماً فخذلهم وذمهم على أفعالهم ولم يستطيعوا غير ما ابتلاهم فعذبهم وهو عادل » (لا يُسْأَلُ عما يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ) ، وعن[2] معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى عليه وسلم : ما بعث الله نبيًّا قط إلا وفى أمته قدرية ومرجئة ،

---

(١) أخرج نحوه ابن مردويه من حديث ابن عباس مرفوعا ذكر السيوطى فى الدر المنثور . (٢) أورده المصنف فى الصغرى له عن بقية عن أبى العلاء الدمشقى =

إن الله لعن القدرية والمرجئة على لسان سبعين نبيًّا » ، وعن[(١)] عائشة رضى الله عنها قالت : قال النبي عليه الصلاة والسلام : القدرية مجوس هذه الأمة » ، وعن ابن عمر[(٢)] رضى الله عنهما قال : قال النبي عليه الصلاة والسلام : (لكل أمة مجوس ومجوس هذه الأمة الذين يزعمون أن لا قدر وأن الأمر أنف . قال فإذا لقيتهم فأخبرهم أنى منهم برىء وأنهم براء منى » ثم قال : « والذى نفسى بيده لو أن لأحدهم مثل أحد ذهباً فأنفقته فى سبيل الله حتى يؤمن بالقدر خيره وشره ، ثم ذكر حديث جبريل وسؤاله النبي عليه الصلاة والسلام قال : « ما الإيمان ؟ قال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وتؤمن بالقدر خيره وشره » .

قوله : أن تؤمن بالله » الإيمان بالله هو التصديق بأنه سبحانه وتعالى موجود موصوف بصفات الجلال والكمال منزه عن صفات النقص ، وأنه فرد صمد خالق جميع المخلوقات متصرف فيها بما يشاء يفعل فى ملكه ما يريد والإيمان بالملائكة هو التصديق « بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ لاَ يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ

= عن محمد بن حجارة عن يزيد بن حصين عنه ثم قال فيه وفى غيره وهذه الأحاديث لا تثبت لضعف رواتها .

(١) أورد كذلك فى الصغرى عن الحسنى عن عائشة وقال فيه ماتقدم آنفا من التضعيف وهو وماقبله عزاهما إلى كتاب السنة لابن أبى عاصم وقال فيهامقال ولاتثبت لضعف رواتها .

(٢) أخرج صدر حديث ابن عمر ، أحمد فى مسنده إلى قوله(وأن الأمر أنف أى مستأنف لم يقدره الله ولا قضاه بل العباد تقع أعمالهم بلا قدر سابق وبقيته كما فى الدر المنثور « إن مرضوا فلا يعوذهم وإن ماتوا فلا تشهدوهم ») وعجز الحديث من قوله : « فإذا لقيتهم . إلخ » أخرجه مسلم فى أول صحيحه .

بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ) .

والإيمان بالرسل هو التصديق بأنهم صادقون فيما أخبروا به عن الله تعالى أيدهم الله بالمعجزات الدالة على صدقهم وأنهم بلغوا عن الله تعالى رسالاته و بينوا للمكلفين ما أمرهم الله تعالى به وأنه يجب احترامهم وأن لايفرق بين أحد منهم .

والإيمان باليوم الآخر هو التصديق بيوم القيامة وما اشتمل عليه من الإعادة بعد الموت والنشر والحشر والحساب والميزان والصراط والجنة والنار وأنهما دار ثوابه وعقابه للمحسنين والمسيئين إلى غير ذلك مما صح به النقل والإيمان بالقدر هو التصديق بما تقدم ذكره وحاصله ما دل عليه قوله سبحانه : (وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ) ، وقوله : (إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ) ، ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام فى حديث ابن عباس : « واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله لك ولو اجتمعوا على أن يضروك بشىء لم يضروك إلا بشىء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف » .

ومذهب السلف وأئمة الخلف أن من صدق بهذه الأمور تصديقاً جازماً لا ريب فيه ولا تردد كان مؤمناً حقًّا سواء كان ذلك عن براهين قاطعة أو اعتقادات جازمة والله أعلم .

فصل ــ أجمع سبعون رجلا من التابعين وأئمة المسلمين والسلف وفقهاء الأمصار على أن السنة التى توفى عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم أولها الرضا بقضاء الله وقدره والتسليم لأمره والصبر تحت حكمه ، والأخذ بما أمر الله به والنهى عما نهى الله عنه و إخلاص العمل لله والإيمان بالقدر خيره وشره وترك المراة والجدال والخصومات فى الدين والمسح على الخفين والجهاد مع كل خليفة براً وفاجراً والصلاة على من مات من أهل القبلة .

والإيمان قول وعمل ونية يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ، والقرآن كلام الله نزل به جبريل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم غير مخلوق والصبر تحت لواء السلطان على ما كان منه من عدل أو جور ، ولانخرج على الأمراء بالسيف وإن جاروا ولا نكفر أحداً من أهل القبلة وإن عمل بالكبائر إلا إن استحلوها ، ولا نشهد لأحد من أهل القبلة بالجنة لخير أتى به إلا من شهد له النبي صلى الله عليه وسلم والكف عما شجر بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . وأفضل الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على بن أبي طالب رضى الله عنهم أجمعين ونترحم على جميع أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وأولاده وأصحابه رضى الله عنهم أجمعين .

فائدة — فيها من كلام الناس ماهو كفر صرحت به العلماء منها . مالو سخر باسم من أسماء الله أو بأمره أو وعده أو وعيده : كفر ، ولو قال : لو أمرنى الله بكذا مافعلت : كفر ، ولو صارت القبلة فى هذه الجهة ماصليت إليها : كفر ، ولو قيل له لاتترك الصلاة فإن الله يؤاخذك فقال لو آخذنى بها مع مافى من المرض لظلمنى : كفر ، ولو قال لو شهد عندى الأنبياء والملائكة بكذا ماصدقت : كفر ، ولو قيل له قلم أظافرك فإنها سنة فقال لاأفعل وإن كانت سنة : كفر ، ولو قال فلان فى عينى كاليهودى : كفر ، ولو قال إن الله جلس للإنصاف : كفر ، وجاء فى وجه ؛ من قال لمسلم ختم الله لك بخير أو سلبك الإيمان : كفر ، وجاء أيضاً أن من طلب يمين إنسان فأراد أن يحلف بالله فقال أريد أن تحلف بالطلاق : كفر . واختلفوا فى من قال رؤيتى لك كرؤية الموت فقال بعضهم : يكفر ، ولو قال لو كان فلان نبيا ماآمنت به : كفر ، ولو قال إن كان ماقاله صدقا نجونا : كفر ، ولو صلى بغير وضوء استهزاء أو استحلالا : كفر . ولو تنازع رجلان فقالا أحدهما لا حول ولا قوة إلا بالله فقال له الآخر لاحول ولا قوة إلا بالله لاتغنى من جوع : كفر ولو سمع

أذان المؤذن فقال إنه يكذب : كفر ، ولو قال لاأخاف القيامة : كفر : ولو وضع متاعه فقال سلمته إلى الله فقال له رجل سلمته إلى من لايتبع السارق كفر ، ولو جلس رجل على مكان مرتفع تشبيها بالخطيب فسألوه المسائل وهم يضحكون أو قال أحدهم قصعة ثريد خير من العلم : كفر ، ولو ابتلى بمصائب فقال أخذت مالى وولدى وماذا تفعل : كفر ، ولو ضرب ولده أو غلامه فقال لا ـ متعمداً ـ كفر ، ولو تمنى أن لايحرم الله الزنا أو القتل أو الظلم : كفر . ولو شد على وسطه حبلا فسئل عنه فقال هذا زنار فالأكثرون على أنه يكفر ، ولو قال معلم الصبيان ؛ اليهودخيرمن المسلمين لأنهم يعطون معلمى صبيانهم : كفر ، ولو قال النصرانى خير من المجوسى : كفر ، ولو قيل لرجل ماالإيمان فقال لاأدرى : كفر ، ومن ذلك ألفاظ مستكرهة مستنكرة وهى لادين لك لاإيمان لك لايقين لك أنت فاجر أنت منافق أنت زنديق أنت فاسق ومن ذا وأشباهه كله حرام ويخشى على العبد بها سلب الإيمان والخلود فى النار .

فنسأل الله المنان بلطفه أن يتوفانا مسلمين على الكتاب والسنة إنه أرحم الراحمين .

موعظة — عباد الله : أين الذين كنزوا الكنوز وجمعوا وتملوا من الشهوات وشبعوا ، وأملوا البقاء فما نالوا فيها ماطمعوا ، وفنيت أعمارهم بما غروا به وخدعوا ، نصب لهم شيطانهم أشراك الهوى فوقعوا ، وجاءهم ملك الموت فذلوا وخضعوا ، وأخرجهم من ديارهم فلا والله مارجعوا ، فهم مفترقون فى القبور فإذا نفخ فى الصور اجتمعوا :

وكيف قرت لأهل العلم أعينهم	أو استلذوا لذيذ العيش أو هجعوا
والموت ينذرهم جهراً علانيـة	لو كان للقوم أسماع لقد سمعوا
والنار ضاحية لابد موردهم	وليس يدرون من ينجو ومن يقع
قد أمست الطير والأنعام آمنة	والنون فى البحر لايخشى لها فزع

والآدمى بهذا الكسب مرتهن ... له رقيب على الأسرار يطلع
حتى يرى فيه يوم الجمع منفردا ... وخصمه الجلد والأبصار والسمع
وإذ يقومون والأشهاد قائمة ... والجن والإنس والأملاك قد خشعوا
وطارت الصحف فى الأيدى منشرة ... فيها السرائر والأخبار تطلع
فكيف بالناس والأنباء واقفة ... عما قليل وما تدرى بما تقع
أفى الجنان وفوز لاانقطاع له ... أم فى الجحيم فلا تبقى ولا تدع
تهوى بسكانها طورا وترفعهم ... إذا رجوا مخرجا من غمها قمعوا
طال البكاء فلم ينفع تضرعهم ... هيهات لارقة تغنى ولا جزع

الكبيرة الثانية والأربعون : التسميع على الناس وما يسرون

قال الله تعالى : (وَلاَ تَجَسَّسُوا) قال ابن الجوزى رحمه الله قرأ أبو زيد والحسن والضحاك وابن سيرين بالحاء قال أبو عبيدة التجسس والتحسس واحد وهو البحث ومنه الجاسوس : وقال يحيي بن أبى كثير التجسس بالجيم عن عورات الناس وبالحاء الاستماع لحديث القوم : قال المفسرون : التجسس البحث عن عيب المسلمين وعوراتهم فالمعنى لايبحث أحدكم عن عيب أخيه ليطلع عليه إذا ستره الله ، وقيل لابن مسعود : هـذا الوليد بن عقبة تقطر لحيته خمراً قال : إنا نهينا عن التجسس فإن يظهر لنا شيئا نأخذ به .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من استمع إلى حديث قوم وهم له كارهون صب فى أذنه الآنك يوم القيامة » أخرجه البخارى ، والآنك : الرصاص المذاب نعوذ بالله منه ونسأله التوفيق لمـا يحب و يرضى إنه جواد كريم :

موعظة — عباد الله : إن المنايا قـد دنت واقتربت ، فالنفوس رهينة قد جمعت وتعبت ، كأنكم بأكف الردى قد أخذت وسلبت ، رب شمس

طالعة على القبر قد غربت ، يافراخ الفنا لخاخ البلا قد نصبت ، عباد الله : كل المعاصى قد سطرت وكتبت والنفوس رهينة بما جنت وا كتسبت ؛ لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ، يا من يغتر بالأمانى والآمال الكواذب ، ومبارز بالقبايح وما يدرى من يحارب ، ياحاضر البدن غير أن القلب غائب ، أرضيت أن تفوتك الخيرات والرغائب ، يامن عمره يفنى فى ممره ويسرى كالنجائب ، يامن شاب وما تاب هذا العجائب ، ياعجباً كيف نام المطلوب وما غفل الطالب ؟

الكبيرة الثالثة والأربعون : النمام

وهو من ينقل الحديث بين الناس على جهة الإفساد بينهم . هذا بيانها .

وأما أحكامها فهى حرام بإجماع المسلمين وقد تظاهرت على تحريمها الدلائل الشرعية من الكتاب والسنة قال الله تعالى (وَلاَ تُطِعْ كُلَّ حَلاَّفٍ مَهِينٍ هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ) وفى الصحيحين[1] أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال « لايدخل الجنة نمام» وفى الحديث[2] أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بقبرين فقال : « إنهما ليعذبان وما يعذبان فى كبيرأما إنه كبير أما أحدهما فكان لا يستبرىء من بوله وأما الآخر فكان يمشى بالنميمة ثم أخذ جريدة رطبة فشقها اثنتين وغرز فى كل قبر واحدة وقال لعله أن يخفف عنهما مالم ييبسا » .

وقوله وما يعذبان فى كبير أى ليس بكبير تركه عليهما أو ليس بكبير فى زعمهما ولهذا قال فى رواية أخرى « بلى إنه كبير » وعن[3] أبى هريرة

---

(١) وكذا رواه أبوداود والترمذى كلهم من حديث حذيفة بن اليمان رضى الله عنهما .

(٢) رواه الجماعة وابن خزيمة كلهم من حديث ابن عباس بهذا اللفظ .

(٣) رواه مالك والبخارى ومسلم قاله وماقبله المنذرى فى الترغيب والترهيب .

رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تجدون شر الناس ذا الوجهين الذى يأتى هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه ، ومن كان ذا لسانين فى الدنيا فإن الله يجعل له لسانين من نار يوم القيامة » ، ومعنى من كان ذا لسانين أى يتكلم مع هؤلاء بكلام وهؤلاء بكلام ، وهو بمعنى صاحب الوجهين ، قال الإمام أبو حامد الغزالى رحمه الله : إنما تطلق فى الغالب على من ينم قول الغير إلى المقول فيه بقوله فلان يقول فيك كذا . وليست النميمة مخصوصة بذلك بل حدها كشف ما يكره كشفه سواء كره المنقولْ عنه أو المنقول إليه أو ثالث ، وسواء أكان الكشف بالقول أو الكتابة أو الرمز أو الأيمان أو نحوها ، وسواء كان من الأقوال أو الأعمال وسواء كان عيباً أو غيره . فحقيقة النميمة إفشاء السر وهتك الستر عما يكره كشفه . وينبغى للانسان أن يسكت عن كل ما رآه من أحوال الناس إلا ما فى حكايته فائدة للمسلمين أو دفع معصية قال : وكل من حملت إليه نميمة وقيل له قال فيك فلان كذا وكذا لزمه ستة أحوال :

الأول : أن لا يصدقه لأنه « نمام » فاسق وهو مردود الخبر .

الثانى : أن ينهاه عن ذلك و ينصحه و يقبح فعله .

الثالث : أن يبغضه فى الله عز وجل فإنه بغيض عند الله والبغض فى الله واجب

الرابع : أن لا يظن فى المنقول عنه السوء لقوله تعالى (اُجْتَنِبُوا كَثِيراً مِن الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثمٌ) .

الخامس : أن لا يحمله ما حكى له على التجسس والبحث عن تحقيق ذلك ، قال الله سبحانه وتعالى : (وَلاَ تَجَسَّسُوا) .

السادس : أن لا يرضى لنفسه ما نهى النمام عنه فلا يحكى نميمته ، وقد جاء أن رجلا ذكر لعمر بن عبد العزيز رجلا بشىء فقال عمر : يا هذا إن شئت نظرنا فى أمرك فإن كنت صادقاً فأنت من أهل هذه الآية (إِنْ جاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبإٍ فَتَبَيَّنُوا) وإن كنت كاذباً فأنت من أهل هذه الآية (هَمَّازٍ مَشَّاء بِنَمِيمٍ) ،

و إن شئت عفونا عنك ، فقال : العفو يا أمير المؤمنين لا أعود إليه أبداً ، ورفع إنسان رقعة إلى الصاحب [١] بن عباد رحمه الله يحثه على أخذ مال اليتيم وكان له مال كثيرة فكتب على ظهر الرقعة : النميمة قبيحة و إن كانت صحيحة ، والميت رحمه الله ، واليتيم جبره الله ، والمال ثمرة الله ، والساعى لعنه الله .

وقال الحسن البصرى : من نقل إليك حديثاً فاعلم أنه ينقل إلى غيرك حديثك وهذا مثل قول الناس من نقل إليك نقل عنك فاحذره . وقال ابن المبارك : ولد الزنا لا يكتم الحديث ؛ أشار به إلى أن كل من لا يكتم الحديث ومشى بالنميمة دل على أنه ولد الزنا استنباطاً من قوله تعالى : (عُتُلٍّ بعدَ ذلك زَنِيمٍ) والزنيم هو الدعى .

وروى أن بعض السلف الصالحين زار أخا له وذكر له عن بعض إخوانه شيئاً يكرهه ؛ فقال له : يا أخى أطلت الغيبة وأتيتنى بثلاث جنايات : بغضت إلى أخى ، وشغلت قلبى بسببه ؛ واتهمت نفسك الأمينة . وكان بعضهم يقول : من أخبرك بشتم عن أخيك فهو الشاتم لك .

وجاء رجل إلى على بن الحسين رضى الله عنهما فقال : إن فلاناً شتمك وقال عنك كذا وكذا ، فقال : اذهب بنا إليه ؛ فذهب معه وهو يرى أنه ينتصر لنفسه فلما وصل إليه قال : يا أخى إن كان ما قلت فىَّ حقاً فغفر الله لى و إن كان ما قلت فىَّ باطلا فغفر الله لك .

وقيل فى قوله تعالى (حَمَّالَةَ الْحَطَبِ) يعنى امرأة أبى لهب أنها كانت تنقل الحديث بالنميمة ، سمى النميمة حطباً لأنها سبب العداوة كما أن الحطب سبب لاشتعال النار . و يقال عمل النمام أضر من عمل الشيطان لأن عمل الشيطان بالوسوسة وعمل النمام بالمواجهة .

حكاية — روى أن رجلا رأى غلاما يباع وهو ينادى عليه ليس به عيب

(١) وذكرها ابن أبى شامة فى كتابه الروضتين فى مناقب محمود بن زنكى رحمه الله.

إلا أنه نمام فقط فاستخف بالعيب واشتراه ، فمكث عنده أياماً ثم قال لزوجة سيده إن سيدي يريد أن يتزوج عليك أو يتسرى ؛ وقال إنه لا يحبك فإن أردت أن يعطف عليك و يترك ما عزم عليه فإذا نام فخذى الموسى واحلقى شعرات من تحت لحيته واتركى الشعرات معك ، فقالت فى نفسها نعم واشتغل قلب المرأة وعزمت على ذلك إذا نام زوجها ، ثم جاء إلى زوجها وقال : سيدى : إن سيدتى زوجتك قد اتخذت لها صديقاً ومحباً غيرك ومالت إليه وتريد أن تخلص منك وقد عزمت على ذبحك الليلة و إن لم تصدقنى فتناوم لها الليلة وأنظر كيف تجىء إليك وفى يدها شىء تريد أن تذبحك به ، وصدقه سيده فلما كان الليل جاءت المرأة بالموسى لتحلق الشعرات من تحت لحيته والرجل يتناوم لها فقال فى نفسه : والله صدق الغلام بما قال فلما وضعت المرأة الموسى وأهوت إلى حلقه قام وأخذ الموسى منها وذبحها به ، فجاء أهلها فرأوها فقتلوه فوقع القتال بين الفريقين بشؤم ذلك العبد المشئوم فلذلك سمى الله النمام فاسقاً فى قوله تعالى (إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا على ما فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ) .

موعظة — يا من أسره الهوى فما يستطيع له فكاكا ، يا غافلا عن التلف وقد أدركه إدراكا ، يا مغروراً بسلامته وقد نصب له الموت أشراكا ، تفكر فى ارتحالك وأنت على حالك فإن لم تبك فتباكى :

بكيت فما تبكى شباب صباك ... كفاك نذير الشيب فيك كفاكا
ألم تر أن الشيب قد قام ناعيًا ... مكان الشباب الغض ثم نعاكا
ألم تر يوماً مر إلا كأنه ... بإهلاكه للهالكين عناكا
ألا أيها الفانى وقد حان حينه ... أتطمع أن تبقى فلست هُناكا
ستمضى و يبقى ما تراه كما ترى ... فينساك ما خلفته ، هُو ذاكا
تموت كما مات الذى نسيتهم ... وتنسى و يهوى الحى بعد هواكا
كأنك قد أقصيت بعد تقرب ... إليك و إن باك عليك بكاكا
كأن الذى يحثو عليك من الثرى ... يريد بما يحثو عليك رضاكا

كأن خطوب الدهر لم تجر ساعة   عليك إذا الخطب الجليل أتاكا
ترى الأرض كم فيها رهون دفينة   غلقن فلم يقبل لهن فكاكا

الكبيرة الرابعة والأربعون : اللعان

قال النبي صلى الله عليه وسلم[(١)] : « سباب المسلم فسوق وقتاله كفر » وقال صلى الله عليه وسلم : « لعن المؤمن كقتله » أخرجه البخارى[(٢)] . وفى صحيح مسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم[(٣)] أنه قال : « لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة » وقال عليه الصلاة والسلام[(٤)] : « لا ينبغى لصديق أن يكون لعاناً » وفى الحديث « ليس المؤمن بطعان ولا بلعان ولا بالفاحش ولا بالبذى » والبذى هو الذى يتكلم بالفحش وردى الكلام . وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال[(٥)] : « إن العبد إذا لعن شيئاً صعدت اللعنة إلى السماء فتغلق أبواب السماء دونها ثم تهبط إلى الأرض فتغلق أبوابها دونها ثم تأخذ يميناً وشمالا فإذا لم تجد مساغا رجعت إلى الذى لعن إن كان أهلا لذلك و إلا رجعت إلى قائلها » وقد عاقب النبى صلى الله عليه وسلم من لعنت ناقتها بأن سلبها إياها ، قال عمران بن حصين بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض أسفاره وامرأة من الأنصار على ناقة فضجرت ، فلعنتها ، فسمع ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « خذوا ما عليها ودعوها فإنها ملعونة » قال عمران : فكأنى أنظر إليها الآن تمشى فى الناس ما يعرض لها أحد .

---

(١) أخرجه الجماعة إلا أبا داود ، من حديث مسعود اه ترغيب .
(٢) رواه الجماعة سوى ابن ماجة من حديث ثابت بن الضحاك اه ترغيب
(٣) من حديث أبى الدراء وكذا أبوداود بدون لفظ يوم القيامة كذا فى الترغيب
(٤) رواه مسلم من حديث أبى هريرة ونحوه عند الحاكم وصححه اه ترغيب .
(٥) رواه أبو داود من حديث أبى الدرداء اه ترغيب ونحوه عند أحمد من حديث ابن مسعود بسند جيد أفاده المنذرى فى ترغيبه .

أخرجه مسلم[١] ، وعن أبى هريرة[٢] رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « إن أربى الربا استطالة المرء فى عرض أخيه المسلم » وعن عمرو بن قيس قال إذا ركب الرجل دابته قالت : اللهم اجعله بى رفيقاً رحيما ، فإذا لعنها قالت : على أعصانا لله ورسوله لعنة الله عز وجل .

فصل

فى جواز لعن أصحاب المعاصى غير المعينين المعروفين

قال الله تعالى : (أَلاَ لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ) وقال (ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ) وثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « لعن الله آكل الربا وموكله وشاهده وكاتبه » وأنه قال « لعن الله المحلل والمحلل له » وأنه قال « لعن الله الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة والنامصة والمتنمصة » فالواصلة هى التى تصل شعرها والمستوصلة هى التى يوصل لها والنامصة هى التى تنتف الشعر من الحاجبين والمتنمصة التى يفعل بها ذلك وأنه صلى الله عليه وسلم لعن الصالقة والحالقة والشاقة ، فالصالقة هى التى ترفع صوتها عند المصيبة ، والحالقة هى التى تحلق شعرها عند المصيبة ، والشاقة هى التى تشق ثيابها عند المصيبة ، وأنه عليه الصلاة والسلام لعن المصورين وأنه لعن من غير منار الأرض أى حدودها وأنه قال « لعن الله من لعن والديه ولعن من سب أمه » وفى السنن أنه قال « لعن الله من أضل أعمى عن الطريق ولعن من أتى بهيمة ولعن من عمل عمل قوم لوط » وأنه لعن من

---

(١) ونحوه عند أحمد من حديث أبى هريرة وعند أبى يعلى وابن أبى الدنيا من حديث أنس فى تخليه سبيل مالعن بأسانيد جيدة كما فى الترغيب .

(٢) رواه البزار بإسنادين أحدهما قوى وهو فى بعض نسخ أبى داود بنحو هذا وله شاهد من حديث البراء بن عازب عند الطبرانى ومن حديث سعيد بن زيد عند أحمد والبزار ورجال أحمد ثقات اهـ ترغيب فى موضعين أحدهما من الغيبة والبهت والثانى الترغيب فى صلة الرحم .

أتى كاهنا أو أتى امرأة فى دبرها ، ولعن النائحة ومن حولها ولعن من أمَّ قوماً وهم له كارهون ولعن امرأة باتت وزوجها عليها ساخط ، ولعن رجلا سمع حى على الصلاة حىّ على الفلاح ثم لم يجب ، ولعن من ذبح لغير الله ، ولعن السارق ، ولعن من سب الصحابة ، ولعن المخنثين من الرجال والمترجلات من النساء ، ولعن المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال ، ولعن المرأة تلبس لبسة الرجل والرجل يلبس لبسة المرأة ، ولعن من سل سخيمته فى الطريق ، يعنى تغوط على طريق الناس ولعن السلتاء ، والمرأة السلتاء : التى لا تخضب يديها ، والمرأة لا تكتحل ، ولعن من خبّبَ امرأة على زوجها ، أو مملوكا على سيده — يعنى أفسدها أو أفسده — ولعن من أتى حائضاً ، أو امرأة فى دبرها ، ولعن من أشار إلى أخيه بحديدة ، ولعن مانع الصدقة ـ يعنى الزكاة ـ ولعن من انتسب إلى غير أبيه ، أو تولى غير مواليه ، ولعن من كوى دابة فى وجهها ، ولعن الشافع والمشفع فى حد من حدود الله إذا بلغ الحاكم ، ولعن المرأة إذا خرجت من دارها بغير إذن زوجها ، ولعنها إذا باتت هاجرة فراش زوجها حتى ترجع ، ولعن تارك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر إذا أمكنه ، ولعن الفاعل والمفعول به — يعنى اللواط — ولعن الخمرة وشاربها وساقيها ومستقيها و بائعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه وآكل ثمنها والدال عليها .

وقال عليه الصلاة والسلام : « ستة لعنتهم ، وكل نبى مجاب الدعوة : المحرف لكتاب الله ، والمكذب بقدر الله ، والمتكلم بالجبروت ليعز من أذل الله ويذل من أعزه الله ، والمستحل من عترتى ما حرّم الله والتارك لسنتى » ، ولعن الزانى بامرأة جاره ولعن ناكح يده ولعن ناكح الأم و بنتها ولعن الراشى والمرتشى فى الحكم والرائش يعنى الساعى بينهما ولعن من كتم العلم ولعن المحتكر ولعن من أخفر مسلما يعنى خذله ولم ينصره ولعن الوالى إذا لم يكن فيه رحمة ولعن المتبتلين من الرجال الذين يقولون لا نتزوج والمتبتلات من النساء ولعن راكب الفلاة وحده ولعن من أتى بهيمة ، نعوذ بالله من لعنته ولعنة رسوله .

فصـــــل

اعلم أن لعن المسلم المصون حرام بإجماع المسلمين ، ويجوز لعن أصحاب الأوصاف المذمومة كقولك : لعن الله الظالمين . لعن الله الكافرين . لعن الله اليهود والنصارى . لعن الله الفاسقين . لعن الله المصورين ، ونحو ذلك كما تقدم ، وأما لعن إنسان بعينه ممن اتصف بشيء من المعاصى كيهودى أو نصرانى أو ظالم أو زان أو سارق أو آكل ربا فظواهر الأحاديث أنه ليس بحرام ، وأشار الغزالى رحمه الله إلى تحريمه إلا فى حق من علمنا أنه مات على الكفر كأبى لهب وأبى جهل وفرعون وهامان وأشباههم ، قال لأن اللعن هو الإبعاد عن رحمة الله وما ندرى ما يختم لهذا الفاسق والكافر . قال وأما الذين لعنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بأعيانهم كما قال : « اللهم العن رعلا وذكوان وعصية عصوا الله ورسوله » ، وهذه ثلاث قبائل من العرب فيجوز أنه صلى الله عليه وسلم علم موتهم على الكفر ، قال ويقرب من اللعن الدعاء على الإنسان بالشر حتى الدعاء على الظالم كقول الإنسان لا أصح الله جسمه ولا سلمه الله وما جرى مجراه وكل ذلك مذموم ، وكذلك لعن جميع الحيوانات والجمادات فهذا كله مذموم ، قال بعض العلماء : من لعن من لا يستحق اللعن فليبادر بقوله إلا أن يكون لا يستحق .

فصـــــل

ويجوز للآمر بالمعروف والناهى عن المنكر وكل مؤدب أن يقول لمن يخاطبه فى ذلك ويلك أو ياضعيف الحال أو ياقليل النظر لنفسه أو ياظالم نفسه أو ما أشبه ذلك بحيث لايتجاوز إلى الكذب ولا يكون فيه لفظ قذف صريح أو كناية أو تعريض ولو كان صادقا فى ذلك وإنما يجوز ما قدمناه ويكون الغرض من ذلك التأديب والزجر ويكون الكلام أوقع فى النفس والله أعلم .

اللهم نزه قلوبنا عن التعلق بمن دونك واجعلنا من قوم تحبهم ويحبونك واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين .

موعظة — ياقليل الزاد والطريق بعيد ، يامقبلا على مايضر تاركا لما يفيد ، أتراك يخفى عليك الأمر الرشيد ، إلى متى تضيع الزمان وهو يحصى برقيب وعتيد :

مضى أمسك الماضي شهيداً معدلا ... وأعقبه يوم عليك شهيد
فإن كنت بالأمس اقترفت إساءة ... فبادر بإحسان وأنت حميد
ولا تبق فضل الصالحات إلى غد ... فرب غد يأتى وأنت فقيد
إذ ما المنايا أخطأتك وصادفت ... حميمك فاعلم أنها ستعود

الكبيرة الخامسة والأربعون : الغدر وعدم الوفاء بالعهد

قال الله تعالى (وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً) قال الزجاج : كل ما أمر الله به أو نهى عنه فهو العهد ، وقال تعالى : (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ)

قال الواحدى : قال ابن عباس فى رواية الوالبى (العهود) يعنى ما أحل وما حرم وما فرض وما حد فى القرآن وقال الضحاك بالعهود التى أخذ الله على هذه الأمة أن يوفوا بها مما أحل وحرم ومافرض من الصلاة وسائر الفرائض والعقود وكذا العهود جمع عهد : العقد بمعنى المعقود وهو الذى أحكم ما فرض الله علينا فقد أحكم ذلك ولا سبيل إلى نقضه بحال وقال مقاتل بن حيان (أوفوا بالعقود) التى عهد الله إليكم فى القرآن مما أمركم به من طاعته أن تعملوا بها ونهيه الذى نهاكم عنه وبالعهود الذى بينكم وبين المشركين وفيما يكون من العهد بين الناس والله أعلم . وقال النبى صلى الله عليه وسلم « أربع من كنّ فيه كان منافقاً خالصاً ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها إذا حدث كذب وإذا ائتمن خان وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر » مخرج فى الصحيحين[1] .

(١) من حديث عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما اهـ ترغيب .

وقال[١] رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : « لكل غادر لواء يوم القيامة يقال هذه غدرة فلان ابن فلان » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يقول الله عز وجل ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة : رجل أعطى بى ثم غدر ، ورجل باع حرًّا فأكل ثمنه ، ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه العمل ولم يعطه أجره » أخرجه البخارى[٢] ، وقال صلى الله عليه وسلم : « من خلع يداً من طاعة لقى الله يوم القيامة ولا حجة له ، ومن مات وليس فى عنقه بيعة مات ميتة جاهلية » أخرجه مسلم[٣] .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم[٤] : « من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر وليأت إلى الناس الذى يحب أن يؤتى إليه ومن بايع إماما فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه إن استطاع ، فإن جاء أحد ينازعه فاضربوا عنق الآخر » .

الكبيرة السادسة والأربعون : تصديق الكاهن والمنجم

قال الله تعالى : ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ قال الواحدى فى تفسير قوله تعالى : (ولا تقف ماليس لك به علم) قال الكلبى : لا تقل ما ليس لك به علم . وقال قتادة : لا تقل سمعت ولم تسمع ورأيت ولم تر وعلمت ولم تعلم والمعنى لا تقولن فى شىء بما لا تعلم (إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا) قال الوالبى : عن ابن عباس : يسأل الله العباد فيم استعملوها وفى هذا زجر عن النظر إلى مالا يحل

(١) رواه مسلم من حديث ابن عمر رضى الله عنه .
(٢) وكذا رواه ابن ماجه من حديث أبى هريرة رضى الله عنه اه ترغيب .
(٣) من حديث عبد الله بن عمر رضى الله عنهما .
(٤) رواه مسلم من حديث عبد الله بن عمر رضى الله عنهما .

والاستماع إلى مايحرم وإرادة مالا يجوز والله أعلم . وقال تعالى (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول) قال ابن الجوزى : عالم الغيب هو الله عز وجل وحده لاشريك له فى ملكه فلا يظهر أى فلا يطلع على غيبة الذى لايعلمه أحد من الناس إلا من ارتضى من رسول لأن من الدليل على صدق الرسل إخبارهم بالغيب . والمعنى أن من ارتضاه للرسالة أطلعه على ماشاء من الغيب ففى هذا دليل على أن من زعم أن النجوم تدل على الغيب فهو كافر والله أعلم . وقال[1] رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أتى عرافا أوكاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد» صلى الله عليه وسلم وروينا فى الصحيحين عن زيد بن خالد الجهنى رضى الله عنه قال : صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح فى إثر سماء كانت من الليل فلما انصرف أقبل على الناس بوجهه فقال « هل تدرون ماذا قال ربكم » قالوا الله ورسوله أعلم قال « قال أصبح من عبادى مؤمن بى وكافر فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بى كافر بالكوكب وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بى مؤمن بالكوكب » .

قال العلماء : إن قال مطرنا بنوء كذا يريد أن النوء هو الموجد والفاعل المحدث للمطر صار كافرا مرتدا بلا شك وإن قال مريداً أنه علامة نزول المطر وينزل المطر عند هذه العلامة ونزوله بفعل الله وخلقه لم يكفر ، واختلفوا فى كراهته والمختار أنه مكروه لأنه من ألفاظ الكفار وهذا ظاهر الحديث .

(وقوله) فى إثر سماء : السماء هنا المطر والله أعلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أتى عرافاً فصدقه بما يقول لم تقبل له صلاة أربعين يوما »

---

(١) رواه أبو داود ، ت ، س ، ه من حديث أبى هريرة وفى أسانيدهم كلام ذكره المنذرى فى مختصره لسنن أبى داود ورواه الحاكم وقال صحيح على شرطهما وله من حديث جابر عند البزار باسناد جيد ومن حديث أنس عند الطبرانى بسند فيه رشدين بن سعد اه ترغيب .

رواه مسلم[١] وعن عائشة رضى الله عنها قالت : سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أناس عن الكهان فقال « ليس بشىء » قالوا يارسول الله أليس قد قال كذا وكذا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «تلك الكلمة من الحق أن يحفظها الجنى فيقرها فى أذن وليه «أى يلقيها فيخلط معها مائة كذبة» مخرج فى الصحيحين . وعن عائشة رضى الله عنها قالت سمعت رسول الله عليه الصلاة والسلام يقول « إن الملائكة تنزل فى العنان وهو السحاب فتذكر الأمر قضى فى السماء فيسترق الشيطان السمع فيسمعه فيوحيه إلى الكهان فيكذبون معها مائة كذبة من عند أنفسهم » رواه البخارى .

وعن قبيصة بن أبى المخارق رضى الله عنه قال سمعت رسول الله عليه الصلاة والسلام يقول « العيافة والطيرة والطرق من الجبت » رواه أبو داود وقال : الطرق الزجر أى زجر الطير وهو أن يتيامن أو يتشاءم بطيرانه فإن طار إلى جهة اليمن تيمن و إن طار إلى جهة اليسار تشاءم ، قال أبو داود : العيافة الخط ، قال الجوهرى : الجبت كلمة تقع على الصنم والكاهن والساحر ونحو ذلك وعن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر زاد مازاد » وقال على بن أبى طالب الكاهن ساحر والساحر كافر ، فنسأل الله العافية والعصمة فى الدنيا والآخرة .

— موعظة — عباد الله تفكروا فى سلفكم قبل تلفكم وانظروا فى أموركم قبل حلول قبوركم ، فتأهبوا للرحيل قبل فوت تحويلكم ، أين الأقران والإخوان ، أين من شيد الإيوان ، رحلوا والله عن الأوطان . ومزقت فى اللحود تلك الأكفان ، هتف نذيرهم بأهل العرفان (كل من عليها فان) تقلبت بهم الأحوال . ولعب بهم فى أيدى الليال . وشغلوا عن الأولاد والأموال ، ونسيهم أحباؤهم بعد ليال ، عانقوا التراب وفارقوا الأموال فلو أذن لأحدهم فى المقال لقال :

(١) رواه من حديث صفية بنت أبى عبيد عن بعض أزواج النبى صلى الله عليه وسلم

من رآنا فليحدث نفسه ... أنه موف على قرب زوال
وصروف الدهر لا يبقى لها ... ولما تأتى به صم الجبال
رب ركب قد أناخوا حولنا ... يشربون الخمر بالماء الزلال
والأباريق عليهم قدمت ... وعتاق الخيل تردى بالجلال
عمروا دهراً بعيش ناعم ... أبيض دهرهم غير محال
ثم أضحوا لعب الدهر بهم ... وكذاك الدهر يودى بالرجال

الكبيرة السابعة والاربعون

نشوز المرأة على زوجها

قال الله تعالى : (وَاللاَّتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِى الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلاَ تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا) قال الواحدى رحمه الله تعالى : النشوز ههنا معصية الزوج وهو الترفع عليه بالخلاف . وقال عطاء : هو أن لا تتعطر له وتمنعه نفسها وتتغير عما كانت تفعله من الطواعية (فعظوهن) بكتاب الله وذكروهن ما أمرهن الله به (واهجروهن فى المضاجع) . قال ابن عباس : هو أن يوليها ظهره على الفراش ولا يكلمها وقال الشعبي ومجاهد هو أن يهجر مضاجعتها فلا يضاجعها (واضربوهن) ضرباً غير مبرح . قال ابن عباس : أدبا مثل اللكزة وللزوج أن يتلافى نشوز امرأته بما أذن الله له مما ذكره الله فى هذه الآية (فإن أطعنكم) فيما يلتمس منهن (فلا تبغوا عليهن سبيلا) .

قال ابن عباس : فلا تتجنبوا عليهن العلل . وفى الصحيحين[1] أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه

(١) من حديث أبى هريرة وكذا رواه أبو داود والنسائى قاله فى الترغيب .

فلم تأته لعنتها الملائكة حتى تصبح » وفى لفظ فبات وهو عليه غضبان لعنتها الملائكة حتى تصبح وفى لفظ الصحيحين أيضاً[١] « إذا باتت المرأة هاجرة فراش زوجها فتأبى عليه إلا كان الذى فى السماء ساخطا عليها حتى يرضى عنها زوجها » .

وعن جابر[٢] رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « ثلاثة لا يقبل الله لهم صلاة ولا ترفع لهم إلى السماء حسنة : العبد الآبق حتى يرجع إلى مواليه فيضع يده فى أيديهم والمرأة الساخط عليها زوجها حتى يرضى عنها والسكران حتى يصحو » .

وعن الحسن[٣] قال حدثنى من سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول « أول ماتسأل عنه المرأة يوم القيامة عن صلاتها وعن بعلها » وفى الحديث[٤] أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه ولا تأذن فى بيته إلا بإذنه » أخرجه البخارى ومعنى شاهد أى حاضر غير غائب وذلك فى صوم التطوع فلا تصوم حتى تستأذنه لأجل وجوب حقه وطاعته . وقال صلى الله عليه وسلم « لو كنت آمرا أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها » رواه الترمذى[٥] وقالت عمة حصين بن محصن وذكرت زوجها للنبى صلى الله عليه وسلم فقال : انظرى من أين أنت منه فإنه جنتك

(١) وكذا النسائى من حديث أبى هريرة أيضا أفاده المنذرى .

(٢) رواه الطبرانى فى الأوسط من رواية عبد الله بن محمد بن عقيل ورواه ابن خزيمة وابن حبان فى صحيحهما من رواية زهير بن محمد قاله فى الترغيب وابن عقيل مختلف فيه لسوء حفظه وكذا زهير بن محمد التميمى .

(٣) رواه أبو الشيخ فى ثواب الأعمال من حديث أنس زاد فى آخره : وعن بعلها كيف عملت إليه اه منتخب كنز العمال . (٤) من حديث أبى هريرة وكذا مسلم وغيرهما اه.

(٥) من حديث أبى هريرة وقال حسن صحيح وله شاهد من حديث عائشة عند ابن ماجه وقيس بن سعد عند أبى داود وابن أبى أوفى عند ابن ماجه وابن حبان ومعاذ عند الحاكم أفاده فى الترغيب .

ونارك » أخرجه النسائى : وعن عبد الله بن عمرو[١] رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا ينظر الله إلى امرأة لا تشكر لزوجها وهى لا تستغنى عنه » وجاء عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « إذا خرجت المرأة من بيت زوجها لعنتها الملائكة حتى ترجع أو تتوب »[٢] وقال[٣] رسول الله صلى الله عليه وسلم « أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة » .

فالواجب على المرأة أن تطلب رضا زوجها وتجتنب سخطه ولا تمتنع منه متى أرادها لقول النبى صلى الله عليه وسلم « إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فلتأته و إن كانت على التنور » قال العلماء : إلا أن يكون لها عذر من حيض أو نفاس فلا يحل لها أن تجيئه ولا يحل للرجل أيضا أن يطلب ذلك منها فى حال الحيض والنفاس ولا يجامعها حتى تغتسل لقوله تعالى (فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ) أى لا تقربوا جماعهن حتى يطهرون قال ابن قتيبة : يطهرن ينقطع عنهن الدم فاذا تطهرن أى اغتسلن بالماء والله أعلم . ولما تقدم من من قول النبى صلى الله عليه وسلم « من أتى حائضا أو امرأة من دبرها فقد كفر بما أنزل على محمد »[٤] وفى حديث آخر « ملعون من أتى حائضاً أو امرأة فى دبرها » والنفاس مثل الحيض إلى الأربعين ، فلا يحل للمرأة أن تطيع زوجها إذا أراد

---

(١) رواه النسائى باسناد صحيح قاله المصنف فى رسالته الصغرى فى الكبائر وزاد فى الترغيب البزار والحاكم وصححه .

(٢) رواه الطبرانى من حديث ابن عباس وأشار المنذرى لضعفه ولفظه « ولا تخرج من بيته إلا باذنه فان فعلت لعنتها ملائكة السماء وملائكة الرحمة وملائكة العذاب حتى ترجع » اه ترغيب .

(٣) رواه ابن ماجه والترمذى وحسنه والحاكم وصححه كلهم من حديث مساور الحميرى عن أم سلمة اه ترغيب .

(٤) رواه الترمذى وحسنه والنسائى وابن حبان فى صحيحه من حديث طلق بن على اه ترغيب .

إتيانها فى حال الحيض والنفاس ، وتطيعه فيما عدا ذلك ، وينبغى للمرأة أن تعرف أنها كالمملوك للزوج فلا تتصرف فى نفسها ولا فى ماله إلا بإذنه وتقدم حقه على حقها ، وحقوق أقاربه على حقوق أقاربها وتكون مستعدة لتمتعه بها بجميع أسباب النظافة ولا تفتخر عليه بجمالها ولا تعيبه بقبح إن كان فيه .

قال الأصمعى : دخلت البادية فإذا امرأة حسناء لها بعل قبيح فقلت لها كيف ترضين لنفسك أن تكونى تحت مثل هذا ؟ فقالت : اسمع يا هذا ، لعله أحسن فيما بينه و بين الله خالقه فجعلنى ثوابه ولعلى أسأت فجعله عقوبتى .

وقالت عائشة رضى الله عنها : يا معشر النساء لو تعلمن بحق أزواجكن عليكن لجعلت المرأة منكن تمسح الغبار عن قدمى زوجها بخد وجهها .

وقال صلى الله عليه وسلم[1] : « ونساؤكم من أهل الجنة الودود التى إذا آذت أو أوذيت أتت زوجها حتى تضع يدها فى كفه فتقول لا أذوق غمضاً حتى ترضى » .

ويجب على المرأة أيضا دوام الحياء من زوجها وغض طرفها قدامه والطاعة لأمره والسكوت عند كلامه والقيام عند قدومه والابتعاد عن جميع ما يسخطه والقيام معه عند خروجه وعرض نفسها عليه عند نومه وترك الخيانة له فى غيبته فى فراشه وماله و بيته وطيب الرائحة له وتعاهد الفم بالسواك و بالمسك والطيب ودوام الزينة بحضرته وتركها الغيبة و إكرام أهله وأقاربه وترى القليل منه كثيراً .

فصل — فى فضل المرأة الطائعة لزوجها وشدة عذاب العاصية . ينبغى للمرأة

---

(١) رواه الطبرانى من حديث أنس ورواته محتج بهم فى الصحيح إلا إبراهيم بن زياد القرشى لم يقف المنذرى فيه على جرح ولا تعديل قال وقد روى هذا المتن من حديث ابن عباس وكعب بن عجرة وغيرهما اه ترغيب

الخائفة من الله تعالى أن تجتهد لطاعة الله وطاعة زوجها و تطلب رضاه جهدها فهو جنتها ونارها لقول[١] النبي صلى الله عليه وسلم : « أيما امرأة ماتت وزوجها راض عنها دخلت الجنة » وفى الحديث[٢] أيضا : إذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها وأطاعت بعلها فلتدخل من أى أبواب الجنة شاءت » .

وروى عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : « يستغفر للمرأة المطيعة لزوجها الطير فى الهواء والحيتان فى الماء والملائكة فى السماء والشمس والقمر ما دامت فى رضا زوجها ، وأيما امرأة عصت زوجها فعليها لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، وأيما امرأة كلحت فى وجه زوجها فهى فى سخط الله إلى أن تضاحكه وتسترضيه ، وأيما امرأة خرجت من دارها بغير إذن زوجها لعنتها الملائكة حتى ترجع .

وجاء عن النبي عليه الصلاة والسلام أيضاً قال : « أربع من النساء فى الجنة وأربع فى النار ؛ فأما الأربع اللواتى فى الجنة : فامرأة عفيفة طائعة لله ولزوجها ولود صابرة قانعة باليسير مع زوجها ذات حياء إن غاب عنها حفظت نفسها وماله وإن حضر أمسكت لسانها عنه ، والرابعة[٣] امرأة مات عنها زوجها ولها أولاد صغار فحبست نفسها على أولادها وربتهم وأحسنت إليهم ولم تتزوج خشية أن يضيعوا . وأما الأربع اللواتى فى النار من النساء فامرأة بذيئة اللسان على زوجها أى طويلة اللسان فاحشة الكلام إن غاب عنها زوجها لم تصن نفسها وإن حضر آذته بلسانها ، والثانية امرأة تكلف زوجها ما لا يطيق ، والثالثة امرأة لا تستر نفسها من الرجال وتخرج من بيتها متبرجة ، والرابعة امرأة ليس لها هم إلا الأكل

(١) تقدم تخريجه آنفا .

(٢) رواه أحمد والطبرانى من حديث عبد الرحمن بن عوف بلفظ « قيل لها ادخلى الجنة من اى أبواب الجنة شئت » ورواة أحمد رواة الصحيح خلا ابن لهيعة وحديثه حسن فى المتابعات اهـ ترغيب .

(٣) (تنبيه) هكذا لم يذكر قبل الرابعة ثالثة .

والشرب والنوم وليس لها رغبة في الصلاة ولا فى طاعة الله ولا فى طاعة رسوله ولا فى طاعة زوجها » فالمرأة إذا كانت بهذه الصفة وتخرج من بيتها بغير إذن زوجها كانت ملعونة من أهل النار إلا أن تتوب إلى الله ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم[1] : « اطلعت فى النار فرأيت أكثر أهلها النساء » وذلك بسبب قلة طاعتهن لله ولرسوله ولأزواجهن وكثرة تبرجهن ؛ والتبرج إذا أرادت الخروج لبست أفخر ثيابها وتجملت وتحسنت وخرجت تفتن الناس بنفسها ، فإن سلمت هى بنفسها لم يسلم الناس منها . ولهذا قال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « المرأة عورة فإذا خرجت من بيتها استشرفها الشيطان » .

وأعظم ما تكون المرأة من الله ما كانت فى بيتها ؛ وفى الحديث أيضاً المرأة عورة فاحبسوها فى البيوت ، فإن المرأة إذا خرجت إلى الطريق قال لها أهلها : أين تريدين ؟ قالت : أعود مريضا أشيع جنازة فلا يزال بها الشيطان حتى تخرج عن دارها وما التمست المرأة رضا الله بمثل أن تقعد فى بيتها وتعبد ربها وتطيع بعلها ، وقال عليّ رضى الله عنه لزوجه فاطمة رضى الله عنها : يا فاطمة ما خير ما للمرأة ؟ قالت : أن لا ترى الرجال ولا يروها ، وكان عليّ رضى الله عنه يقول : ألا تستحيون ألا تغارون يترك أحدكم امرأته تخرج بين الرجال تنظر إليهم وينظرون إليها وكانت عائشة[2] وحفصة رضى الله عنهما يوماً عند النبى صلى الله عليه وسلم جالستين

(١) مخرج فى الصحيحين من حديث عائشة رضى الله عنها .

(٢) رواه أبو داود والنسائى والترمذى وقال حسن صحيح من حديث نبهان مولى أم سلمة قال كنت عند النبي صلى الله علية وسلم وعنده ميمونة فأقبل ابن أم مكتوم وذلك بعد أن أمرنا بالحجاب الخ قال أبو دواد هذا لأزواج النبي صلى الله عليه وسلم خاصة ألا ترى إلى اعتداد فاطمة بنت قيس عند ابن أم مكتوم قد قال لها النبي صلى الله عليه وسلم اعتدى عند ابن أم مكتوم فانه رجل أعمى تضعين ثيابك عنده قال الحافظ فى التلخيص وهذا جمع حسن وبه جمع المنذرى فى حواشيه واستحسنه شيخنا يعنى العراقى اه من سنن أبى داود وشرحها عون المعبود .

فدخل ابن أم مكتوم وكان أعمى ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « احتجبا منه » فقالتا : يا رسول الله أليس هو أعمى لا يبصرنا ولا يعرفنا ، فقال صلى الله عليه وآله وسلم : « أفعمياوان أنتما ألستما تبصرانه ؟ » .

فكما أنه ينبغي للرجل أن يغض طرفه عن النساء ، فكذلك ينبغي للمرأة أن تغض طرفها عن الرجال كما تقدم من قول فاطمة رضي الله عنها : أن خير ما للمرأة أن لا ترى الرجال ولا يروها ؛ فإن اضطرت للخروج لزيارة والديها وأقاربها ولأجل حمام ونحوه مما لا بد لها منه فلتخرج بإذن زوجها غير متبرجة فى ملحفة وسخة فى ثياب بيتها وتغض طرفها فى مشيتها وتنظر إلى الأرض لا يمينا ولا شمالا ، فإن لم تفعل ذلك و إلا كانت عاصية .

وقد حكى أن امرأة كانت من المتبرجات فى الدنيا ، وكانت تخرج من بيتها متبرجة فماتت فرآها بعض أهلها فى المنام وقد عرضت على الله عز وجل فى ثياب رقاق فهبت ريح فكشفتها فأعرض الله عنها وقال خذوا بها ذات الشمال إلى النار فإنها كانت من المتبرجات فى الدنيا

وقال علىّ بن أبي طالب رضى الله عنه : دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم أنا وفاطمة رضى الله عنها ووجدناه يبكى بكاءً شديداً فقلت له : فداك أبي وأمى يا رسول الله ما الذى أبكاك ؟ قال : يا علىّ ليلة أسرى بى إلى السماء رأيت نساء من أمتى يعذبن بأنواع العذاب ، فبكيت لما رأيت من شدة عذابهن ، ورأيت امرأة معلقة بشعرها يغلى دماغها ورأيت امرأة معلقة بلسانها والحميم يصب فى حلقها ورأيت امرأة قد شدت رجلاها إلى ثدييها و يداها إلى ناصيتها ورأيت امرأة معلقة بثدييها ورأيت امرأة رأسها رأس خنزير و بدنها بدن حمار عليها ألف ألف لون من العذاب ورأيت امرأة على صورة الكلب والنار تدخل من فيها وتخرج من دبرها والملائكة يضربون رأسها بمقامع من نار .

فقامت فاطمة رضى الله عنها وقالت : حبيبى وقرة عينى ما كان أعمال هؤلاء حتى وضع عليهن العذاب ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : « يا بنية أما المعلقة بشعرها فإنها كانت لا تغطى شعرها من الرجال ، وأما التى كانت معلقة بلسانها فإنها كانت تؤذى زوجها ، وأما المعلقة بثدييها فإنها كانت تفسد فراش زوجها ، وأما التى تشد رجلاها إلى ثدييها ويداها إلى ناصيتها وقد سلط عليها الحيات والعقارب فإنها كانت لا تنظف بدنها من الجنابة والحيض وتستهزىء بالصلاة ، وأما التى رأسها رأس خنزير وبدنها بدن حمار فإنها كانت نمامة كذابة ، وأما التى على صورة الكلب والنار تدخل من فيها وتخرج من دبرها فإنها كانت منانة حسادة » .

وعن[1] معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تؤذى المرأة زوجها فى الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين لا تؤذيه قاتلك الله ، ويا بنية[2] الويل لامرأة تعصى زوجها » .

فصل

وإذا كانت المرأة مأمورة بطاعة زوجها وبطلب رضاه ، فالزوج أيضاً مأمور بالإحسان إليها واللطف بها والصبر على ما يبدو منها من سوء خلق وغيره وإيصالها حقها من النفقة والكسوة والعشرة الجميلة لقوله تعالى : (وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ) ولقول النبى صلى الله عليه وسلم[3] : « استوصوا بالنساء خيراً فإنهن عوان عندكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ألا إن لكم على نسائكم حقا

---

(١) رواه ابن ماجه والترمذى وقال حديث حسن وآخره بعد قوله « قاتلك الله فإنما هو عندك دخيل يوشك أن يفارقك إلينا » . (٢) وقوله يابنية الويل الخ ليس من حديث معاذ ولعله من حديث على وفاطمة السابق . (٣) رواه ابن ماجه والترمذى وقال حسن صحيح وهو من حديث عمرو بن الأحوص الجشمى أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع الخ اه ترغيب .

ولنسائكم عليكم حقا ، لحقهن عليكم أن تحسنوا إليهن فى كسوتهن وطعامهن ، وحقكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم من تكرهون ولا يأذنّ فى بيوتكم لمن تكرهون » وقوله عليه الصلاة والسلام « عوان » أى : أسيرات ، جمع عانية ، وهى الأسيرة ، شبه رسول الله صلى الله عليه وسلم المرأة فى دخولها تحت حكم الرجل بالأسير .

وقال[1] عليه الصلاة والسلام : « خيركم خيركم لأهله » وفى رواية : « خيركم ألطفكم بأهله » وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم شديد اللطف بالنساء .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أيما رجل صبر على سوء خلق امرأته أعطاه الله من الأجر مثل ما أعطى أيوب عليه السلام على بلائه ، وأيما امرأة صبرت على سوء خلق زوجها أعطاها الله من الأجر مثل ما أعطى آسية بنت مزاحم امرأة فرعون » .

وقد روى أن رجلا جاء إلى عمر رضى الله عنه يشكو خلق زوجته فوقف على باب عمر ينتظر خروجه فسمع امرأة عمر تستطيل عليه بلسانها وتخاصمه وعمر ساكت لا يرد عليها ، فانصرف الرجل راجعاً وقال : إن كان هذ حال عمر مع شدته وصلابته وهو أمير المؤمنين فكيف حالى ؟ فخرج عمر فرآه موليا عن بابه فناداه وقال : ما حاجتك يا رجل ؟ فقال : يا أمير المؤمنين جئت أشكو إليك سوء خلق امرأتى واستطالتها على فسمعت زوجتك كذلك فرجعت وقلت إذا كان هذا حال أمير المؤمنين مع زوجته فكيف حالى ؟ فقال عمر : يا أخى إنى أحتملها لحقوق لها علىّ : إنها طباخة لطعامى ، خبازة لخبزى ، غسالة لثيابى ، مرضعة لولدى ، وليس ذلك كله بواجب عليها ويسكن قلبى بها عن الحرام فأنا احتملها لذلك ،

---

(١) رواه ابن حبان فى صحيحه من حديث عائشة رضى الله عنها وله شاهد من حديث ابن عباس عند ه والحاكم وصححه ومن حديث أبى هريرة عند ت وحب وصححه ت اهـ ترغيب .

فقال الرجل : يا أمير المؤمنين وكذلك زوجتى ، قال عمر : فاحتملها يا أخى فإنما هى مدة يسيرة .

وحكى أن بعض الصالحين كان له أخ فى الله ، وكان من الصالحين يزوره فى كل سنة مرة ، فجاء لزيارته فطرق الباب ، فقالت امرأته : من ؟ فقال : أخو زوجك فى الله جئت لزيارته ، فقالت : راح يحتطب لا رده الله ولا سلمه وفعل به وفعل ، وجعلت تذمذم عليه فبينما هو واقف على الباب وإذا بأخيه قد أقبل من نحو الجبل وقد حمل حزمة حطب على ظهر أسد وهو يسوقه بين يديه فجاء فسلم على أخيه ورحب به ودخل إلى المنزل وأدخل الحطب وقال للأسد : اذهب بارك الله فيك ثم أدخل أخاه والمرأة على حالها تذمذم وتأخذ بلسانها وزوجها لا يرد عليها ، فأكل مع أخيه شيئاً ثم ودعه ، وانصرف وهو متعجب من صبر أخيه على تلك المرأة . قال : فلما كان العام الثانى جاء أخوه لزيارته على عادته فطرق الباب ، فقالت امرأته : من بالباب ؟ قال : أخو زوجك فلان فى الله ، فقالت : مرحبا بك وأهلا وسهلا اجلس فإنه سيأتى إن شاء الله تعالى بخير وعافية ، قال : فتعجب من لطف كلامها وأدبها إذ جاء أخوه وهو يحمل الحطب على ظهره فتعجب أيضاً لذلك فجاء فسلم عليه ودخل الدار وأدخله وأحضرت المرأة طعاماً لهما وجعلت تدعو لهما بكلام لطيف ، فلما أراد أن يفارقه قال : يا أخى أخبرنى عما أريد أن أسألك عنه ، قال : وما هو يا أخى ؟ قال : عام أول أتيتك فسمعت كلام امرأة بذيئة اللسان قليلة الأدب تذم كثيراً ورأيتك قد أتيت من نحو الجبل والحطب على ظهر الأسد وهو مسخر بين يديك ، ورأيت العام كلام المرأة لطيفا لا تذمذم ، ورأيتك قد أتيت بالحطب على ظهرك فما السبب ؟ قال : يا أخى توفيت تلك المرأة الشرسة وكنت صابراً على خلقها وما يبدو منها كنت معها فى تعب وأنا أحتملها ، فكان الله قد سخر لى الأسد الذى رأيت يحمل عنى الحطب بصبرى عليها واحتمالى لها فلما توفيت تزوجت هذه المرأة الصالحة وأنا فى راحة معها فانقطع عنى الأسد

فاحتجت أن أحمل الحطب على ظهرى لأجل راحتى مع هذه المرأة المباركة الطائعة فنسأل الله أن يرزقنا الصبر على ما يحب و يرضى إنه جواد كريم .

الكبيرة الثامنة والأربعون : التصوير

في الثياب والحيطان والحجر والدراهم وسائر الأشياء
سواء كانت من شمع أو عجين أو حديد أو نحاس أو صوف
أو غير ذلك ، والأمر بإتلافها

قال الله تعالى (إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى الدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا) قال عكرمة : هم الذين يصنعون الصور ، وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الذين يصنعون الصور يعذبون يوم القيامة يقال لهم أحيوا ما خلقتم » مخرج في الصحيحين ، وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفر وقد سترت سهوة لى بقرام فيه تماثيل فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم تلون وجهه وقال : « يا عائشة أشد الناس عذابا يوم القيامة الذين يضاهئون بخلق الله عز وجل » قالت عائشة رضى الله عنها : فقطعته فجعلت منه وسادتين . مخرج في الصحيحين . القرام ـ بكسر القاف ـ هو الستر ، والسهوة كالصفة تكون بين يدى البيت ، وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « كل مصور فى النار ، يجعل له بكل صورة صورها نفس يعذب بها فى نار جهنم » مخرج في الصحيحين . وعنه [1] رضى الله عنه قال : سمعت النبي عليه الصلاة والسلام يقول : « من صور صورة فى الدنيا كلف أن ينفخ فيها الروح يوم القيامة وليس بنافخ فيها أبداً » وعنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : « يقول الله عز وجل ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقى ، فليخلقوا حبة أو ليخلقوا شعيرة أو ليخلقوا ذرة » مخرج في الصحيحين .

(١) رواه البخارى وفيه قصة اهـ ترغيب .

وقال[١] عليه الصلاة والسلام : « يخرج عنق من النار يوم القيامة فيقول إنى وكلت بثلاثة بكل من دعا مع الله إلها آخر و بكل جبار عنيد و بالمصورين » .

وقال رسول الله عليه الصلاة والسلام : « لاتدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا صورة » مخرج فى الصحيحين .

وفى سنن أبى داود عن على بن أبى طالب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لاتدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا صورة ولا جنب » . وقال الخطابى رحمه الله تعالى : قوله عليه الصلاة والسلام « لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا صورة ولا جنب » يريد الملائكة الذين ينزلون بالرحمة والبركة دون الملائكة الذين هم الحفظة فإنهم لايفارقون الجنب وغير الجنب . وقد قيل إنه لم يرد الجنب الذى أصابته الجنابة فأخر الاغتسال إلى أوان حضور الصلاة ولكنه الذى يجنب ولا يغتسل و يتهاون بالغسل و يتخذه عادة فإن النبى عليه الصلاة والسلام كان يطوف على نسائه بغسل واحد ، و فى هذا تأخير الاغتسال عن وقت وجوبه .

وقالت[٢] عائشة رضى الله عنها : كان رسول الله عليه الصلاة والسلام ينام وهو جنب ولا يمس ماء .

وأما الكلب فهو أن يقتنى كلباً لا لزرع ولا ضرع أو صيد ، فأما إذا اضطر إليه فلا حرج للحاجة إليه فى بعض هذه الأمور أو لحراسة داره اضطر إليه فلا حرج عليه إن شاء الله .

وأما الصور فهى كل مصوّر من ذوات الأرواح سواء كانت لها أشخاص منتصبة أو كانت منقوشة فى سقف أو جدار أو موضوعة فى نمط أو منسوجة فى ثوب أوما كان فإن قضية العموم تأتى عليه فليجتنب وبالله التوفيق .

---

(١) رواه الترمذى من حديث أبى هريرة وقال حسن صحيح اه ترغيب .

(٢) رواه الترمذى وأعله .

ويجب إتلاف الصور لمن قدر على إتلافها أو إزالتها ، روى مسلم[1] فى صحيحه عن حيان بن حصين قال : قال لى على بن أبى طالب رضى الله عنه ألا أبعثك على ما بعثنى عليه رسول الله عليه الصلاة والسلام ؟ أن لا تدع صورة إلا طمستها ولا قبراً مشرفا إلا سويته .

فنسأل الله التوفيق لما يحب ويرضى إنه جواد كريم .

الكبيرة التاسعة والأربعون : اللطم والنياحة وشق الثوب

وحلق الرأس ونتفه والدعاء بالويل والثبور عند المصيبة

روينا فى صحيح البخارى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله عليه الصلاة والسلام « ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية » .

وروينا فى صحيحيهما عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه أن النبى عليه الصلاة والسلام « برئ من الصالقة والحالقة والشاقة » الصالقة التى ترفع صوتها بالنياحة ، والحالقة التى تحلق شعرها وتنتفه عند المصيبة ، والشاقة التى تشق ثيابها عند المصيبة وكل هذا حرام باتفاق العلماء ، وكذلك يحرم نشر الشعر ولطم الخدود وخمش الوجه والدعاء بالويل والثبور .

وعن أم عطية رضى الله عنها : قالت أخذ علينا رسول الله عليه الصلاة والسلام فى البيعة أن لا ننوح ، رواه البخارى ، وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله عليه الصلاة والسلام «اثنتان فى الناس هما بهم كفر : الطعن فى الأنساب والنياحة على الميت» رواه مسلم .

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) وكذا أبو داود ت وحيان بن حصين هو أبو الهياج الأسدى .

النائحة والمستمعة رواه أبو داود وعن[١] أبي بردة قال وجع أبو موسى الأشعرى فغشى عليه ورأسه فى حجر امرأة من أهله فأقبلت تصيح برنة فلم يستطع أن يرد عليها فلما أفاق قال أنا برىء مما برىء منه رسول الله عليه الصلاة والسلام ، إن رسول الله عليه الصلاة والسلام برىء من الصالقة والحالقه والشاقة .

وعن النعمان بن بشير رضى الله عنه قال : أغمى على عبد الله بن رواحة فجعلت أخته تعدد عليه فتقول واكذا واكذا فقال حين أفاق ماقلت شيئا إلا قيل لى أنت كذا أنت كذا . أخرجه البخارى[٢] .

وفى الصحيحين أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « الميت يعذب فى قبره بما نيح عليه » .

وعن أبى موسى رضى الله عنه قال : مامن ميت يموت فيقوم باكيهم فيقول واسيداه واجبلاه واكذا واكذا ونحو ذلك إلا وكل به ملكان يلهزانه أهكذا أنت ؟ أخرجه الترمذى[٣] .

وقال عليه الصلاة والسلام[٤] « النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب » وقال عليه الصلاة والسلام « إنما نهيت عن صوتين أحمقين فاجرين : صوت عند نغمة لهو ولعب ومزامير شيطان وصوت عند مصيبة خمش فى وجوه وشق فى جيوب ورنة عند مصيبة .

وقال[٥] النبى صلى الله عليه وسلم إن هذه النوائح يجعلن صفين فى النار فينبحن

---

(١) رواه خ ، م ، ه ، س كذا فى الترغيب .

(٢) وزاد فلما مات لم تبك عليك اه ترغيب .

(٣) وقال حديث حسن غريب وكذا رواه ابن ماجه اه ترغيب

(٤) رواه مسلم وابن ماجه من حديث أبى مالك الأشعرى .

(٥) رواه الطبرانى فى الأوسط من حديث أبى هريرة وأشار المنذرى فى الترغيب إلى ضعفه .

فى أهل النار كما تنبح الكلاب : وعن الأوزاعى أن عمر بن الخطاب سمع صوت بكاء فدخل ومعه غيره فمال عليهم ضرباً حتى بلغ النائحة فضربها حتى سقط خمارها وقال اضرب فإنها نائحة ولا حرمة لها ، إنها لاتبكى بشجوكم إنها تهريق دموعها لأخذ دراهمكم و إنها تؤذى موتاكم فى قبورهم وأحياكم فى دورهم لأنها تنهى عن الصبر وقد أمر الله به وتأمر بالجزع وقد نهى الله عنه ٠

واعلم أن النياحة رفع الصوت بالندب ، والندب تعديد النائحة بصوتها محاسن الميت وقيل هو البكاء عليه مع تعديد محاسنه ٠

قال العلماء : ويحرم رفع الصوت بإفراط بالبكاء وأما البكاء على الميت من غير ندب ولا نياحة فليس بحرام ٠

روينا فى صحيح البخارى ومسلم عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله عليه الصلاة والسلام عاد سعد بن عبادة ومعه عبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبى وقاص وعبد الله بن مسعود رضى عنهم فبكى رسول الله عليه الصلاة والسلام فلما رأى القوم بكاء رسول الله عليه الصلام بكوا فقال « ألا تسمعون إن الله لا يعذب بدمع العين ولا بحزن القلب ولكن يعذب بهذا أو يرحم » وأشار إلى لسانه ٠

وروينا فى صحيحيهما عن أسامة بن زيد أن رسول الله عليه الصلاة والسلام رفع إليه ابن ابنته وهو فى الموت ففاضت عينا رسول الله عليه الصلاة والسلام فقال سعد ماهذا يارسول الله ؟ قال : هذه رحمة جعلها الله فى قلوب عباده و إنما يرحم الله من عباده الرحماء » روينا فى صحيح البخارى عن أنس رضى الله عنه أن رسول عليه الصلاة والسلام دخل على ابنه ابراهيم وهو يجود بنفسه فجعلت عينا رسول الله عليه الصلاة والسلام تذرفان فقال له عبد الرحمن بن عوف وأنت يارسول الله ؟ فقال يابن عوف « إنها رحمة » ثم اتبعها بأخرى فقال « إن العين لتدمع والقلب يحزن ولا نقول إلا مايرضى ربنا وإنا لفراقك ياإبراهيم لمحزونون » ٠

وأما الأحاديث الصحيحة . إن الميت يعذب ببكاء أهله عليه فليست على ظاهرها وإطلاقها بل هي مؤوّلة ، واختلف العلماء في تأويلها على أقوال أظهرها والله أعلم أنها محمولة على أن يكون له سبب في البكاء إما أن يكون قد أوصاهم به أو غير ذلك .

قال أصحاب الشافعي ويجوز قبل الموت وبعده ولكن قبله أولى للحديث الصحيح « فإذا وجبت فلا تبكين باكية » ، وقد نص الشافعي والأصحاب أنه يكره البكاء بعد الموت كراهة تنزيه ولا يحرم وتأولوا حديث « فلا تبكين باكية » على الكراهة والله أعلم .

فصل

وإنما كان للنائحة هذا العذاب واللعنة لأنها تأمر بالجزع وتنهى عن الصبر والله ورسوله قد أمر بالصبر والاحتساب ونهيا عن الجزع والسخط . قال الله تعالى : (يَا أَيهَا الذِينَ آمنُوا اسْتَعِينُوا بالصبرِ وَالصَّلاَةِ إنَّ ٱللّهَ مَعَ الصابِرِينَ) . قال عطاءعن ابن‌عباس يقول إني‌معكم أنصركم ولا أخذلكم . قوله‌تعالى:(وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ) أي لنعاملكم معاملة المبتلي لأن الله تعالى يعلم عاقبة الأمور فلا يحتاج إلى الابتلاء ليعلم العاقبة ولكنه يعاملهم معاملة من يبتلي ، فمن صبر أثابه على صبره ومن لم يصبر لم يستحق الثواب ، وقوله : (بِشيْء مِنَ الْخوْفِ وَالْجُوع) قال ابن عباس يعني خوف العدو والجوع يعني المجاعة والقحط (وَنَقْصٍ مِنَ الأَمْوَالِ) يعني الخسران والنقصان في المال وهلاك المواشي (وَالأَنفُس) بالموت والقتل والمرض والشيب (وَالثَّمَرَاتِ) يعني الجوائح وأن لا تخرج الثمرة كما كانت تخرج ، ثم ختم الآية بتبشير الصابرين ليدل على أن من صبر على هذه المصائب كان على وعد الثواب من الله تعالى ؛ فقال تعالى : (وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ) ثم نعتهم‌فقال : (الذِينَ إذا أصَابتهُمْ مُصِيبةٌ) أي نالتهم نكبة مما ذكر . ولا يقال فيما أصيب بخير مصيبة (قَالُوا إنَّا للهِ)

عبيد الله فيصنع بنا ما يشاء (وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ) بالهلاك و بالفناء ، ومعنى الرجوع إلى الله الرجوع إلى انفراده بالحكم إذ قد ملك فى الدنيا قوما الحكم فإذا زال حكم العباد رجع الأمر إلى الله عز وجل .

وعن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما من مصيبة يصاب بها المؤمن إلا كفر الله بها عنه حتى الشوكة يشاكها » رواه مسلم[١] وعن[٢] علقمة بن مرثد بن سابط عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أصيب بمصيبة فليذكر مصيبته بى فإنها أعظم المصائب » ، وقال[٣] النبى صلى الله عليه وسلم : « إذا مات ولد العبد يقول الله للملائكة قبضتم ولد عبدى ؟ فيقولون : نعم فيقول : قبضتم ثمرة فؤاده ؟ فيقولون : نعم فيقول : ما قال عبدى؟ فيقولون حمدك واسترجع ، فيقول الله تعالى : ابنوا لعبدى بيتاً فى الجنة وسموه بيت الحمد » وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يقول الله تعالى ما لعبدى عندى جزاء إذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسب إلا الجنة » رواه البخارى .

وقال عليه الصلاة والسلام : « من سعادة ابن آدم رضاه مما قضى الله ، ومن شقاوة ابن آدم سخطه مما قضى الله تعالى » وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : إذا قبض ملك الموت عليه السلام روح المؤمن قام على الباب ، ولأهل البيت ضجة فمنهم الصاكة وجهها ، ومنهم الناشرة شعرها ، ومنهم الداعية بويلها فيقول ملك الموت عليه السلام : مم هذا الجزع ، ومم هذا الفزع ؟ فوالله ما انتقصت لأحد منكم عمراً ولا ذهبت لأحد منكم برزق ولا ظلمت لأحد منكم شيئاً فإن

---

(١) وكذا وشاهده عندهما من حديث أبى سعيد الخدرى كما أفاده فى الترغيب

(٢) رواه الطبرانى فى الكبير وفيه أبو بردة عمرو بن يزيد وثقه ابن حبان وضعفه غيره اه مجمع الزوائد . (٣) رواه الترمذى وابن حبان وقال ت حسن اه ترغيب

كانت شكايتكم وسخطكم على فإنى والله مأمور ، وإن كان على ميتكم فإنه مقهور وإن كان على ربكم فأنتم به كافرون وإن لى بكم عودة بعد عودة حتى لا أبقى منكم أحداً » قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « والذى نفسى بيده لو يرون مكانه ويسمعون كلامه لذهلوا عن ميتهم ولبكوا على أنفسهم » .

فصل فى التعزية : عن عبد الله بن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من عزى مصاباً فله مثل أجره » رواه الترمذى[1] .

وعن أبى برذة رضى الله عنه عن النبى عليه الصلاة والسلام قال لفاطمة رضى الله عنها : « من عزى ثكلى كسى برداً من الجنة » رواه الترمذى[2] .

وعن[3] عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لفاطمة رضى الله عنها : ما أخرجك يا فاطمة من بيتك ؟ قالت : أتيت أهل هذا البيت فترحمت إليهم ميتهم وعزيتهم به .

وعن عمرو[4] بن حزم عن النبى عليه الصلاة والسلام : « ما من مؤمن يعزى أخاه بمصيبة إلا كساه الله من حلل الكرامة يوم القيامة » .

واعلم رحمك الله أن التعزية هى التصبير وذكر ما يسلى صاحب الميت ويخفف حزنه ويهون مصيبته وهى مستحبة لأنها مشتملة على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وهى أيضاً داخلة فى قوله تعالى : (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى) وهذا من أحسن ما يستدل به فى التعزية .

واعلم أن التعزية « هى الأمر بالصبر » مستحبة قبل الدفن وبعده قال أصحاب الشافعى من حين يموت الميت وتبقى بعد الدفن إلى ثلاثة أيام قال

(١ و ٢) وقال فى كليهما حديث غريب وزاد فى الأول أنه روى موقوفا أفاده فى الترغيب (٣) رواه أبو دواد والنسائى بسند فيه ربيعة بن سيف تابعى من أهل مصر فيه كلام لايقدح فى حسن الإسناد اهـ ترغيب .

(٤) رواه ابن ماجه وسكت عليه المنذرى فى ترغيبه .

أصحابنا وتكره التعزية بعد ثلاثة أيام لأن التعزية تسكين قلب المصاب والغالب سكون قلبه بعد الثلاثة فلا يجدد له الحزن ، هكذا قاله الجماهير من أصحابنا ، وقال أبو العباس : من أصحابنا لا بأس بالتعزية بعد ثلاثة أيام بل تبقى أبداً وإن طال الزمان ، قال النووى رحمه الله : والمختار أنها لا تفعل بعد ثلاثة أيام إلا فى صورتين استثناهما أصحابنا وهما إذا كان المعزى أو صاحب المصيبة غائباً حال الدفن واتفق رجوعه بعد ثلاثة أيام ، والتعزية بعد الدفن أفضل منها قبله لأن أهل الميت مشغولون بتجهيزه ولأن وحشتهم بعد دفنه لفراقه أكثر ، هذا إذا لم ير منهم جزعا ، فإن رآه قدم التعزية ليسكنهم والله أعلم .

ويكره الجلوس للتعزية ، يعنى أن يجتمع أهل الميت فى بيت ليقصدهم من أراد التعزية ، ولفظ التعزية مشهور ، وأحسن ما يعزى به ما روينا فى الصحيحين عن أسامة بن زيد رضى الله عنه قال : أرسلت إحدى بنات النبى عليه الصلاة والسلام للرسول تدعوه وتخبره أن ابناً لها فى الموت فقال عليه الصلاة والسلام للرسول : « ارجع إليها فأخبرها أن لله ما أخذ وله ما أعطى وكل شىء عنده بأجل مسمى فمرها فلتصبر ولتحتسب » ، وذكر تمام الحديث، قال النووى رحمه الله فهذا الحديث من أعظم قواعد الإسلام المشتملة على مهمات كثيرة من أصول الدين وفروعه والآداب ، والصبر على النوازل كلها والهموم والأسقام ، وغير ذلك من الأغراض .

ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم : « إن لله ما أخذ » أن العالم كله ملك لله لم يأخذ ما هو لكم بل هو آخذ ما هو له عندكم فى معنى العارية ، وقوله : « وله ما أعطى » ما وهبه لكم ليس خارجاً عن ملكه بل هو له سبحانه يفعل فيه ما يشاء « وكل شىء عنده بأجل مسمى » فلا تجزعوا فإن من قبضه فقد انقضى أجله المسمى فمحال تأخيره أو تقديمه عنه فإذا علمتم هذا كله فاصبروا واحتسبوا ما نزل بكم والله أعلم .

وعن[١] معاوية بن قرة بن إياس عن أبيه رضى الله عنه عن النبى عليه الصلاة والسلام أنه فقد رجلا من أصحابه فسأل عنه فقالوا يا رسول الله ابنه الذى رأيته هلك فلقيه النبى صلى الله عليه وسلم فسأله عن ابنه فأخبره أنه هلك فعزاه عليه ثم قال يا فلان : « أيما كان أحب إليك أن تمتع به عمرك أو لا تأتى غداً باباً من أبواب الجنة إلا وجدته قد سبقك إليه يفتحه لك ، فقال : يا نبى الله يسبقنى إلى الجنة يفتحها لى هو أحب إلى قال فذلك لك » فقيل يا رسول الله هذا له خاصة أم للمسلمين عامة » ؟ قال : « بل للمسلمين عامة » ، وعن أبى موسى[٢] عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه خرجَ إلى البقيع فأتى امرأة جاثية على قبر تبكى فقال لها: « يا أمة الله اتقى الله واصبرى » قالت يا عبد الله إنى أنا الحرى الثكلى قال : « يا أمة الله اتقى الله واصبرى » قالت يا عبد الله لو كنت مصاباً عذرتنى قال : « يا أمة الله اتقى الله واصبرى »قالت يا عبد الله قد أسمعتنى فانصرف قال فانصرف عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم و بصر بها رجل من المسلمين فأتاها فسألها ما قال لك الرجل ؟ فأخبرته بما قال و بما ردت عليه فقال لها أتعرفينه قالت لا والله ، قال ويحك ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فبادرت تسعى حتى أدركته فقالت يا رسول الله أصبر . قال : « إنما الصبر عند الصدمة الأولى » أى إنما يجمل الصبر عند مفاجأة المصيبة ، وأما فيما بعد فيقع السلو طبعاً ، وفى صحيح مسلم مات ابن لأبى طلحة من أم سليم فقالت لأهله لا تحدثوا أبا طلحة حتى أكون أنا أحدثه فجاء أبو طلحة فقربت

---

(١) رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح وس وحب فى صحيحه باختصار اهـ ترغيب

(٢) رواه أبو يعلى فى مسنده من حديث أبى هريرة وأبى موسى وفى سنده بكر ابن الأسود الناجى وهو ضعيف قاله الهيثمى فى مجمع الزوائد ، قلت وأصله فى الصحيحين من حديث أنس مختصراً وصحته أبو هريرة لاأبو موسى لما فى الهيثمى وفتح البارى فى شرح حديث أنس«إنما الصبر عندالصدمةالأولى»فى كتاب الجنائزمن صحيح البخارى

إليه عشاء فأكل وشرب ثم تصنعت له أحسن ما كانت تتصنع قبل ذلك فوقع بها فلما رأت أنه قد شبع وأصاب منها قالت : يا أبا طلحة ، أرأيت لو أن قوما أعاروا عاريتهم أهل بيت فطلبوا عاريتهم ألهم أن يمنعوهم ؟ قال : لا ، قالت أم سليم : فاحتسب ابنك ، قال : فغضب أبو طلحة فقال : تركتيني حتى إذا تلطخت أخبرتيني بابني ، والله لا تغلبيني على الصبر ! فانطلق حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بما كان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بارك الله لكما في ليلتكما » فذكر الحديث .

وفي الحديث[1] : « ما أعطى أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر » . وقال علي رضي الله عنه للأشعث بن قيس : إنك إن صبرت إيماناً واحتساباً إلا سلوت كما تسلو البهائم . وكتب حكيم إلى رجل قد أصيب بمصيبة : إنك قد ذهب منك ما رزئت به فلا يذهبن عنك ما عوضت عنه ، وهو الأجر . وقال آخر : العاقل يصنع أول يوم من أيام المصيبة ما يفعله الجاهل بعد خمسة أيام ؛ قلت : قد علم أن مر الزمان يسلي المصاب فلذلك أمر الشارع بالصبر عند الصدمة الأولى . و بلغ الشافعي رضي الله عنه أن عبد الرحمن بن مهدي رحمه الله مات له ابن فجزع عليه عبد الرحمن جزعاً شديداً ، فبعث إليه الشافعي رحمه الله يقول : يا أخي عزِّ نفسك بما تعزِّي به غيرك ، واستقبح من فعلك ما تستقبحه من فعل غيرك ، واعلم أن أمضى المصائب فقد سرور ، وحرمان أجر ، فكيف إذا اجتمعا مع اكتساب وزر ؟ فتناول حظك يا أخي إذا قرب منك قبل أن تطلبه وقد ناء عنك ، ألهمك الله عند المصائب صبراً وأحرز لنا ولك بالصبر أجراً ، وكتب إليه يقول :

إني معزيك لا أني على ثقة ... من الحياة ، ولكن سنة الدين

فما المعزَّى بباق بعد ميته ... ولا المعزِّي ، ولو عاشا إلى حين

---

(١) رواه خ ، م عن حديث طويل اهـ ترغيب .

وكتب رجل إلى بعض إخوانه يعزيه بابنه : أما بعد ، فإن الولد على والده ما عاش حزن وفتنة ، فإذا قدمه فصلاة ورحمة ، فلا تحزن على ما فاتك من حزنه وفتنته ، ولا تضيع ما عوضك الله تعالى من صلاته ورحمته .

وقال موسى بن المهدى لإبراهيم بن سلمة وعزاه بابنه : أسرك وهو بلية وفتنة ، وأحزنك وهو صلاة ورحمة ؟

وعزى رجل رجلا فقال : إن من كان لك فى الآخرة أجراً خير ممن كان فى الدنيا سروراً وفرحاً .

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أنه دفن ابناً له ثم ضحك عند القبر ، فقيل له : أتضحك عند القبر ؟ فقال : أردت أن أرغم الشيطان .

وعن ابن جريج رحمه الله قال : من لم يتعرض مصيبته بالأجر والاحتساب سلا كما تسلو البهائم .

وعن حميد الأعرج قال : رأيت سعيد بن جبير رحمه الله يقول فى ابنه ونظر إليه : إنى لأعلم خير خلة فيك ، قيل : ما هى ؟ قال : يموت فأحتسبه .

وعن الحسن البصرى رحمه الله أن رجلا حزن على ولد له وشكا ذلك إليه ، فقال الحسن : كان ابنك يغيب عنك ؟ قال : نعم ، كانت غيبته أكثر من حضوره قال : فاتركه غائباً فإنه لم يغب عنك غيبة أجر لك فيها أعظم من هذه ، فقال : يا أبا سعيد هونت علىّ وجدى على ابنى .

ودخل عمر بن عبد العزيز على ابنه فى وجعه فقال : يا بنى كيف تجدك ؟ قال : أجدنى فى الحق ، قال يا بنى لأن تكون فى ميزانى أحب إلىّ من أن أكون فى ميزانك قال : يا أبت لأن يكون ما تحب أحبُّ إلىّ من أن يكون ما أحب .

ومات ابن الإمام الشافعى فأنشد يقول :

وما الدهر إلا هكذا فاصطبر له   رزية مال ، أو فراق حبيب

ووقعت فى رجل عروة الآكلة فقطعها من الساق ولم يمسكه أحد وهو شيخ

كبير ، ولم يدع ورده تلك الليلة إلا أنه قال : (لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً) وتمثل بهذه الأبيات :

لعمرى ما أهويت كفى لريبة ولا نقلتنى نحو فاحشة رجلى
ولا قادنى سمعى ولا بصرى لها ولا دلنى رأيى عليها ولا عقلى
وأعلم أنى لم تصبنى مصيبة من الدهر إلا قد أصابت فتى قبلى

وقال رضى الله عنه : اللهم إن كنت ابتليت فقد عافيت ، وإن كنت أخذت فقد أبقيت ، أخذت عضواً وأبقيت أعضاء وأخذت ابناً وأبقيت أبناء .

وقدم على الوليد فى تلك الليلة رجل أعمى من بنى عبس فسأله عن عينيه فقال : بت ليلة فى بطن واد ولم أعلم فى الأرض عبسيا يزيد ماله على مالى فطرقنا سيل فذهب ما كان لى من مال وأهل وولد غير بعير وصبى وكان البعير صعباً فند (أى شرد) فأتبعته فما جاوزت الصبى إلا بيسير حتى سمعت صوته فرجعت فإذا رأس الصبى فى بطنه فقتله ثم اتبعت البعير لآخذه فنفحنى برجله فأصاب وجهى فحطمه وأذهب عينى فأصبحت لا أهل لى ولا مال ولا ولد ولا بعير ، فقال الوليد : انطلقوا به إلى عروة ليعلم أن فى الأرض من هو أشد منه بلاء .

وذكر أن عثمان رضى الله عنه لما ضرب جعل يقول والدماء تسيل على لحيته : لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين ، اللهم إنى أستعين بك عليهم ، وأستعينك على جميع أمورى وأسألك الصبر على ما ابتليتنى .

وقال المدائنى : رأيت بالبادية امرأة لم أر جلداً أنضر منها ولا أحسن وجهاً منها فقلت تالله إن فعل هذا بك الاعتدال والسرور فقالت كلا والله إنى لبدع أحزان وخلف هموم وسأخبرك كان لى زوج وكان لى منه ابنان فذبح أبوهما شاة فى يوم أضحى والصبيان يلعبان فقال الأكبر للأصغر أتريد أن ترى كيف ذبح أبى الشاة؟ قال نعم فذبحه ، فلما نظر إلى الدم جزع ففزع نحو الجبل فأكله الذئب فخرج أبوه فى طلبه فتاه أبوه فمات عطشا فأفردنى الدهر ، فقلت لها وكيف أنت والصبر ؟ فقالت : لودام لى لدمت له ولكنه كان جرحا فاندمل .

وعن[١] ابن عباس رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من كان له فرطان[٢] من أمتى دخل الجنة » يعنى ولدين ، قالت عائشة رضى الله عنها : بأبى أنت وأمى فمن كان له فرط ؟ قال عليه الصلاة والسلام « ومن كان له فرط ياموفقة » قلت : فمن لم يكن له فرط من أمتك ؟ قال « أنا فرط أمتى لم يصابوا بمثلى » .

وعن أبى عبيدة رضى الله عنه عن أبيه[٣] قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قدم ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث كانوا له حصناً من النار » فقال أبو الدرداء : قدمت اثنين ، قال « واثنين » قال أبيُّ بن كعب سيد القراء : قدمت واحداً ، قال صلى الله عليه وسلم « وواحداً ، ولكن ذلك فى أول صدمة » وعن وكيع قال : كان لإبراهيم الحربى ابن ، وكان له أحد عشرة سنة قد حفظ القرآن ، وتفقه من الفقه والحديث شيئاً كثيراً ، فمات ، فجئت أعزيه ، قال لى كنت أشتهى موت ابنى هذا ، قلت يا أبا إسحاق أنت عالم الدنيا تقول مثل هذا قد أنجب وحفظ القرآن وتفقه الفقه والحديث ، قال نعم رأيت فى المنام كأن القيامة قد قامت وكأن صبياناً فى أيديهم قلال ماء يستقبلون الناس يسقونهم وكان اليوم يوم حار شديدحرّه قال فقلت لأحدهم اسقنى من هذا الماء ، قال : فنظر إلىَّ وقال لى ليس أنت أبى ، فقلت ومن أنتم ؟ قال نحن الصبيان الذين متنا فى الإسلام وخلفنا آباءنا نستقبلهم فنسقيهم الماء ، قال فلهذا تمنيت موته .

وروى مسلم عن أبى حسان قال : قلت لأبى هريرة رضى الله عنه حدثنابحديث

(١) رواه الترمذى وقال حسن غريب اه ترغيب .

(٢) الفرط بفتح الفاء وبالراء : الذى مات قبل البلوغ ذكراً كان أو أنثى وجمعه أفراط اه منذرى .

(٣) أبوه عبد الله بن مسعود والحديث أخرجه ابن ماجه وأشار المنذرى فى الترغيب إلى ضعفه وليس فى آخره قوله « ولكن ذلك فى أول صدمه » .

تطيب به أنفسنا عن موتانا قال نعم صغارهم دعاميص[1] الجنة يتلقى أحدهم أباه أو قال أبويه فيأخذ بثوبه أو قال بيده فلا ينتهى حتى يدخله الجنة .

وعن مالك بن دينار رحمه الله تعالى قال كنت فى أول أمرى مكباً على اللهو وشرب الخمر فاشتريت جارية وتسريت بها وولدت لى بنتاً فأحببتها حباً شديداً إلى أن دبت ومشت فكنت إذا جلست لشرب الخمر جاءت وجذبتنى عليه فأهرقته بين يدى فلما بلغت من العمر سنتين ماتت فأكمدنى حزنها قال فلما كان ليلة النصف من شعبان بت وأنا ثمل من الخمر فرأيت فى النوم كأن القيامة قد قامت وخرجت من قبرى وإذا بتنين قد تبعنى يريد أكلى ، والتنين الحية العظيمة ، قال : فهربت منه فتبعنى وصار كلما أسرعت يهرع خلفى وأنا خائف منه فمررت فى طريقى على شيخ نقى الثياب ضعيف فقلت يا شيخ بالله أجرنى من هذا التنين الذى يريد أكلى وإهلاكى فقال يا ولدى أنا شيخ كبير وهذا أقوى منى ولا طاقة لى به ولكن مر وأسرع فلعل الله أن ينجيك منه قال فأسرعت فى الهرب وهو ورائى فأشرفت على طبقات النار وهى تفور فكدت أن أهوى فيها وإذا قائل يقول لست من أهلى فرجعت هاربا والتنين فى أثرى فأشرفت على جبل مستنير وفيه طاقات وعليها أبواب وستور وإذا بقائل يقول : أدركوا هذا البائس قبل أن يدركه عدوه ، ففتحت الأبواب ، ورفعت الستور ، وأشرفت علىّ منها أطفال بوجوه كالأقمار ، وإذا ابنتى معهم ، فلما رأتنى نزلت إلىّ فى كفة من نور ، وضربت بيدها اليمنى إلى التنين فولى هاربا ، وجلست فى حجرى ، وقالت : يا أبت (أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ) فقلت : يا بنية ، وأنتم تعرفون

(٣) دعاميص بفتح الدال جمع دعموص بضمها دويبة صغيرة يضرب لونها إلى السواد تكون فى الغدرات إذا نشفت شبه بها الطفل فى الجنة لصغر سنه وسرعة حركته . . وقيل اسم للرجل الزوار للملوك الكثير الدخول عليهم لايتوقف على إذن منهم ولا يخاف أين ذهب من ديارهم شبه به الطفل لكثرة ذهابه فى الجنة حيث شاء لايمنع من بيت فيها ولا موضع اه ترغيب .

القرآن ؟ قالت : نحن أعرف به منكم . قلت: يابنية ماتصنعون ههنا ؟ قالت : نحن من مات من أطفال المسلمين أسكنا ههنا إلى يوم القيامة ننتظركم تقدمون فقلت : يا بنية ما هذا التنين الذى يطردنى و يريد إهلاكى ؟ قالت : يا أبت ذلك عملك السوء قويته فأراد إهلاكك ، فقلت : ومن ذلك الشيخ الضعيف الذى رأيته ؟ قالت : ذلك عملك الصالح أضعفته حتى لم يكن له طاقة بعملك السوء فتب إلى الله ولا تكن من الهالكين ، قال: ثم ارتفعت عنى واستيقظت فتبت إلى الله من ساعتى.

فانظر رحمك الله إلى بركة الذرية إذا ماتوا صغاراً ذكوراً كانوا أو إناثاً و إنما يحصل للوالدين النفع بهما فى الآخرة إذا صبروا واحتسبوا وقالوا الحمد لله إنا لله و إنا إليه راجعون فيحصل لهم ما وعد الله تعالى بقوله : (الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ) أى نحن وأموالنا بنا ما يشاء (وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ) إقرار بالهلاك والفناء .

وعن ثوبان رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما أصاب عبداً مصيبة إلا بإحدى خلتين إما بذنب لم يكن الله ليغفر له إلا بتلك المصيبة أو بدرجة لم يكن الله يبلغه إياها إلا بتلك المصيبة » .

وقال سعيد بن جبير : لقد أعطيت هذه الأمة عند المصيبة ما لم تعط الأنبياء قبلهم (إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ) ولو أعطيته الأنبياء عليهم السلام لأعطيه يعقوب عليه السلام إذ يقول : (يَا أَسَفَىٰ عَلَى يُوسُفَ) .

وعن أم سلمة رضى الله عنها قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من قال عند المصيبة (إنا لله و إنا إليه راجعون) اللهم آجرنى فى مصيبتى واخلف لى خيراً منها إلا آجره الله واخلف له خيراً منها » قالت : فلما توفى أبو سلمة قالت : من خير من أبى سلمة ؟ ثم قلتها فأخلفنى الله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، رواه مسلم .

وعن الشعبي أن شريحا قال : إنى لأصاب بالمصيبة فأحمد الله عليها أربع مرات أحمده إذ لم يكن أعظم منها ، وأحمده إذ رزقني الصبر عليها ، وأحمده إذ وفقني للاسترجاع لما أرجو من الثواب ، وأحمده إذ لم يجعلها فى ديني ، وقوله (وَأُولٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ) الصلوات من الله الرحمة والمغفرة (وَأُولٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ) يريد الذين اهتدوا للترجيع وقيل إلى الجنة والثواب .

وعن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : نعم العدلان ونعم العلاوة (وَأُولٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ) نعم العدلان (وَأُولٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ) نعم العلاوة .

وأما إذا سخط صاحب المصيبة ودعا بالويل والثبور أو لطم خداً أو شق جيبا أو نشر شعراً أو حلقه أو قطعه أو نتفه فله السخط من الله تعالى وعليه اللعنة رجلا كان أو امرأة .

وقد روى أيضاً أن الضرب على الفخذ عند المصيبة يحبط الأجر ، وقد روى أن من أصابته مصيبة فخرق عليها ثوباً أو لطم خداً أو شق جيباً أو نتف شعراً فكأنما أخذ رمحاً يريد أن يحارب ربه ؛ وقد تقدّم أن الله عز وجل لا يعذب ببكاء العين ولا بحزن القلب ولكن يعذب بهذا — يعنى ما يقوله صاحب المصيبة بلسانه يعنى من الندب والنياحة — وقد تقدم أن الميت يعذب فى قبره بما نيح عليه إذا قالت النائحة واعضداه واناصراه واكاسياه جبذ الميت وقيل له أنت عضدها ؟ أنت ناصرها ؟ أنت كاسيها ؟ فالنوح حرام لأنه مهيج للحزن ودافع عن الصبر وفيه مخالفة التسليم للقضاء والإذعان لأمر الله تعالى .

حكاية — قال صالح المرى كنت ذات ليلة جمعة بين المقابر فنمت وإذا بالقبور قد شققت وخرج الأموات منها وجلسوا حلقاً حلقا ونزلت عليهم أطباق مغطية وإذا فيهم شاب يعذب بأنواع العذاب من بينهم قال :

فتقدمت إليه وقلت يا شاب من ما شأنك تعـذب من بين هؤلاء القوم فقال : يا صالح بالله عليـك بلغ ما آمرك به وأد الأمانة وارحم غربتى لعل الله عز وجل أن يجعل لى على يديك مخرجا ؛ إنى لما مت ولى والدة جمعت النوادب والنوائح يندبن على وينحن كل يوم فأنا معذب بذلك ؛ النار عن يمينى وعن شمالى وخلفى وأمامى لسوء مقال أمى فلا جزاها الله عنى خيراً ثم بكى حتى بكيت لبكائه ، ثم قال : يا صالح بالله عليك اذهب إليها فهى فى المكان الفلانى وعلم لى المكان ، وقل لها لم تعذبى ولدك يا أماه طالما ربيتينى ومن الأسواء وقيتينى فلما مت فى العذاب رميتينى .

يا أماه لو رأيتينى : الأغلال فى عنقى والقيد فى قدمى وملائكة العذاب تضربنى وتنهرنى فلو رأيت سوء حالى لرحمتينى وإن لم تتركى ما أنت عليه من الندب والنياحة الله بينى وبينك يوم تشقق سماء عن سماء ويبرز الخلائق لفصل القضاء قال صالح : فاستيقظت فزعا ومكثت فى مكانى قلقاً إلى الفجر فلما أصبحت دخلت البلد ولم يكن لى هم إلا الدار التى لأم الصبى الشاب فاستدللت عليها فأتيتها فإذا بالباب مسود ، وصوت النوادب والنوائح خارج من الدار فطرقت الباب فخرجت إلى عجوز فقالت : ماتريد يا هـذا فقلت : أريد أم الشاب الذى مات ، فقالت : وما تصنع بها هى مشغولة بحزنها فقلت أرسليها إلى ، معى رسالة من ولدها فدخلت فأخبرتها فخرجت أم وعليها ثياب سود ووجهها قد اسودّ من كثرة البكاء واللطم فقالت لى من أنت : قلت : أنا صالح المرّى جرى لى البارحة فى المقابر مع ولدك كذا وكذا رأيته فى العذاب وهو يقول : يا أمى طالما ربيتينى ومن الأسواء وقيتينى ، فلما مت فى العذاب رميتينى وإن لم تتركى ما أنت عليه الله بينى وبينك يوم تشقق سماء عن سماء ؛ فلما سمعت ذلك غشى عليها وسقطت إلى الأرض فلما أفاقت بكت بكاء شديداً وقالت ياولدى يعزّ على ولو علمت ذلك بحالك ما فعلت وأنا تائبة إلى الله تعالى من ذلك ، ثم دخلت وصرفت النوائح ولبست غير تلك

الثياب وأخرجت إلى كيساً فيه دراهم كثيرة وقالت : يا صالح تصدق بهذه عن ولدى قال صالح : فودعتها ودعوت لها وانصرفت وتصـــدقت عن ولدها بتلك الدراهم ، فلما كان ليلة الجمعة الأخرى أتيت المقابر على عادتى فنمت فرأيت أهل القبور قد خرجوا من قبورهم وجلسوا على عادتهم وأتتهم الأطباق و إذ ذاك الشاب ضاحك فرح مسرور فجاءه أيضاً طبق فأخذه فلما رآنى جاء إلى فقال : يا صالح جزاك الله عنى خيراً ، خفف الله عنى العـذاب وذهب بترك أمى ما كانت تفعل وجاءنى ما تصدقت به عنى ، قال صالح : فقلت وما هذه الأطباق فقال هذه هدايا الأحياء لأمواتهم من الصدقة والقراءة والدعاء ينزل عليهم كل ليلة جمعة يقال له هذه هدية فلان إليك فارجع إلى أمى وأقرئها منى السلام وقل لها جزاها الله عنى خيراً قد وصل إلى ما تصدقت به عنى وأنت عندى عن قريب فاستعدى . قال صالح : ثم استيقظت وأتيت بعـد أيام إلى دار أم الشاب و إذا بنعش موضوع على الباب فقلت : لمن هذا ، فقالوا لأم الشاب فحضرت الصلاة عليها ودفنت إلى جانب ولدها بتلك المقبرة فدعوت لهما وانصرفت .

فنسأل الله أن يتوفانا مسلمين و يلحقنا بالصالحين و يعصمنا من النار إنه جواد كريم رءوف رحيم .

الكبيرة الخمسون : البغى

قال الله تعالى : (إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فى الْأَرضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : «إن الله أوحى إلى أن تواضعوا حتى لا يبغى أحد على أحد ولا يفخر أحد على أحد » رواه مسلم[1] .

(١) وأبو داود ، ابن ماجه من حديث عياض بن حمار رضى الله عنه اهـ ترغيب .

وفى الأثر : و بغى جبل على جبل لجعل الباغى منهما دكا .

وقال صلى الله عليه وسلم(١) : « ما من ذنب أجدر أن يعجل الله لصاحبه العقوبة فى الدنيا ما يدخره له فى الآخرة من البغى وقطيعة الرحم » .

وقد خسف الله بقارون الأرض حين بغى على قومه فقد أخبر الله تعالى عنه بقوله : (إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ) إلى قوله : (فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ) الآية . قال ابن الجوزى رحمه الله : فى بغى قارون أقوال (أحدها) أنه جعل للبغية جعلا أن تقذف موسى عليه السلام بنفسها ففعلت فاستحلفها موسى على ما قالت فأخبرته بقصتها مع قارون ، وكان هذا بغيه قال ابن عباس (والثانى) أنه بغى بالكفر بالله عز وجل قاله الضحاك (والثالث) بالكفر قاله قتادة ، (والرابع) أنه أطال ثيابه شبراً قاله عطاء الخراسانى ، (والخامس) أنه كان يخدم فرعون فاعتدى على بنى إسرائيل فظلمهم حكاه الماوردى .

قوله (فخسفنا به و بداره الأرض) الآية . لما أمر قارون البغية بقذف موسى على ما سبق شرحه غضب موسى فدعا عليه فأوحى الله إليه : إنى قد أمرت الأرض أن تطيعك فمرها ، فقال موسى يا أرض خذيه فأخذته حتى غيبت سريره ، فلما رأى قارون ذلك ناشد موسى بالرحم فقال يا أرض خذيه فأخذته حتى غيبت قدميه فما زال يقول يا أرض خذيه حتى غيبته فأوحى الله إليه . يا موسى وعزتى وجلالى لو استغاث بى لأغثته ، قال ابن عباس : فخسفت به الأرض إلى الأرض السفلى ، قال سمرة بن جندب : إنه كل يوم يخسف به قامة قال مقاتل : فلما هلك قارون قال بنو إسرائيل : إنما أهلكه موسى ليأخذ ماله وداره فخسف الله بداره وماله بعد ثلاثة أيام .

(فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللهِ) أى يمنعونه من

---

(١) رواه ابن ماجه ت وقال حسن صحيح و ك وقال صحيح الإسناد من حديث أبى بكرة اهـ ترغيب .

(وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ) أى من الممتنعين مما أنزل الله به، والله أعلم.

اللهم إنك إذا قبلت سلمت، وإذا أعرضت أسلمت وإذا وفقت ألهمت وإذا خذلت أنهمت.

اللهم أذهب ظلمة ذنوبنا بنور معرفتك وهداك واجعلنا ممن أقبلت عليه فأعرض عمن سواك واغفر لنا ولوالدينا وسائر المسلمين آمين.

الكبيرة الحادية والخمسون: الاستطالة

على الضعيف والمملوك والجارية والزوجة والدابة؛ لأن الله تعالى قد أمر بالإحسان إليهم بقوله تعالى: (وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا) قال الواحدى: فى قوله (وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا) أخبرنا أحمد بن محمد بن إبراهيم المهرجانى بإسناده عن[(1)] معاذ بن جبل رضى الله عنه قال: كنت رديف النبى صلى الله عليه وسلم على حمار فقال (يامعاذ) قلت لبيك وسعديك يا رسول الله قال: « هل تدرى ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله؟ » قلت: الله ورسوله أعلم قال: « فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً ».

وعن ابن مسعود[(2)] رضى الله عنه قال: أتى النبى صلى الله عليه وسلم

---

(١) هذا الحديث فى الصحيحين وغيرهما من طرق متعددة والعجب للمؤلف كيف أبعد النجعة فنقله عن الواحدى عن الضعاف والمناكير وهو على طرف الثمام فى دواوين الإسلام الشهيرة. (٢) ذكر المنذرى فى ترغيبه أحاديث نحو هذا الحديث أقربها منه =

أعرابى فقال يانبى الله أوصنى قال «لاتشرك بالله شيئا و إن قطعت وحرقت ولاتدع الصلاة لوقتها فإنها ذمة الله ولا تشرب الخمر فإنها مفتاح كل شر» .

قوله (و بالوالدين إحسانا) يريد البر بهما مع اللطف ولين الجانب ولا يغلظ لهما الجواب ولا يحد النظر إليهما ولا يرفع صوته عليهما بل يكون بين أيديهما مثل العبد بين يدى السيد تذللا لهما قوله (بذى القربى) قال يصلهم و يعطف عليهم (اليتامى) برفق ويدنيهم و يمسح رؤسهم (والمساكين) ببذل يسير ورد جميل (والجار ذى القربى) يعنى الذى بينك و بينه قرابة فله حق القرابة وحق الجوار وحق الإسلام (والجار الجنب) هو الذى ليس بينك وبينه قرابة يقال رجل جنب إذا كان غريباً متباعداً أهله وقوم أجانب والجنابة البعد ؛ عن عائشة[1] رضى الله عنها أن النبى عليه الصلاة والسلام قال « مازال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه » وعن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله عليه الصلاة والسلام « إن الجار ليتعلق بالجار يوم القيامة يقول يارب أوسعت على أخى هذا وقترت على أمسى طاوياً و يمسى هذا شبعان سله لم أغلق بابه عنى وحرمنى ماقد أوسعت به عليه » .

(والصاحب بالجنب) قال ابن عباس ومجاهد هو الرفيق فى السفر له حق

= حديث معاذ عند أحمد والطبرانى قال وإسناد أحمد صحيح لو مسلم من الانقطاع بين عبد الرحمن بن جبير بن نفير ومعاذفانه لم يسمع منه ومنها حديثه عندالطبرانى فى الأوسط ولا بأس باسناده فى المتابعات وحديث أميمة مولاته حتى عند الطبرانى بسند فيه يزيد بن سنان الرهاوى وحديث أبى الدرداء عند ابن ماجه والبيهقى بسند فيه شهر بن حوشب اهـ ترغيب .

(١) رواه أبو داود وابن ماجه من حديث عائشة ورواه خ ، م ، ت ، من حديث ابن عمر ورواه أحمد باسناد جيد رواته رواه الصحيح من حديث رجل من الأنصارى اهـ ترغيب .

الجوار وحق الصحبة (وابن السبيل) هو الضعيف يجب إقراؤه إلى أن يبلغ حيث يريد . وقال ابن عباس هو عابر السبيل تؤويه وتطعمه حتى يرحل عنك (وماملكت أيمانكم) يريد المملوك يحسن رزقه ويعفو عنه فيما يخطئ ، قوله (إن الله لايحب من كان مختالا فخورا) قال ابن عباس يريد بالمختال العظيم فى نفسه الذى لايقوم بحقوق الله . والفخور هو الذى يفخر على عباد الله بما خوله الله من كرامته وما أعطاه من نعمه .

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله عليه الصلاة والسلام قال : بينما رجل شاب ممن كان قبلكم يمشى فى حلة مختالا فخورا إذا ابتلعته الأرض فهو يتجلجل فيها حتى تقوم الساعة » وعن أسامة قال سمعت ابن عمر يقول[١] : سمعت رسول الله عليه الصلاة والسلام يقول « من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة » هذا ماذكره الواحدى .

وكان رسول الله عليه الصلاة والسلام عند خروجه من الدنيا فى آخر مرضه يوصى بالصلاة وبالإحسان إلى المملوك ويقول « الله الله الصلاة وما ملكت أيمانكم »[٢] .

وفى الحديث « حسن الملكة يمن وسوء الملكة شؤم » وقال رسول الله عليه الصلاة والسلام « لايدخل الجنة سيىء الملكة »[٣] .

قال أبو مسعود رضى الله عنه : كنت أضرب مملوكا لى بالسوط فسمعت صوتاً من ورائى « اعلم أبا مسعود أن الله أقدر عليك منك على هذا الغلام » قال قلت يارسول الله : لاأضرب مملوكا لى بعده أبداً ؛ وفى رواية سقط السوط من يدى من

---

(١) رواه خ ، م ، د ، س ، .

(٢) رواه أبو داود وابن ماجه من حديث على بن أبى طالب رضى الله عنه

(٣) رواه أحمد وأبو داود عن بعض بنى رافع بن مكيث عنه ولم يسمعه منه ورواه أبو داود عن الحارث بن رافع بن مكيث عن النبى عليه الصلاة والسلام مرسلا اه ترغيب .

هيبة رسول الله عليه الصلاة والسلام وفي رواية ؛ فقلت هو حر لوجه الله . فقال « أما إنك لو لم تفعل للفحتك النار يوم القيامة » رواه مسلم أيضاً من حديث ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله عليه الصلاة والسلام « من ضرب غلاماً له حداً لم يأته أو لطمه فكفارته أن يعتقه » ومن حديث حكيم ابن حزام قال : قال رسول الله عليه الصلاة والسلام « إن الله يعذب الذين يعذبون الناس في الدنيا » .

وفي الحديث[١] « من ضرب بسوط ظلما اقتص منه يوم القيامة » وقيل[٢] لرسول الله عليه الصلاة والسلام كم نعفو عن الخادم ؟ قال «في اليوم سبعين مرة» .

وكان[٣] في يد النبي عليه الصلاة والسلام يوما سواك فدعا خادماً له فأبطأ عليه فقال لولا القصاص لضربتك بهذا السواك » وكان لأبي هريرة جارية زنجية فرفع يوماً عليها السوط فقال لولا القصاص لأغشيتكيه ولكن سأبيعك لمن يوفيني ثمنك اذهبي فأنت حرة لوجه الله .

وجاءت[٤] امرأة إلى النبي عليه الصلاة والسلام فقالت يارسول الله إني قلت لأمتي يازانية ، قال «وهل رأيت عليها ذلك ؟» قالت : لا ، قال «أما إنها ستستقيد منك يوم القيامة » فرجعت إلى جاريتها فأعطفها سوطاً وقالت اجلديني ، فأبت الجارية فأعتقتها ؛ ثم رجعت إلى النبي عليه الصلاة والسلام فأخبرته بعتقها ، فقال « عسى » أي عسى أن يكفر عتقك لها ماقذفتيها به .

وفي الصحيحين[٥] أن رسول الله عليه الصلاة والسلام قال : « من قذف

---

(١) رواه البزار والطبراني باسناد حسن اهـ ترغيب .

(٢) رواه د ، ت و قال حسن غريب وفي بعض النسخ ت حسن صحيح من حديث عبد الله بن عمر اهـ ترغيب .

(٣) رواه أحمد بأسانيد أحدها جيد والطبراني كلاهما من حديث أم سلمة .

(٤) روى الحاكم وقال صحيح الإسناد وتعقبه المنذري بأن فيه الملك بن هرون متروك أن عبد الله بن عمرو بن العاص زار عمة له فقدمت جاريتها الخ بنحو مما هنا .

(٥) من حديث أبي هريرة وكذا رواه ت وقال حديث حسن صحيح اهـ ترغيب

مملوكه وهو برىء مما قاله جلد يوم القيامة حداً إلا أن يكون كما قال : وفى الحديث[١] « للمملوك طعامه وكسوته ولا يكلف ما لا يطيق » وكان[٢] عليه الصلاة والسلام يوصيهم عند خروجه من الدنيا ويقول « الله الله فى الصلاة وما ملكت أيمانكم أطعموهم مما تأكلون واكسوهم مما تكتسون ولا تكلفوهم من العمل مالا يطيقون فإن كلفتموهم فأعينوهم ولا تعذبوا خلق الله فإنه ملككم إياهم ولو شاء لملكهم إياكم » .

ودخل جماعة على سلمان الفارسى رضى الله عنه وهو أمير على المدائن فوجدوه يعجن عجين أهله فقالوا له ألا تترك الجارية تعجن ؟ فقال رضى الله عنه : إنا أرسلناها فى عمل فكرهنا أن نجمع عليها عملا آخر .

وقال بعض السلف : لاتضرب المملوك فى كل ذنب، ولكن احفظ له ذلك ، فإذا عصى الله فاضرب به على معصية الله وذكره الذنوب التى بينك وبينه .

فصل — ومن أعظم الإساءة إلى المملوك والجارية التفريق بينه وبين ولده أو بينه وبين أخيه لما جاء عن[٣] النبى عليه الصلاة والسلام أنه قال « من فرق بين والدة وولدها فرق الله بينه وبين أحبته يوم القيامة » قال على كرم الله وجهه : وهب لى رسول الله عليه الصلاة والسلام غلامين أخوين فبعت أحدهما فقال رسول الله عليه الصلاة والسلام « رده رده » . ومن ذلك أن يجوع المملوك والجارية والدابة ،

---

(١) رواه مسلم من حديث أبى هريرة ــ وزاد ابن حبان فى صحيحه « قال كلفتموهم فأعينوهم ولا تعذبوا عباد الله خلقا أمثالكم » اهـ ترغيب .

(٢) روى الطبرانى نحوه من حديث زيد بن حارثة وفى سنده عاصم بن عبيد الله مشاه بعضهم وصحح له الترمذى والحاكم ولا يضر فى المتابعات قاله المنذرى فى الترغيب وله شاهد من حديث على عند د ، هـ وعن أم سلمة عند هـ بسند ضعيف ومن حديث كعب بن مالك عند الطبرانى من طريق عبيد الله بن زحر عن على بن يزيد وقد وثقا ولا بأس بهما فى المتابعات . (٣) رواه الترمذى من حديث أبى أيوب وقال حديث حسن غريب والدارقطنى والحاكم وقال صحيح الإسناد .

يقول(١) رسول الله صلى الله عليه وسلم « كفى بالمرء إثماً أن يحبس عمن يملك قوته قوته » ومن ذلك أن يضرب الدابة ضرباً وجيعاً أو يحبسها ولا يقوم بكفايتها ، أو يحملها فوق طاقتها فقد روى فى تفسير قوله تعالى : (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِى الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجُنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ) ، الآية قيل يؤتى بهم والناس وقوف يوم القيامة فيقضى بينهم حتى أنه ليؤخذ للشاة القرناء حتى يقاد للذرّة من الذرّة ، ثم يقال لهم كونوا تراباً فهنالك يقول الكافر : ليتنى كنت ترابا . وهذا من الدليل على القضاء بين البهائم و بينها و بين بنى آدم حتى أن الإنسان لو ضرب دابة بغير حق أو جوّعها أو عطشها وكلفها فوق طاقتها فإنها تقتص منه يوم القيامة بقدر ما ظلمها أو جوّعها ، الدليل على ذلك ما ثبت فى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عذبت امرأة فى هرّة ربطتها حتى ماتت جوعا لا هى أطعمتها وسقتها إذ حبستها ولا تركتها تأكل من خشاش الأرض » أى من حشراتها .

وفى الصحيح(٢) أنه عليه الصلاة والسلام رأى امرأة معلقة فى النار والهرّة تخدشها فى وجهها وصدرها وهى تعذبها كما عذبتها فى الدنيا بالحبس والجوع وهذا عامّ سائر الحيوان وكذلك إذا حملها فوق طاقتها تقتص منه يوم القيامة لما ثبت فى الصحيحين أن رسول الله عليه الصلاة والسلام ، قال : بينما رجل يسوق بقرة إذ ركبها فضربها فقالت إنا لم نخلق لهذا إنما خلقنا للحرث ، فهذه بقرة أنطقها الله فى الدنيا تدافع عن نفسها بأنها لا تؤذى ولا تستعمل فى غير ما خلقت له فمن كلفها طاقتها أو ضربها بغير حق فيوم القيامة تقتص منه بقدر ضربه وتعذيبه .

قال أبو سليمان الدارانى : ركبت مرة حماراً فضربته مرتين أو ثلاثاً فرفع

---

(١) رواه مسلم من حديث عبد الله بن عمر اهـ ترغيب . (٢) رواه البخارى فى صحيحه من حديث أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما اهـ ترغيب.

رأسه ونظر إلى وقال : يا أبا سليمان هو القصاص يوم القيامة فإن شئت فأقلل و إن شئت فأكثر ، قال : فقلت لا أضرب شيئاً بعده أبداً ، ومر ابن عمر[١] بصبيان من قريش قد نصبوا طيراً وهم يرمونه وقد جعلوا لصاحبه كل خاطئة من نبلهم، فلما رأوا ابن عمر تفرقوا فقالوا من فعل هذا ؟ لعن الله من فعل هذا ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن من اتخذ شيئاً فيه الروح غرضاً ، والغرض كالهدف وما يرمى إليه ، ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تصبر البهائم يعنى أن تحبس للقتل، و إن كان مما أذن الشرع بقتله كالحية والعقرب والفأرة والكلب العقور قتله بأول دفعة ولا يعذبه لقوله عليه الصلاة والسلام[٢] « إذا قتلتم فأحسنوا القتلة و إذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة وليحدّ أحدكم شفرته وليرح ذبيحته » .

وكذلك لا يحرقه بالنار لما ثبت فى الحديث الصحيح[٣] أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إنى كنت أمرتكم أن تحرقوا فلانا وفلانا بالنار و إن النار لا يعذب بها إلا الله فإن وجدتموهما فاقتلوهما » .

قال ابن مسعود : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفره فانطلق لحاجته فرأينا حمرة[٤] معها فرخان فأخذنا فرخيها فجاءت الحمرة فجعلت ترفرف

---

(١) رواه خ ، م من حديث ابن عمر اه ترغيب .

(٢) رواه مسلم و ت فى جامعه من حديث شداد بن أوس وقال حديث حسن كذا فى الأطراف للمزى وقال فى المنتقى رواه أحمد ومسلم والنسائى .

(٣) يعنى صحيح البخارى من حديث أبى هريرة ويفيد كلام العسقلانى فى الفتح أنه فى ب ، د ، والرجلان المكنى عنهما بفلان وفلان هما هبار بن الأسود ورفيقه نخسا بعير زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت هجرتها من مكة بعد غزوة بدر فسقطت عن راحلتها وأسقطت ومرضت والقصة مشهورة فى ابن إسحق أفاده العسقلانى فى شرح الحديث من كتاب الجهاد من الفتح . (٤) رواه أبو داود فى سننه من حديث عبد الله أى ابن مسعود ، والحمرة طائر صغير كالعصفور .

فجاء النبي عليه الصلاة والسلام فقال : « من فجع هذه بولدها ؟ ردوا عليها ولديها » ، ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم قريه نمل أى مكان نمل قد أحرقناها فقال : من حرق هذه ؟ قلنا نحن فقال عليه الصلاة والسلام : « إنه لا ينبغى لأحد أن يعذب بالنار إلا ربها » ، وفيـــه من النهى عن القتل والتعذيب بالنار حتى فى القملة والبرغوث وغيرهما .

فصل — ويكره قتل الحيوان عبثا لما روى[١] عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « من قتل عصفوراً عبثاً عج إلى الله يوم القيامة وقال يارب سل هذا لم قتلنى عبثاً ولم يقتلنى لمنفعة ؟ » .

ويكره صيد الطير أيام فراخه لما روى ذلك فى الأثر ويكره ذبح الحيوان بين يدى أمه لما روى عن إبراهيم بن أدهم رحمه الله قال ذبح رجل عجلا بين يدى أمه فأيبس الله يده .

فصل — فى فضل عتق المملوك . عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبي عليه الصلاة والسلام قال : « من أعتق رقبة مؤمنـة أعتق الله بكل عضو من أعضائه عضواً من أعضائه من النار حتى يعتق فرجه بفرجه » أخرجه البخارى .

وعن أبى أمامة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم « أيما امرىء مسلم أعتق امرأ مسلما كان فكاكا له من النار يجزى كل عضو منه عضواً منه وأيما امرىء مسلم أعتق امرأتين مسلمتين كانتا فكاكه من النار يجزى كل عضوين منهما عضواً منه وأيمـا امرأة مسلمة أعتقت امرأة مسلمة إلا كانت فـكاكها من النار يجزى كل عضواً منها » رواه الترمذى وصححه .

اللهم اجعلنا من حزبك المفلحين وعبادك الصالحين .

الكبيرة الثانية والخمسون : أذى الجـار

ثبت فى الصحيحين[٢] أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « والله لا يؤمن

(١) رواه س وحب فى صحيحه من حديث الشريد رضى الله عنه . (٢) من حديث =

والله لا يؤمن ، قيل من يارسول الله ؟ قال: من لا يأمن جاره بوائقه» أى غوائله وشروره وفى رواية[١] «لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه» وسئل[٢] رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أعظم الذنب عند الله فذكر ثلاث خلال «أن تجعل لله نداً وهو خلقك وأن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك وأن تزانى بحليلة جارك» وفى الحديث[٣] «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره» والجيران ثلاثة جار مسلم قريب له حق الجوار وحق الإسلام وحق القرابة وجار مسلم له حق الجوار وحق الإسلام ، والجار الكافر له حق الجوار

وكان ابن عمر[٤] رضى الله عنهما له جار يهودى فكان إذا ذبح الشاة يقول : احملوا إلى جارنا اليهودى منها ، وروى[٥] أن الجار الفقير يتعلق بالجار الغنى يوم القيامة ويقول : يا رب سل هذا لم منعنى معروفه وأغلق عنى بابه .

وينبغى للجار أن يحمل أذى الجار فهو من جملة الإحسان إليه جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله دلنى على عمل إذا عملت به دخلت الجنة فقال : «كن محسناً» فقال : يا رسول الله كيف أعلم أنى محسن ؟ قال : «سل جيرانك فإن قالوا إنك محسن فأنت محسن وإن قالوا إنك مسىء

= أبى هريرة وكذا أحمد وزاد قالوا يارسول الله وما بوائقه؟ قال « شره » اه ترغيب

(١) هى لمسلم من رواية أبى هريرة اه منه . (٢) رواه خ ، م ت ، س كلهم من حديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنه والحليلة بفتح الحاء المهملة هى الزوجة اه ترغيب . (٣) رواه خ ، م من حديث أبى هريرة وبقيته فى إكرام الضيف والسكوت إلا عن خير اه منه . (٤) رواه د ، ت وقال حسن صحيح وقال فى آخره سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «مازال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه» قال المنذرى وقد روى هذا المتن يعنى المرفوع من طرق كثيرة وعن جماعة كثيرة من الصحابة اه ترغيب . (٥) رواه الأصبهانى فى كتاب الترغيب والترهيب من حديث ابن عمر وأشار المنذرى إلى ضعفه اه ترغيب .

فأنت مسىء » ذكره البيهقى من رواية أبى هريرة وجاء[1] عن النبى عليه الصلاة والسلام أنه قال : « من أغلق بابه عن جاره مخافة على أهله وماله فليس بمؤمن ؛ وليس بمؤمن من لا يأمن جاره بوائقه » وقيل[2] لأن يزنى الرجل بعشر نسوة أيسر من أن يزنى بامرأة جاره ، ولأن يسرق الرجل من عشرة أبيات أيسر من أن يسرق من بيت جاره ؛ وفى سنن أبى داود من رواية أبى هريرة رضى الله عنه قال : جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكو جاره ، فقال له « اذهب فاصبر » فأتاه مرتين أو ثلاثاً ، ثم قال : « اذهب فاطرح متاعك على الطريق » ففعل فجعل الناس يمرون به و يسألونه عن حاله فيخبرهم خبره مع جاره فجعلوا يلعنون جاره و يقولون : فعل الله به وفعل و يدعون عليه فجاء إليه جاره وقال: يا أخى ارجع منزلك فإنك لن ترى ما تكره أبداً .

وأن يحتمل أذى جاره و إن كان ذمياً ، فقد روى عن سهل بن عبد الله التسترى رحمه الله أنه كان له جار ذمى وكان قد انبثق من كنيفه إلى بيت فى دار سهل بثق فكان سهل يضع كل يوم الجفنة تحت ذلك البثق فيجتمع مايسقط فيه من كنيف المجوسى و يطرحه بالليل حيث لا يراه أحد فمكث رحمه الله على

---

(١) رواه الخرائطى فى مكارم الأخلاق من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عبد الله بن عمرو بن العاص وبقيته « أتدرى ماحق الجار ؟ إذا استعانك أعنته وإذا استقرضك أقرضته وإذا افتقر عدت عليه وإذا مرض عدته وإذا أصابه خير هنأته وإذا أصابته مصيبة عزيته وإذا مات اتبعت جنازته ولا تستطل عليه بالبنيان فتحجب عنه الريح إلا بإذنه ولا تؤذه بقتار ريح قدرك إلا أن تعرف له منها وإن اشتريت فاكهة فأهد له فإن لم تفعل فأدخلها سرا ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده » قال المنذرى ولعل قوله « أتدرى ماحق الجار الخ » من كلام الراوى غير مرفوع والحديث على كل أشار المنذرى إلى ضعفه بقوله فى أوله وروى التى هى إحدى علامات الضعف عنده وسكت عليه فى آخره وهى العلامة الثانية للضعف الشامل للوضع .

(٢) رواه أحمد ورواته ثقات والطبرانى فى الكبير والأوسط من حديث المقداد بن الأسواد اه ترغيب .

هذه الحال زمانا طويلا إلى أن حضرت سهلا الوفاة فاستدعى بجاره المجوسى وقال له : أدخل ذلك البيت وانظر ما فيه فدخل فرأى ذلك البثق والقذر يسقط منه فى الجفنة فقال : ما هذا الذى أرى ؟ قال سهل هذا منذ زمان طويل يسقط من دارك إلى هذا البيت وأنا أتلقاه بالنهار وألقيه بالليل ولولا أنه قد حضرنى أجلى وأنا أخاف أن لا تتسع أخلاق غيرى لذلك ، وإلا لم أخبرك فافعل ما ترى فقال المجوسى : أيها الشيخ أنت تعاملنى بهذه المعاملة منذ زمان طويل وأنا مقيم على كفرى ؟ مد يدك فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، ثم مات سهل رحمه .

فنسأل الله أن يهدينا وإياكم لأحسن الأخلاق والأعمال والأقوال وأن يحسن عاقبتنا إنه جواد كريم رءوف رحيم .

الكبيرة الثالثة والخمسون : أذى المسلمين وشتمهم

قال الله تعالى : (وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا) ، وقال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) ، وقال تعالى : (وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا) وقال عليه الصلاة والسلام[1] « إن من شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة من ودعه الناس أو تركه الناس اتقاء فحشه» وقال عليه الصلاة والسلام : « عباد الله وضع الحرج إلا من اقترض بعرض أخيه فذلك الذى حرج أو هلك » .

---

(١) متفق عليه من حديث عائشة ولفظه للبخارى فى كتاب الأدب من صحيحه .

وفى الحديث « كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه[١] » وقال عليه الصلاة والسلام[٢] : « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم » ، وفيه[٣] أيضاً « سباب المسلم فسوق وقتاله كفر » :

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قيل يا رسول الله إن فلانة تصلى الليل وتصوم النهار وتؤذى جيرانها بلسانها فقال : « لا خير فيها هى فى النار » صححه الحاكم[٤] وفى الحديث[٥] أيضاً : « أذكروا محاسن موتاكم وكفوا عن مساويهم » وقال[٦] رسول الله عليه الصلاة والسلام : « من دعا رجل بالكفر أو قال يا عدو الله وليس كذلك إلا حار عليه » وقال[٧] عليه الصلاة والسلام : « مررت ليلة أسرى بى بقوم لهم أظفار من نحاس يخشعون بها وجوههم وصدورهم فقلت من هؤلاء يا جبريل فقال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون فى أعراضهم » .

فصل — فى الترهيب من الإفساد والتحريش بين المؤمنين وبين البهائم والدواب : صح عن النبى عليه الصلاة والسلام أنه قال : « إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون فى جزيرة العرب ، ولكن فى التحريش بينهم » ، فكل من حرش بين اثنين من بنى آدم ، ونقل بينهما ما يؤذى أحدهما ؛ فهو نمام من حزب الشيطان من أشر الناس ، كما قال[٨] النبى عليه الصلاة والسلام : « ألا أخبركم بشراركم ؟ » قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : « شراركم المشاءون

(١) رواه مسلم و ت فى حديث لأبى هريرة اه ترغيب .
(٢) رواه مسلم وغيره عن أبى هريرة اه ترغيب .
(٣) متفق عليه من حديث بن مسعود قاله العراقى فى تخريج الإحياء .
(٤) وابن حبان وأحمد والبزار . (٥) صححه الحاكم قاله المصنف فى رسالته الصغرى
(٦) رواه البخارى ومسلم فى حديث لأبى ذر ومعنى « حار » رجع اه ترغيب .
(٧) رواه د من حديث أنس وذكر أن بعضهم رواه مرسلا اه ترغيب وقال العراقى والمسند أصح اه من تخريج الإحياء . (٧) رواه أحمد من حديث عبد الرحمن =

بالنميمة المفسدون بين الأحبة الباغون للبرءاء العنت » والعنت المشقة، وصح[١] عن رسول الله عليه الصلاة والسلام أنه قال «لايدخل الجنة نمام » والنمام هو الذى ينقل الحديث بين الناس أو بين اثنين بما يؤذى أحـدهما أو يوحش قلبه على صاحبه أو صديقه بأن يقول له قال عنك فلان كذا وكذا أو فعل كذا وكذا ، إلا أن يكون فى ذلك مصلحة أو فائدة كتحذيره من شر يحدث أو يترتب ، وأما التحريش بين البهائم والدواب والطير وغيرها فحرام كمناقرة الديوك والكباش وتحريش الكلاب بعضها على بعض وما أشبه ذلك، وقد نهى رسول الله عليه الصلاة والسلام عن ذلك فمن فعل ذلك فهو عاص لله ورسوله ، ومن ذلك إفساد قلب المرأة على زوجها والعبد على سيده ، لما روى[٢] أن رسول الله عليه الصلاة والسلام : قال « ملعون من خبب امرأة على زوجها أو عبداً على سيده » نعوذ بالله من ذلك .

فصل — فى الترغيب فى الإصلاح بين الناس قال تعالى : « لا خير فى كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ، ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجراً عظيما) قال مجاهـد : هذه الآية عامة بين الناس يريد أنه لاخير فيما يتناجى فيه الناس و يخوضون فيه من الحديث إلا ما كان من أعمال الخير وهو قوله (إلا من أمر بصدقة) ثم حـذف المضاف (أو معروف) قال ابن عباس : بصلة الرحم و بطاعة الله ، ويقال لأعمال البر كلها معروف لأن العقول تعرفها : قوله تعالى (أو إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ) هذا مما حث عليه

= ابن غنم وفى سنده شهر بن حوشب فيه كلام معروف وبقية رجاله محتج بهم فى الصحيح اه ترغيب . (١) متفق عليه من حديث حذيفة اه عراقى .

(٢) رواه أبو داود بلفظ « ليس منا من خبب » الخ من حديث أبى هريرة ، س وجب وله شاهد من حديث بريدة عند أحمد والبزار . حب ومن حديث جابر عند مسلم، ومعنى خبب خدع وأفسد . اه ترغيب .

رسول الله عليه الصلاة والسلام فقال لأبي أيوب الأنصاري[١] : « ألا أدلك على صدقة هي خير لك من حمر النعم ؟ قال : بلى يا رسول الله ، قال : تصلح بين الناس إذا تفاسدوا وتقرب بينهم إذا تباعدوا » وروت أم حبيبة[٢] رضي الله عنها : أن النبي عليه الصلاة والسلام قال : « كلام ابن آدم كله عليه لا له إلا ما كان من أمر بمعروف أو نهى عن منكر أو ذكر لله » .

وروى أن رجلا قال لسفيان : ما أشد هذا الحديث ؟ قال سفيان : ألم تسمع إلى قول الله تعالى : (لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ) الآية . فهذا هو بعينه .

ثم أعلم الله سبحانه تعالى أن ذلك إنما ينفع من ابتغى به ما عند الله ، قال تعالى : (وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً) أى ثواباً لا حدّ له .

وفي الحديث : « ليس الكذاب الذى يصلح بين الناس فينمى خيراً أو يقول خيراً » رواه البخاري ، وقالت أم كلثوم[٣] : ولم أسمعه عليه الصلاة والسلام يرخص في شيء مما يقول الناس إلا في ثلاثة أشياء : في الحرب والإصلاح بين الناس ، وحديث الرجل زوجته ، وحديث المرأة زوجها . وعن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه أن بني عمرو بن عوف كان بينهم شر ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلح بينهم في أناس معه من أصحابه . رواه البخاري .

---

(١) رواه البزار والطبراني من حديث أنس وأشار المنذرى في الترغيب إلى ضعفه إذ صدره بلفظ روى وسكت عليه في آخره وذلك علامة الضعف عنده .

(٢) رواه ه وابن أبي الدنيا و ت وقال غريب لانعرفه إلا من حديث محمد بن يزيد بن حنيش قال المنذرى ورواته ثقات وفي محمد بن يزيد كلام قريب وهو لا يقدح وهو شيخ صالح اه ترغيب . (٣) رواه مسلم من حديثها قاله العراقي تخريج أحاديث الإحياء

وعن أبى هريرة[١] رضى الله عنه قال : قال رسول الله عليه الصلاة والسلام : « ما عمل شىء أفضل من مشى إلى الصلاة أو إصلاح ذات البين وحلف جائز بين المسلمين » وقال[٢] رسول الله عليه الصلاة والسلام : « من أصلح بين اثنين أصلح الله أمره وأعطاه بكل كلمة تكلم بها عتق رقبة ورجع مغفوراً له ما تقدّم من ذنبه » وبالله التوفيق .

اللهم عاملنا بلطفك وتداركنا بعفوك يا أرحم الراحمين .

الكبيرة الرابعة والخمسون

أذية عباد الله والتطوّل عليهم

قال الله تعالى : (وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا) وقال تعالى : (وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) وعن أبى هريرة[٣] رضى الله عنه قال : قال رسول الله عليه الصلاة والسلام : إن الله تعالى قال : « من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب » وفى رواية : فقد بارزنى بالمحاربة أى أعلمته أنى محارب له . وفى الحديث أن أبا سفيان أتى على سلمان وصهيب وبلال فى نفر ، فقالوا : ما أخذت سيوف الله من عدو الله مأخذها فقال أبو بكر رضى الله عنه : أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم ، فأتى النبى عليه الصلاة والسلام فأخبره ، فقال : يا أبا بكر لعلك أغضبتهم لقد أغضبت ربك فأتاهم أبو بكر رضى الله عنه فقال : يا إخوتاه أغضبتكم ؟ قالوا : لا ؛ يغفر الله لك يا أخى وقوله مأخذها أى لم تستوف حقها منه .

---

(١) رواه الأصبهانى وأشار المنذرى فى ترغيبه إلى ضعفه .

(٢) رواه الأصبهانى من حديث أنس وهو حديث غريب جدا قاله المنذرى .

(٣) رواه البخارى وفى سنده خالد بن مخلد القطوانى .

فصل — فى قوله تعالى : (وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ) الآيات . وهذه الآيات فى تفضيل الفقراء وسبب نزولها أن النبى عليه الصلاة والسلام أول من آمن به الفقراء ، وكذلك كل نبى أرسل أول من آمن به الفقراء ، فكان رسول الله عليه الصلاة والسلام يجلس مع فقراء أصحابه مثل سلمان وصهيب و بلال وعمار بن ياسر رضى الله عنهم ، فأراد المشركون أن يحتالوا عليه فى طرد الفقراء لما سمعوا أن علامة الرسل أن يكون أول أتباعهم الفقراء ، فجاء بعض رؤساء المشركين فقالوا : يا محمد اطرد الفقراء عنك فإن نفوسنا تأنف أن تجالسهم ، فلو طردتهم عنك لآمن بك أشراف الناس ورؤساؤهم ، فأنزل الله تعالى : (وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ) فلما أيس المشركون من طردهم قالوا : يا محمدُ إن لم تطردهم فاجعل لنا يوماً ولهم يوماً ، فأنزل الله تعالى : (وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) أى لا تتعدّاهم ولا تتجاوز بنظرك رغبة عنهم وطلباً لصحبة أبناء الدنيا (وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ) ثم ضرب لهم مثل الغنى والفقير بقوله : (وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً رَجُلَيْنِ) (وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) فكان رسول الله عليه الصلاة والسلام يعظم الفقراء و يكرمهم .

ولما هاجر رسول الله عليه الصلاة والسلام إلى المدينة هاجروا معه فى صفة المسجد مقيمين متبتلين فسموا أصحاب الصفة ، فكان ينتمى إليهم من يهاجر من الفقراء حتى كثروا رضى الله عنهم هؤلاء شاهدوا ما أعد الله لأوليائه من الإحسان وعاينوه بنور الإيمان فلم يعلقوا قلوبهم بشىء من الأكوان ، بل قالوا : إياك نعبد ولك نخضع ونسجد و بك نهتدى ونسترشد وعليك نتوكل ونعتمد و بذكرك نتنعم ونفرح وفى ميدان ودّك نرتع ونسرح ولك نعمل ونكدح وعن بابك أبداً لا نبرح ،

فحينئذ عمر لهم سبيله وخاطب فيهم رسوله فقال : (وَلاَ تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ) الآية . أى ولا تطرد قوماً أمسوا على ذكر ربهم يتقلبون ، وإن أصبحوا فلبابه ينقلبون لا تطرد قوماً المساجد مأواهم والله مطلوبهم ومولاهم والجوع طعامهم والسهر إذا نام الناس إدامهم والفقر والفاقة شعارهم والمسكنة والحياء دثارهم ربطوا خيل عزمهم على باب مولاهم و بسطوا وجوههم فى محاريب نجواهم ، فالفقر عام وخاص فالعام الحاجة إلى الله تعالى .

وهذا وصف كل مخلوق مؤمن وكافر ، وهو معنى قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ) الآية . والخاص وصف أولياء الله وأحبائه وهو خلو اليدين من الدنيا وخلو القلب من التعلق بها اشتغالا بالله عز وجل وشوقاً إليه وأنساً بالفراغ والخلوة مع الله عز وجل .

اللهم أذقنا حلاوة مناجاتك واسألك بنا طريق مرضاتك واقطع عنا كل ما يبعدنا من حضرتك ، ويسر لنا ما يسرته لأهل محبتك ، واغفر لنا ولوالدينا وللمسلمين .

الكبيرة الخامسة والخمسون : الإسبال والإزار

والثوب واللباس والسراويل تعززاً وعجباً وفخراً وخيلاء

قال الله تعالى : (وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ) .

وقال[١] النبى صلى الله عليه وسلم : « ما أسفل من الكعبين من الإزار فهو فى النار » وقال[٢] عليه الصلاة والسلام : « لا ينظر الله إلى من جرّ إزاره بطرا » .

---

(١) رواه خ . ى من حديث أبى هريرة قاله فى الترغيب .

(٢) رواه مالك ، ح ، م ت ، ى ، هـ من حديث ابن عمر بلفظ « لا ينظر الله =

وقال[1] عليه الصلاة والسلام : « ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم : المسبل والمنان والمنفق سلعته بالحلف الكاذب ».

وفى الحديث أيضاً « بينما رجل يمشى فى حلة تعجبه نفسه مرجل رأسه يختال فى مشيه إذ خسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة » .

وقال عليه الصلاة والسلام[2] : « من جرّ ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة » ، وقال[3] صلى الله عليه وسلم : « الإسبال فى الإزار والعمامة من جر شيئاً منها خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة » .

وقال عليه[4] الصلاة والسلام : « أزرة المؤمن إلى نصف ساقيه ولا حرج عليه فيما بينه و بين الكعبين ، ما كان أسفل من الكعبين فهو فى النار » .

وهذا عام فى السراويل والثوب والجبة والقباء والفرجية وغيرها من اللباس . فنسأل الله العافية ، وعن[5] أبى هريرة رضى الله عنه قال : « بينما رجل يصلى مسبلا إزاره قال له رسول الله : اذهب فتوضأ ثم جاء فقال اذهب فتوضأ فقال له رجل يا رسول الله مالك أمرته أن يتوضأ ثم سكت عنه فقال إنه كان يصلى وهو مسبل إزاره ولا يقبل الله صلاة رجل يصلى مسبلا إزاره » .

= يوم القيامة إلى من جر ثوبة خيلاء » وله شاهد فى حديث أبى سعيد الخدرى عند مالك س د ه ، حب ومن حديث أبى هريرة عند مالك و خ ، م ه قاله فى الترغيب .

(١) رواه م د ت س ه من حديث أبى ذر الغفارى رضى الله عنه والمسبل الذى يطول ثوبه يرسله إلى الأرض كأنه يفعله تجبراً أو خيلاء اه ترغيب .

(٢) تقدم أنه رواه مالك ، خ ، م ب ى ه من حديث ابن عمر .

(٣) رواه د ، س ، ه من حديث ابن عمر ، وفى سنده عبد العزيز بن أبى رواد والجمهور على توثيقه اه رعيب . (٤) رواه ى من حديث أبى هريرة وشاهده من حديث أنس عند أحمد ورواته رواه الصحيح قاله المنذرى فى الترغيب .

(٥) رواه أبو داود وفى سنده أبو جعفر المدنى قال المنذرى إن كان محمد بن الحسن فروايته عن أبى هريرة مرسلة وإن كان غيره فلا أعرفه اه ترغيب .

ولما قال(١) صلى الله عليه وسلم : « من جرَّ ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة » . فقال أبو بكر رضى الله عنه : يا رسول الله إن إزارى يسترخى إلا أن أتعاهده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنك لست ممن يفعله خيلاء .

اللهم عاملنا بلطفك الحسن الجميل برحمتك يا أرحم الراحمين .

الكبيرة السادسة والخمسون

لبس الحرير والذهب للرجال

وفى الصحيحين(٢) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من لبس الحرير فى الدنيا لم يلبسه فى الآخرة »، وهذا عام فى الجند وغيرهم لقوله صلى الله عليه وسلم(٣) : حرم لبس الحرير والذهب على ذكور أمتى » .

وعن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه قال : نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نشرب فى آنية الذهب والفضة وأن نأكل فيها وعن لبس الحرير والديباج وأن نجلس عليها ؛ أخرجه البخارى .

فمن استحل لبس الحرير من الرجال فهو كافر و إنما رخص فيه الشارع صلى الله عليه وسلم لمن به حكة أو جرب أو غيره وللمقاتلين عند لقاء العدو ، وأما لبس الحرير للزينة فى حق الرجال فحرام بإجماع المسلمين سواء كان قباء أو قبطيا أو كلوثة ، وكذلك إذا كان الأكثر حريراً كان حراما ، وكذلك الذهب لبسه حرام على الرجال سواء كان خاتما أو حياصة أو سقط سيف حرام لبسه وعمله ، وقد رأى النبى صلى الله عليه وسلم(٤) فى يد رجل خاتما من ذهب فنزعه منه وقال « يعمد أحدكم إلى جمرة من نار فيجعلها فى يده ، وكذلك طراز الذهب وكلوثة الزركشى حرام على الرجال

---

(١) رواه خ ، م ، د ، س قاله المنذرى . (٢) وكذا الترمذى والنسائى كلهم من حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه اهـ ترغيب . (٣) د ، ى من حديث على رضى الله عنه بنحوه اهـ منه . (٤) رواه مسلم من حديث ابن عباس اهـ منه

واختلف العلماء فى جواز إلباس الصبى الحرير والذهب فرخص فيه قوم ومنع منه آخرون لعموم قوله عليه الصلاة والسلام[١] عن الحرير والذهب : « هذان حرام على ذكور أمتى حل لإناثهم » فدخل الصبى فى النهى وهذا مذهب الإمام أحمد وآخرين رحمهم الله .

فنسأل الله التوفيق لما يحب ويرضى إنه جواد كريم .

الكبيرة السابعة والخمسون: إباق العبد

روى مسلم فى صحيحه[٢] أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «إذا أبق العبد لم تقبل له صلاة » ، وقال عليه الصلاة والسلام[٣] : « أيما عبد أبق فقد برئت منه الذمة » ، وروى[٤] ابن خزيمة فى صحيحه من حديث جابر قال : قال النبى عليه الصلاة والسلام : « ثلاثة لا يقبل الله لهم صلاة ولا يصعد لهم إلى السماء حسنة : العبد الآبق حتى يرجع إلى مولاه والمرأة الساخط عليها زوجها حتى يرضى والسكران حتى يصحو » وعن[٥] فضالة بن عبيد مرفوعا : ثلاثة لا يسأل عنهم : رجل فارق الجماعة وعصى إمامه ، وعبد آبق ومات عاصياً ، وامرأة غاب عنها زوجها وقد كفاها المؤونة فتبرجت بعده أى أظهرت محاسنها كما يفعل أهل الجاهلية وهم ما بين عيسى ومحمد عليه الصلاة والسلام كذا ذكره الواحدى رحمه الله .

الكبيرة الثامنة والخمسون : الذبح لغير الله عز وجل

مثل أن يقول باسم الشيطان أو الصنم أو باسم الشيخ فلان . قال الله

(١) تقدم أن حديث على عند د ، س . (٢) من حديث جرير رضى الله عنه كما فى الترغيب . (٣) رواه مسلم من حديث جرير أيضاً اهـ منه . (٤) بسند فيه زهير بن محمد فيه كلام هين ورواه الطبرانى فى الأوسط من رواية عبد الله بن محمد بن عقيل أفاده المنذرى . (٥) رواه ابن حبان فى صحيحه بلفظ « فخانته بعده » بدله « تبرجت » وكذا الطبرانى والحاكم ولفظ الحاكم « تبرجت » بدل « خانت » وعنده « وأمة أو عبد آبق من سيده » اهـ ترغيب .

تعالى : (وَلاَ تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ) . قال ابن عباس : يريد الميتة والمتخنقة إلى قوله : (وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ) ، وقال الكلبي : ما لم يذكر اسم الله عليه أو يذبح لغير الله تعالى ، وقال عطاء : ينهى عن ذبائح كانت تذبحها قريش والعرب على الأوثان ، وقوله : (وإِنَّهُ لَفِسْقٌ) يعنى ، وإن كل ما لم يذكر اسم الله عليه من الميتة فسق أو خروج عن الحق والدين (وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ) أى يوسوس الشيطان لوليه فيلقى فى قلبه الجدال بالباطل ، وهو أن المشركون جادلوا المؤمنين فى الميتة . قال ابن عباس : أوحى الشيطان إلى أوليائه من الإنس كيف تعبدون شيئاً لا تأكلون ما يقتل وأنتم تأكلون ما قتلتم ؟ فأنزل الله هذه الآية : (وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ) يعنى فى الاستحلال الميتة (إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ) قال الزجاج ، وفى هذا دليل على أن كل من أحل شيئاً مما حرم الله أو حرم شيئاً مما أحل الله فهو مشرك .

فإن قيل : كيف أبحتم ذبيحة المسلم إذا ترك التسمية ، والآية كالنص فى التحريم ؟ قلت إن المفسرين فسروا ما لم يذكر اسم الله عليه فى هذه الآية بالميتة ولم يحمله أحد على ذبيحة المسلم إذا ترك التسمية ، وفى الآية أشياء تدل على أن الآية فى تحريم الميتة ، ومنها قوله : (وإنه لفسق) ولا يفسق آكل ذبيحة المسلم التارك للتسمية .

ومنها قوله : (وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ) والمناظرة إنما كانت فى الميتة بإجماع من المفسرين لا فى ذبيحة تارك التسمية من المسلمين ، ومنها قوله : (وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ) ، والشرك فى استحلال الميتة لا فى استحلال الذبيحة التى لم يذكر اسم الله عليها .

وقد أخبرنا أبو منصور بإسناده عن أبي هريرة[١] رضي الله عنه قال : سأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أرأيت الرجل منا يذبح وينسى أن يسمي الله تعالى فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « اسم الله على فم كل مسلم » .

وأخبرنا أبو منصور أيضاً بإسناده عن[٢] ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « يكفيه اسمه ، وإن نسي أن يسمي حين يذبح فليسم ، ويذكر الله ثم ليأكل » .

وأخبر عمرو بن أبي عمرو بإسناده عن عائشة[٣] رضي الله عنها أن قوماً قالوا : يا رسول الله إن قوماً يأتونا باللحم لا ندري أذكر اسم الله عليه أم لا ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سموا عليه وكلوا » هذا آخر كلام الواحدي رحمه الله ؛ وقد تقدّم قوله صلى الله عليه وسلم : « لعن الله من ذبح لغير الله » .

الكبيرة التاسعة والخمسون

فيمن ادعى إلى غير أبيه وهو يعلم

عن سعد رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من ادعى إلى غير أبيه وهو يعلم أنه غير أبيه فالجنة عليه حرام » رواه البخاري .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا ترغبوا عن آبائكم فمن رغب عن أبيه فهو كافر » رواه البخاري .

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط وفيه مروان بن سالم الغفاري وهو متروك اهـ مجمع الزوائد . (٢) رواه الدارقطني وفيه راو سيء الحفظ وهو محمد بن زيد بن سنان صدوق ضعيف الحفظ ورواه عبد الرزاق بسند صحيح إلى ابن عباس موقوفا عليه من كلامه اهـ من بلوغ المرام وشرحه سبل السلام .

(٣) رواه مالك والبخاري رحمه الله كما في بلوغ المرام للحافظ بن حجر وشرحه سبل السلام للأمير الصنعاني رحمه الله تعالى

وفيه أيضاً : « من ادّعى إلى غير أبيه فعليه لعنة الله ، وعن زيد بن شريك[(١)] قال : رأيت عليًّا رضى الله عنه يخطب على المنبر فسمعته يقول : والله ما عندنا من كتاب نقرؤه إلا كتاب الله تعالى ، وما فى هذه الصحيفة فنشرها فإذا فيها أسنان الإبل وشىء من الجراحات وفيها : قال النبى عليه الصلاة والسلام : « المدينة حرام ما بين عير إلى ثور فمن أحدث فيها حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله يوم القيامة منه صرفاً ولا عدلا ، ومن تولى غير مواليه فعليه مثل ذلك وذمّة المسلمين واحدة » رواه البخارى ، وعن أبى ذرّ أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول : « ليس منا رجلا ادّعى إلى غير أبيه وهو يعلمه إلا كفر ، ومن ادّعى ما ليس له فليس منا وليتبوأ مقعده من النار ومن دعا رجلا بالكفر أو قال يا عدوّ الله ، وليس كذلك إلا حار عليه » أى رجع عليه ، رواه مسلم . فنسأل الله العفو والعافية والتوفيق لما يحب ويرضى إنه جواد كريم .

الكبيرة الستون : الجدل والمراء واللدد

قال الله تعالى : (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشهِدُ اللَّهَ عَلى مَا فى قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الخِصَامِ وإِذَا تَوَلَّى سَعَى فى الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهلِكَ الحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ) ، ومما يذمّ من الألفاظ المراء والجدال والخصومة .

قال الإمام : « حجة الإسلام » الغزالى رحمه الله « المراء طعنك فى كلام لإظهار خلل فيه لغير غرض سوى تحقير قائله وإظهار مزيتك عليه قال : وأما الجدال فعبارة عن أمر يتعلق بإظهار المذاهب وتقريرها

(١) كذا فيما وقع لنا من الأصول الخطية وهو خطأ وصوابه يزيد وهو والد إبراهيم التيمى .

قال : وأما الخصومة فلجاج فى الكلام ليستوفى به مقصوداً من مال أو غيره وتارة يكون ابتداء وتارة يكون اعتراضاً والمراء لا يكون إلا اعتراضاً . هذا كلام الغزالى

وقال النووى رحمه الله : اعلم أن الجدال قد يكون بحق وقد يكون بباطل ، قال الله تعالى (وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بالتى هِيَ أَحْسَنُ) وقال تعالى : (وجَادِلْهُمْ بالتى هِيَ أَحْسَنُ) وقال تعالى : (ما يُجَادِلُ فى آيات اللهِ إلا الذينَ كَفَرُوا) قال : فإن كان الجدال للوقوف على الحق وتقريره كان محموداً ، وإن كان فى مدافعة الحق أو كان جدال بغير علم كان مذموما ، وعلى هذا تنزل النصوص الواردة فى إباحته وذمه ، والمجادلة والجدال بمعنى واحد . قال بعضهم : ما رأيت شيئاً أذهب للدين ولا أنقص للمروءة ولا أشغل للقلب من الخصومة .

فإن قلت : لا بد للإنسان من الخصومة لاستيفاء حقوقه .

فالجواب ما أجاب به الغزالى رحمه الله : اعلم أن الذم المتأكد إنما هو لمن خاصم بالباطل و بغير علم كوكيل القاضى فإنه يتوكل فى الخصومة قبل أن يعرف الحق فى أى جانب هو فيخاصم بغير علم .

ويدخل فى الذم أيضاً من يطلب حقه لأنه لا يقتصر على قدر الحاجة بل يظهر اللدد والكذب والإيذاء والتسليط على خصمه ، وكذلك من خلط بالخصومة كلمات تؤذى وليس له إليها حاجة فى تحصيل حقه ، وكذلك من يحمله على الخصومة محض العناد لقهر الخصم وكسره فهذا هو المذموم .

وأما المظلوم الذى ينصر حجته بطريق الشرع من غير لدد وإسراف وزيادة لجاج على الحاجة من غير قصد عباد ، ولا إيذاء ففعل هذا ليس حراماً ، ولكن الأولى تركه ما وجد إليه سبيلا لأن ضبط اللسان فى الخصومة على حد الاعتدال متعذر والخصومة توغر الصدور وتهيج الغضب ، وإذا هاج الغضب حصل الحقد بينهما حتى يفرح كل واحد منهما بمساءة الآخر ، ويحزن لمسرته ، ويطلق لسانه فى عرضه ، فمن خاصم فقد تعرض لهذه الآفات ، وأقل ما فيها اشتغال القلب حتى أنه

يكون فى صلاته وخاطره متعلق بالمحاججة والخصومة فلا تبقى حاله على الاستقامة . والخصومة مبدأ الشر ، وكذا الجدال والمراء فينبغى للإنسان ألا يفتح عليه باب الخصومة إلا لضرورة لا بد منها .

روينا فى كتاب للترمذى[1] عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كفى بك إثماً أن لا تزال مخاصماً » .

وجاء عن علىّ رضى الله عنه قال : إن الخصومة لها قحم . قلت : القحم ـ بضم القاف وفتح الحاء المهملة ـ هى المهالك .

فصل — عن أبى هريرة[2] رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من جادل فى خصومة بغير علم لم يزل فى سخط حتى ينزع » .

وعن أبى أمامة [3] رضى الله عنه عن النبى عليه الصلاة والسلام قال : « ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل ، ثم تلا : (ما ضربوه لك إلا جدلاً) الآية .

وقال صلى الله عليه وسلم[4] : « أخوف ما أخاف عليكم زلة عالم ، وجدال منافق فى القرآن ، ودنيا تقطع أعناقكم » رواه ابن عمر .

وقال النبى عليه الصلاة والسلام[5] « المراء فى القرآن كفر » .

---

(١) وقال حديث اه غريب . (٢) رواه ابن أبى الدنيا والأصبهانى فى الترغيب والترهيب وفيه رجاء أبو يحيى ضعفه الجمهور قاله العراقى فى تخريجه .

(٣) رواه الترمذى من حديث أبى أمامة وصححه قاله العراقى فى تخريج الإحياء وجعله فى الترغيب من سند أبى هريرة وعزاه من ت إلى ه ابن أبى الدنيا فى الصمت

(٤) رواه يزيد بن أبى زياد عن مجاهد عن ابن عمر قاله المصنف فى الصغرى معلقة بلفظ يروى وله شاهد من حديث معاذ عند الطبرانى فى معاجمه الثلاثة وفيه عبد الحكيم ابن منصور متروك وله طريق أخرى فى الأوسط فيها انقطاع أفاده فى مجمع الزوائد .

(٥) رواه أبو داود وابن حبان فى صحيحه من حديث أبى هريرة ورواه الطبرانى وغيره من حديث زيد بن ثابت اه ترغيب .

فصل

يكره التقعير فى الكلام بالتشديق وتكلف السجع بالفصاحة بالمقدمات التى يعتادها المتفاصحون ، فكل ذلك من التكلف المذموم بل ينبغى أن يقصد فى مخاطبته لفظا يفهمه فهما جليا ولا يثقله .

ورو ينا فى كتاب الترمذى عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله يبغض البليغ من الرجال الذى يتخلل بلسانه كما تتخلل البقرة » قال الترمذى حديث حسن ، ورو ينا فيه أيضاً عن جابر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن من أحبكم إلى وأقر بكم منى مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً ، وإن من أبغضكم إلى وأبعدكم منى مجلساً يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون قالوا يارسول الله قد علمنا الثرثارون والمتشدقون فما المتفيهقون قال المتكبرون » قال الترمذى حديث حسن قال : والثرثار هو كثير الكلام والمتشدق من يتطاول على الناس فى الكلام و يبذو عليهم .

واعلم أنه لا يدخل فى الذم تحسين ألفاظ الخطب والمواعظ إذا لم يكن فيها إفراط و إغراب إلا أن المقصود منها تهييج القلوب إلى طاعة الله تعالى ولحسن اللفظ فى هذا أثر ظاهر ، والله أعلم .

الكبيرة الحادية والستون : منع فضل الماء

قال الله تعالى (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْراً فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ) وقال[١] النبي عليه الصلاة والسلام : « لا تمنعوا فضل الماء لتمنعوا به الكلأ » .

وقال عليه الصلاة والسلام[٢] : « من منع فضل مائه أو فضل كلئه منعه الله فضله يوم القيامة » .

---

(١) متفق عليه من حديث أبى هريرة قاله فى منتقى الأخبار .

(٢) رواه أحمد من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده اه منتقى .

وقال رسولُ الله عليه الصلاة والسلام : « ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم رجل على فضل ماء بفلاة يمنعه ابن السبيل ورجل بايع إماماً لا يبايعه إلا للدنيا ، فإن أعطاه منها وفى له ، وإن لم يعطه منها لم يف له ، ورجل بايع رجلا بسلعة بعد العصر فحلف له لأخذتها بكذا وكذا فصدقه وهو على غير ذلك » أخرجاه فى الصحيحين ، وزاد البخارى « ورجل منع فضل مائه فيقول الله اليوم أمنعك فضلى كما منعت فضل ما لم تعمل يداك » .

الكبيرة الثانية والستون

نقص الكيل والميزان والذرع وما أشبه ذلك

وقال الله تعالى (وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ) يعنى الذين ينقصون الناس ويبخسون حقوقهم فى الكيل والوزن . قوله : (الذينَ إذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ) يعنى يستوفون حقوقهم منها ، قال الزجاج : المعنى إذا اكتالوا من الناس استوفوا عليهم وكذلك إذا اتزنوا ولم يذكر (إذا اتزنوا) لأن الكيل والوزن بهما الشراء والبيع فيما يكال ويوزن فأحدهما يدل على الآخر (وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ) أى ينقصون فى الكيل والوزن . وقال السدى : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وبها رجل يقال له أبو جهينة له مكيالان يكيل بأحدهما ويكال بالآخر فأنزل الله هذه الآية .

وعن ابن عباس[1] رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خمس بخمس » قالوا يا رسول الله وما خمس بخمس » قال : ما نقض قوم العهد إلا سلط الله عليهم عدوهم ، وما حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الفقر ، وما

---

(١) رواه الطبرانى فى والكبير وسنده قريب من الحسن وله شواهد قاله المنذرى وشواهده من حديث ابن عمر عند البزار وبريدة عند ك س ، هق الخ .

ظهرت فيهم الفاحشة إلا أنزل الله بهم الطاعون - يعنى كثرة الموت - ولا طففوا الكيل إلا منعوا النبات وأخذوا بالسنين ، ولا منعوا الزكاة إلا حبس عنهم المطر » (أَلاَ يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ) قال الزجاج : المعنى لو ظنوا أنهم مبعوثون ما نقصوا فى الكيل والوزن (لِيَوْمٍ عَظِيمٍ) أى يوم القيامة (يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ) من قبورهم (لِرَبِّ الْعَالَمِينَ) أى لأمره ولجزائه وحسابه ، وقيل : يقومون بين يديه لفصل القضاء .

وعن مالك بن دينار قال : دخلت على جار لى وقد نزل به الموت وهو يقول : جبلين من نار ، جبلين من نار ، قال : قلت ما تقول ؟ قال : يا أبا يحيى كان لى مكيالان كنت أكيل بأحدهما وأكتال بالآخر ، وقال مالك بن دينار : فقمت فجعلت أضرب أحدهما بالآخر ، فقال : يا أبا يحيى كلما ضربت أحدهما بالآخر ازداد الأمر عظما وشدة فمات فى مرضه .

والمطفف هو الذى ينقص الكيل والوزن مطففاً لأنه لا يكاد يسرق إلا الشيء الطفيف وذلك ضرب من السرقة والخيانة وأكل الحرام ، ثم وعد الله من فعل ذلك بويل وهو شدة العذاب ، وقيل : واد فى جهنم لو سُيِّرت فيه جبال الدنيا لذابت من شدة حره . وقال بعض السلف : أشهد على كل كيال أو وزان بالنار ، لأنه لا يكاد يسلم إلا من عصم الله . وقال بعضهم : دخلت على مريض وقد نزل به الموت ، فجعلت ألقنه الشهادة ولسانه لا ينطق بها ، فلما أفاق قلت له يا أخى مالى ألقنك الشهادة ولسانك لا ينطق بها ؟ قال : يا أخى لسان الميزان على لسانى يمنعنى من النطق بها . فقلت له بالله أكنت تزن ناقصاً ؟ قال : لا والله ولكن ما كنت أقف مدة لأختبر صحة ميزانى ، فهذا حال من لا يعتبر صحة ميزانه فكيف حال من يزن ناقصا .

وقال نافع : كان ابن عمر يمر بالبائع فيقول اتق الله وأوف الكيل والوزن فإن المطففين يوقفون حتى أن العرق ليلجمهم إلى أنصاف آذانهم وكذا التاجر إذا شدّ

يده فى الذرع وقت البيع وأرخى وقت الشراء ، وكان بعض السلف يقول : ويل لمن يبيع بحبة يعطيها ناقصة جنة عرضها السموات والأرض وويح لمن يشترى الويل بحبة يأخذها زائداً » فنسأل الله العفو والعافية من كل بلاء ومحنة إنه جواد كريم .

الكبيرة الثالثة والستون: الأمن من مكر الله

قال الله تعالى (حَتَّى إذا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً) أى أخذهم عذابنا من حيث لا يشعرون ، قال الحسن : من وسع الله عليه فلم ير أنه يمكر به فلا رأى له ، ومن قتر عليه فلم ير أنه ينظر إليه فلا رأى له ثم قرأ هذه الآية (حتى إذا فَرِحُوا بما أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بغتة فإذا هُمْ مُبْلِسُونَ) وقال : مكر بالقوم ورب الكعبة ، أعطوا حاجتهم ثم أخذوا .

وعن عقبة[1] بن عامر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إذا رأيت الله يعطى العبد ما يحب وهو مقيم على معصيته فإنما ذلك منه استدراج ثم قرأ (فَلَمَّا نَسُوا ما ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَى إذا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أخذناهُمْ بَغْتَةً فإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ) الإبلاس : اليأس من النجاة عند ورود الهلكة ، وقال ابن عباس : أيسوا من كل خير ، وقال الزجاج : المبلس الشديد الحسرة البائس الحزين .

وفى الأثر : أنه لما مكر بإبليس — وكان من الملائكة — طفق جبريل وميكال يبكيان ، فقال الله عز وجل لهما : مالكما تبكيان ؟ قالا : يا رب ما نأمن مكرك ، فقال الله تعالى : « هكذا كونا لا تأمنا مكرى » وكان[2] النبى صلى الله

---

(١) رواه الطبرانى فى الأوسط عن شيخه الوليد بن العباس المصرى وهوضعيف اهـ مجمع الزوائد . (٢) رواه الترمذى فى جامعة من حديث حسن أس بن مالك رضى عنه وقال حديث حسن صحيح وفى الباب عن النواس بن سمعان وأم سلمة رضى الله عنها وعائشة وأبى ذر رضى الله عنهم .

عليه وسلم يكثر أن يقول : يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك » فقيل له : يارسول الله أتخاف علينا ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف شاء » .

وفى الحديث الصحيح[1] : « أن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى مايكون بينه و بينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها » ، وفى صحيح البخارى عن سهل بن الساعدى رضى الله عنه عن النبى عليه الصلاة والسلام قال : « إن الرجل ليعمل بعمل أهل النار ، و إنه من أهل الجنة و يعمل الرجل بعمل أهل الجنة و إنه من أهل النار و إنما الأعمال بالخواتيم » .

وقد قص الله تعالى فى كتابه العزيز قصة بلعام وأنه سلب الإيمان بعد العلم والمعرفة وكذلك برصيصا العابد مات على الكفر ، وروى أنه كان رجل بمصر ملتزم المسجد للأذان والصلاة وعليه بهاء العبادة وأنوار الطاعة فرقى يوما المنارة على عادته للأذان ، وكان تحت المنارة دار لنصرانى ذمى فاطلع فيها فرأى ابنة صاحب الدار ، وكانت جميلة فافتتن بها وترك الأذان ونزل إليها فقالت له : ما شأنك وماتريد فقال : أنت أريد قالت : لا أجيبك إلى ريبة ، قال لها : أتزوجك ، قالت له: أنت مسلم وأبى لا يزوجنى بك ، قال : أتنصر ، قالت له : إن فعلت أفعل ، فتنصر ليتزوج بها وأقام معهم فى الدار ، فلما كان فى أثناء ذلك اليوم رقى إلى سطح كان فى الدار فسقط فمات فلا هو بدينه ولا هو بها . نعوذ بالله من مكروه وسوء العاقبة وسوء الخاتمة .

وعن سالم عن عبد الله قال : كان كثيراً ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحلف « لا ومقلب القلوب » رواه البخارى ومعناه يصرفها أسرع من ممر الريح على اختلاف فى القبول والرد والإرادة والكراهة وغير ذلك من الأوصاف ، وفى التنزيل (وَٱعْلَمُوا أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِ) قال مجاهد : المعنى يحول

(١) يعنى صحيح البخارى من حديث أبى هريرة رضى الله عنه ولعله فى مسلم أيضاً

بين المرء وعقله حتى لا يدرى ما تصنع بنانه (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ) ، أى عقل واختار الطبرى أن يكون ذلك إخباراً من الله تعالى أنه أملك لقلوب العباد منهم ، وأنه يحول بينهم و بينها إن شاء حتى لا يدرك الإنسان شيئاً إلا بمشيئة الله عز وجل . وقالت عائشة رضى الله عنها كان رسول الله عليه الصلاة والسلام يكثر أن يقول : « يا مقلب القلوب ثبت قلبى على طاعتك . فقلت يارسول الله إنك تكثر أن تدعو بهذا الدعاء فهل تخشى قال : وما يؤمنى يا عائشة وقلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف شاء إذا أراد أن يقلب قلب عبد قلبه » فإذا كانت الهداية معروفة والاستقامة على مشيئته موقوفة والعاقبة مغيبة والإرادة غير مغالبة فلا تعجب بإيمانك وعملك وصلاتك وصومك وجميع قربك فإن ذلك إن كان من كسبك فإنه من خلق ربك وفضله الدار عليك فمهما افتخرت بذلك كنت مفتخراً بمتاع غيرك ، وربما سلبه عنك فعاد قلبك من الخير أخلى من جوف العير[1] .

فكم من روضة أمست وزهرها يانع عميم ، أضحت وزهرها يابس هشيم إذ هبت عليها الريح العقيم كذلك العبد يمسى وقلبه بطاعة الله مشرق سليم و يصبح وهو بمعصية الله مظلم سقيم ، ذلك تقدير العزيز العليم .

ابن آدم : الأقلام عليك تجرى وأنت فى غفلة لا تدرى ابن آدم دع المغانى والأوتار ، والمنازل والديار ، والتنافس فى هذه الدار ، حتى ترى ما فعلت فى أمرك الأقدار ، قال الربيع : سئل الإمام الشافعى رحمه الله تعالى :

(*)

ينادى مناد من قبل العرش أين فلان ابن فلان فلا يسمع أحـــد ذلك الصوت إلا وتضطرب فرائصه قال : فيقول الله عز وجل لذلك الشخص

(١) العير ـ بفتح العين ـ الحمار . [*] كذا بالأصول سقط نحو صفحة متوسطة سقط فيها أول الكبيرة الرابعة والستون .

أنت المطلوب هلم إلى العرض على خالق السموات والأرض فيشخص الخلق بأبصارهم تجاه العرش ويوقف ذلك الشخص بين يدى الله عز وجل ، فيلقى الله عز وجل عليه من نوره يستره عن المخلوقين ، ثم يقول الله له : عبدى أما علمت أنى كنت أشاهد عملك فى دار الدنيا فيقول : بلى يا رب فيقول الله تعالى : عبدى أماسمعت بنقمتى وعذابى لمن عصانى ؟ فيقول: بلى يا رب فيقول الله تعالى : عبدى أما سمعت بجزائى وثوابى لمن أطاعنى فيقول : بلى يا رب فيقول الله تعالى : يا عبدى فلم عصيتنى فيقول : يا رب قد كان ذلك فيقول الله تعالى : عبدى فما ظنك اليوم بى فيقول : يا رب أن تعفو عنى فيقول الله تعالى : عبدى تحققت إنى أعفو عنك ، فيقول: نعم يارب لأنك رأيتنى على المعصية وسترتها على ، قال : فيقول الله عز وجل : قد عفوت عنك وغفرت لك وحققت ظنك خذ كتابك بيمينك فما كان فيه من حسنة فقد قبلتها وما كان من سيئة فقد غفرتها لك وأنا الجواد الكريم .

إلٰهنا لولا محبتك للغفران ما أمهلت من يبارزك بالعصيان ، ولولا عفوك وكرمك ما سكنت الجنان .

اللهم إنك عفوّ تحب العفو فاعف عنا .

اللهم انظر إلينا نظر الرضى وأثبتنا فى ديوان أهل الصفا ونجنا من ديوان أهل الجفا .

اللهم حقق بالرجاء آمالنا ، وأحسن فى جميع الأحوال أعمالنا ، وسهل فى بلوغ رضاك سبلنا ، وخذ إلى الخيرات بنواصينا ، وآتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار .

الكبيرة الخامسة والستون : تارك الجماعة

فيصلى وحده من غير عذر

عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

لقوم يتخلفون عن الجماعة « لقد هممت أن آمر رجلا يصلى بالناس ثم أحرق على رجال يتخلفون عن الجماعة بيوتهم » رواه مسلم ،وقال عليه الصلاة والسلام « لينتهين أقوام عن ودعهم الجماعات أو ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين » ، رواه مسلم[١] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « من ترك ثلاث جمع تهاوناً بها طبع الله على قلبه» أخرجه أبو داود والنسائى[٢] ، وقال : من ترك الجمعة من غير عذر ولا ضرر كتب منافقاً فى ديوان لا يمحى ولا يبدّل » .

وعن حفصة[٣] رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رواح الجمعة واجب على كل محتلم » أى على كل بالغ .

فنسأل الله التوفيق لما يحب ويرضى إنه جواد كريم .

الكبيرة السادسة والستون

الإصرار على ترك صلاة الجمعة والجماعة من غير عذر

قال الله تعالى : (يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ) ، قال كعب الأحبار : مانزلت هذه الآية إلا فى

(١) من حديث أبى هريرة وابن عمر رضى الله عنه وكذا رواه ابن ماجه من حديثهما كما فى الترغيب والترهيب .

(٢) والترمذى وحسنه و ه ، حب وابن خزيمة فى صحيحيه والحاكم وقال على شرط مسلم كلهم من حديث أبى الجعد الضمرى وكانت له صحبة وله شاهد من حديث أبى قتادة عند أحمد وك ومن حديث أسامة عند طب ومن حديث كعب بن مالك عنده أيضا ومن حديث أبى هريرة عند ه ومن حديث جابر عند أبى يعلى ومن كلام ابن عباس عنده أيضا ومن حديث حارثة بن النعمان عند أحمد أفاده فى الترغيب والترهيب وقال المصنف فى الصغرى إسناده جيد قوى اه .

(٣) حديث حفصة رواه النسائى قاله المصنف فى الصغرى .

الذين يتخلفون عن الجماعات . وقال سعيد بن المسيب إمام التابعين رحمه الله : كانوا يسمعون حى على الصلاة حى على الفلاح فلا يجيبون وهم سالمون أصحاء .

وفى الصحيحين[١] أن رسول الله عليه الصلاة والسلام قال : « والذى نفسى بيده لقد هممت أن آمر بحطب يحتطب ثم آمر بالصلاة فيؤذن لها ثم آمر رجلا فيؤم الناس ثم أخالف إلى رجال لايشهدون الصلاة فى الجماعة فأحرق عليهم بيوتهم بالنار» وفى رواية لمسلم أيضا من حديث أبى هريرة «لقد هممت أن آمر فتيتى أن يجمعوا لى حزماً من حطب ثم آتى قوما يصلون فى بيوتهم ليستبهم علة فأحرقها عليهم » وفى هذا الحديث الصحيح والآية التى قبله وعيد شديد لمن يترك صلاة الجماعة من غير عذر . فقد روى أبو داود فى سنته بإسناده إلى ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله عليه الصلاة والسلام « من سمع المنادى فلم يمنعه من إتيانه عذر — قيل وما العذر يارسول الله خوف أو مرض — لم تقبل منه الصلاة التى صلى » يعنى فى بيته .

وروى الترمذى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه سئل عن رجل يصوم النهار ويقوم الليل ولا يصلى فى جماعة ولا يجمع فقال إن مات هذا فهو فى النار .

وروى مسلم أن رجلا أعمى جاء إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم فقال يارسول الله ليس لى قائد يقودنى إلى المسجد فهل لى رخصة أن أصلى فى بيتى فرخص له ، فلما ولى دعاه فقال « هل تسمع النداء بالصلاة » قال : نعم ، قال « فأجب » وفى رواية أبى دواد أن ابن أم مكتوم جاء إلى النبى صلى الله عليه وسلم وقال: يارسول الله إن المدينة كثيرة الهوام والسباع وأنا ضرير البصر فهل لى رخصة أن أصلى فى بيتى فقال

---

(١) من حديث أبى هريرة رضى الله عنه .

فقال له النبي صلى الله عليه وسلم « تسمع حى على الصلاة حى على الفلاح » قال: نعم ، قال : « فأجب ، فحى هلا » وفى رواية أنه قال : يارسول الله إنى ضرير شاسع الدار ولى قائد لايلائمنى فهل لى رخصة ، وقوله « فحى هلا » أى تعال وأقبل .

وروى الحاكم فى مستدركه على شرط الصحيحين عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله عليه الصلاة والسلام « من سمع النداء فلم يمنعه من اتباعه عذر فلا صلاة له » قالوا : وما العذر يارسول الله ، قال « خوف أو مرض » وجاء[1] عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « لعن الله ثلاثة من تقدم قوما وهم له كارهون وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط ورجلا سمع حى على الصلاة حى على الفلاح ثم لم يجب » قال أبو هريرة : لأن تمتلىء أذن ابن آدم رصاصاً مذاباً خير من أن يسمع حى على الصلاة حى على الفلاح ، ثم لايجيب وقال علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه: «لاصلاة لجار المسجد إلا فى المسجد ، قيل من جار المسجد ؟ قال من يسمع الأذان ، وقال أيضاً : من سمع النداء فلم يأته لم تجاوز صلاته رأسه إلا من عذر .

وقال ابن مسعود[2] رضى الله عنه : من سره أن يلقى الله غداً مسلماً فليحافظ على هذه الصلوات الخمس حيث ينادى بهن فإن الله تعالى شرع لنبيكم عليه الصلاة سنن الهدى و إنها من سنن الهدى ولو أنكم صليتم فى بيوتكم كما يصلى المتخلف فى بيته لتركتم سنة نبيكم ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق أو مريض ، ولقد كان الرجل يؤتى بها يهادى بين الرجلين حتى يقام فى الصف يعنى يتكىء عليهما من ضعفه حرصا على فضلها وخوفاً من الإثم فى تركها .

فصل — وفضل صلاة الجماعة عظيم كما فى تفسير قوله تعالى :

(١) رواه الحاكم فى مستدركه عن ابن عباس كما تقدم فى النهى عن ترك الصلاة .
(٢) رواه مسلم وأبو داود وغيرهما اه ترغيب .

(وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ) أنهم المصلون الصلوات الخمس فى الجماعات . وفى قوله تعالى : (وَنَكْتُبُ مَاقَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ) أى خطاهم .

وفى الصحيح(١) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من تطهر فى بيته ثم مشى إلى بيت من بيوت الله ليقضى فريضة من فرائض الله كانت خطواته إحداهما تحط خطيئة والأخرى ترفع درجة فإذا صلى لم تزل الملائكة تصلى عليه ما دام فى مصلاه الذى صلى فيه يقولون اللهم اغفر له ، اللهم ارحمه مالم يؤذ فيه أو يحدث فيه » .

وقال صلى الله عليه وسلم(٢) : « ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات قالوا : بلى يارسول الله ، قال : إسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط فذلكم الرباط » رواه مسلم .

الكبيرة السابعة والستون : الإضرار فى الوصية

قال الله تعالى : (مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ) أى غير مدخل الضرر على الورثة وهو أن يوصى بدين ليس عليه يريد بذلك ضرر الورثة فمنع الله منه (وَصِيَّةً مِنَ اللهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ) .

قال ابن عباس : يريد ما أحل الله من فرائضه فى الميراث (وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ) فى شأن المواريث (يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ

---

(١) رواه خ ، م ، د ، ت ، ه من حديث أبى هريرة بنحو ماهنا كما فى الترغيب

(٢) رواه مالك ومسلم ، ت ، س ، ه كلهم من حديث أبى هريرة وشاهده من حديث أبى سعيد الخدرى عند ابن حبان فى صحيحه اه ترغيب :

فيهَا وَذٰلِكَ الْفَوْزُ العظيمُ ، ومن يعْصِ الله ورسولهُ) قال مجاهد فيما فرض الله من المواريث .

وقال عكرمة عن ابن عباس : من لم يرض بقسم الله ويتعد ماقال الله (يُدْخلهُ ناراً) .

وقال الكلبي يعنى يكفر بقسمة الله المواريث ويتعدى حدوده استحلالا (يُدْخلهُ نَاراً خَالداً فيها ولهُ عَذَابٌ مُهينٌ) ، وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الرجل أو المرأة ليعمل بطاعة الله ستين سنة ثم يحضرهما الموت فيضاران فى الوصية فتجب لهما النار » ، ثم قرأ أبو هريرة هذه الآية (مِنْ بعد وَصِيَّةٍ يُوصَىَ بِهَا أَوْ دَيْن غَيْرَ مُضَار) رواه أبو داود[١] .

وجاء عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من فر بميراث وارث قطع الله ميراثه من الجنة »[٢] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « إن الله قد أعطى كل ذى حق حقه فلا وصية لوارث » صححه الترمذى[٣] .

الكبيرة الثامنة والستون

المكر والخديعة

قال الله عز وجل : (وَلاَ يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إلاَّ بِأَهْلِهِ) ، وقال النبى[٤] عليه الصلاة والسلام « المكر والخديعة فى النار » .

(١) رواه ت وقال حسن غريب ورواه ابن ماجه ولفظه « إن الرجل ليعمل بعمل أهل الخير سبعين سنة فاذا أوصى جاف فى وصيته فيختم له بشر عمله فيدخل النار وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الشر سبعين سنة فيعدل فى وصيته فيختم له بخير عمله فيدخل الجنة » اه ترغيب وترهيب . (٢) رواه ابن ماجه من حديث أنس وأشار المنذرى إلى ضعفه وقال المصنف فى الصغرى فى سنده مقال . (٣) من حديث عمرو بن خارجة وفى سنده إسماعيل بن عياش فى روايته عن غير الشاميين ضعف . (٤) رواه البزار من حديث أبى هريرة وفيه عبد الله بن أبى حميد أجمعوا على ضعفه اه مجمع الزوائد .

وقال عليه الصلاة والسلام : « لايدخل الجنة خب ولا بخيل ولا منان » وقال تعالى عن المنافقين (يُخَادِعونَ اللهَ وهو خادِعُهمْ) قال الواحدى يعاملون عمل المخادع على خداعهم وذلك أنهم يعطون نوراً كما يعطى المؤمنين فإذا مضوا على الصراط أطفىء نورهم : بقوا فى الظلمة .

وقال عليه الصلاة والسلام فى حديث[1] « وأهل النار خمسة وذكر منهم رجلا لايصبح ولا يمسى إلا وهو يخادعك عن أهلك ومالك » .

الكبيرة التاسعة والستون

من جس على المسلمين ودل على عورتهم

فيه حديث حاطب بن أبي بلتعة وأن عمر أراد قتله بما فعل فمنعه النبى عليه الصلاة والسلام من قتله لكونه شهد بدراً إذ ترتب على جسه وهن على الإسلام وأهله وقل أوسبى أو نهب أو شىء من ذلك فهذا ممن سعى فى الأرض فساداً وأهلك الحرث والنسل فيتعين قتله وحق عليه العذاب فنسأل الله العفو والعافية . وبالضرورة يدرى كل ذى جس أن النميمة إذا كانت من أكبر المحرمات فنميمة الجاسوس أكبر وأعظم .

نعوذ بالله من ذلك ونسأله العفو والعافية إنه لطيف خبير جواد كريم .

الكبيرة السبعون : سب أحد من الصحابة

رضوان الله عليهم

ثبت فى الصحيحين[2] أن النبى عليه الصلاة والسلام قا « يقول الله تعالى من عاد لى وليا فقد آذنته بالحرب » وقال عليه الصلاة والسلام « لاتسبوا أصحابى

(١) رواه مسلم من حديث عياض بن حمار المجاشعى .

(٢) عزاه فى الصغرى إلى البخارى فقط وقال فى الميزان فى ترجمة خالد بن مخلد القطوانى : ولاخرجه من عدا البخارى ولا أظنه فى المسند وأقره الحافظ العسقلانى فى الفتح وعد من أخرجه أو أخرج شاهدا له وليس فيهم مسلم فما هنا سبق قلم أو من تحريف النساخ والحديث من مسند أبى هريرة رضى الله عنه .

فوالذى نفسى بيده لو أنفق أحدكم ذهبا مابلغ مد أحدهم ولا نصيفه » مخرج فى الصحيحين .

وقال صلى الله عليه وسلم « الله الله فى أصحابى لاتتخذوهم غرضا بعدى فمن أحبهم فبحبى أحبهم ومن أبغضهم فببغضى أبغضهم ومن آذاهم فقد آذانى ومن آذانى فقد آذ الله ومن آذى الله أوشك أن يأخذه » أخرجه الترمذى[1] .

فى هذا الحديث وأمثاله بيان حالة من جعلهم غرضا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وسبهم وافترى عليهم وعابهم و كفرهم واجترأ عليهم .

وقوله صلى الله عليه وسلم « الله الله » كلمة تحذير و إنذار كما يقول المحذر : النار النار ، أى احذروا النار وقوله « لاتتخذوهم غرضا بعدى » أى لاتتخذوهم غرضا للسب والطعن كما يقال اتخذ فلان غرضا لسبه أى هدفا للسب وقوله « فمن أحبهم فبحبى أحبهم ومن أبغضهم فببغضى أبغضهم » فهذا من أجل الفضائل والمناقب لأن محبة الصحابة لكونهم صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونصروه وآمنوا به وآزروه وواسوه بالأنفس والأموال فمن أحبهم فإنما أحب النبى صلى الله عليه وسلم فحب أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم عنوان محبته وبغضهم عنوان بعضه كما جاء فى الحديث الصحيح « حب الأنصار من الإيمان و بعضهم من النفاق » وما ذاك إلا لسابقتهم ومجاهدتهم أعداء الله بين يدى رسول النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، وكذلك حب على رضى الله عنه من الإيمان و بغضه من النفاق ، و إنما يعرف فضائل الصحابة رضى الله عنهم من تدبر أحوالهم وسيرهم وآثارهم فى حياة النبى عليه الصلاة والسلام و بعد موته من المسابقة إلى الإيمان والمجاهدة للكفار ونشر الدين و إظهار شعائر الإسلام و إعلاء كلمة الله ورسوله وتعليم فرائضه وسننه ولولاهم ماوصل إلينا من الدين أصل ولا فرع ولا علمنا من الفرائض والسنن سنة ولا فرضا ولا علمنا من الأحاديث والأخبار شيئا .

(١) من حديث عبد الله بن مغفل وقال غريب اه مشكاة .

فمن طعن فيهم أوسبهم فقد خرج من الدين ومرق من ملة المسلمين لأن الطعن لايكون إلا عن اعتقاد مساويهم وإضمار الحقد فيهم وإنكار ماذكره الله تعالى فى كتابه من ثنائه عليهم ومالرسول الله عليه الصلاة والسلام من ثنائه عليهم وفضائلهم ومناقبهم وحبهم ولأنهم أرضى الوسائل من المأثور والوسائط من المنقول والطعن فى الوسائط طعن فى الأصل والازدراء بالناقل أزدراء بالمنقول ، وهذا ظاهر لمن تدبره وسلم من النفاق ومن الزندقة والإلحاد فى عقيدته وحسبك ماجاء فى الأخبار والآثار من ذلك كقول النبى صلى الله عليه وسلم (١) « إن الله اختارنى واختار لى أصحاباً فجعل لى منهم وزراء وأنصارا وأصهاراً فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لايقبل الله منه يوم القيامة صرفا ولا عدلا » .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال ؛ قال أناس من أصحاب النبى عليه الصلاة والسلام : إنا نسب ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من سب أصحابى فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين » .

وعنه(٢) قال : قال رسول الله عليه الصلاة والسلام « إن الله اختارنى واختار لى وجعل لى أصحاباً وإخواناً وأصهارا وسيجىء قوم بعدهم يعيبونهم وينقصونهم فلا تواكلوهم ولا تشاربوهم ولا تناكحوهم ولا تصلوا عليهم ولا تصلوا عليهم ولا تصلوا معهم » .

وعن(٣) ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال صلى الله عليه وسلم « إذا ذكر أصحابى فأمسكوا وإذا ذكر النجوم فأمسكوا وإذا ذكر القدر فأمسكوا » .

---

(١) قال الهيثمى فى مجمع الزوائد رواه الطبرانى من حديث عويم بن ساعدة وفيه من لم أعرفه اهوزاد فى منتخب كنز العمال عزوه إلى الحاكم فى مستدركه .

(٢) رواه العقيلى فى الضعفاء عن أنس فى منتخب كنز العمال .

(٣) رواه الطبرانى وفيه مسهر بن عبد الملك وثقه ابن حبان وغيره وفيه خلاف وبقية رجاله رجال الصحيح وله شاهد ضعيف من حديث ثوبان عند الطبرانى أيضا اهمجمع الزوائد ، وقال العراقى رواه الطبرانى بإسناد حسن .

قال العلماء : معناه من فحص عن سر القدر فى الخلق ، وهو أى الإمساك علامة الإيمان والتسليم لأمر الله ، وكذلك النجوم ومن اعتقد أنها فعالة أو لها تأثير من غير إرادة الله عز وجل فهو مشرك ، وكذلك من ذمّ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بشىء وتتبع عثراتهم وذكر عيبا وأضافه إليهم كان منافقا ، بل الواجب على المسلم حب الله وحب رسوله وحب ما جاء به وحب من يقوم بأمره وحب من يأخذ بهديه ويعمل بسنته وحب آله وأصحابه وأزواجه وأولاده وغلمانه وخدامه وحب من يحبهم ، وبغض من يبغضهم ؛ لأن أوثق عرى الإيمان الحب فى الله والبغض فى الله .

قال أيوب السختيانى رضى الله عنه : من أحب أبا بكر فقد أقام منار الدين ، ومن أحب عمر فقد أوضح السبيل ، ومن أحب عثمان فقد استنار بنور الله ، ومن أحب عليًا فقد استمسك بالعروة الوثقى ، ومن قال الخير فى أصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام فقد برىء من النفاق .

فصل — وأما مناقب الصحابة وفضائلهم فأكثر من أن تذكر ، وأجمعت علماء السنة أن أفضل الصحابة العشرة المشهود لهم وأفضل العشرة أبو بكر الصديق ثم عمر بن الخطاب ثم عثمان بن عفان ثم على بن أبى طالب رضى الله عنهم أجمعين ، ولا يشك فى ذلك إلا مبتدع منافق خبيث .

وقد نص النبى صلى الله عليه وسلم فى حديث[1] العرباض بن سارية حيث قال : « عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور » الحديث .

والخلفاء الراشدون هم : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلىّ رضى الله عنهم أجمعين ، وأنزل الله فى فضائل أبى بكر رضى الله عنه آيات من القرآن ، قال الله تعالى : (وَلاَ يَأْتَلِ أُولُو الفضلِ مِنكم والسَّعةِ أن تؤتُو أُولِي القرْبى

(١) رواه ت وصححه .

والمساكين) الآية لا خلاف أن ذلك فيه ، فنعته بالفضل رضوان الله عليه ، وقال تعالى (ثانيَ اثنينِ إذ هما فى الغارِ) الآية ، لا خلاف أيضا أن ذلك فى أبى بكر رضى الله عنه شهدت له الربوبية بالصحبة ، وبشره بالسكينة ، وحلاه بثانى اثنين كما قال عمر ابن الخطاب رضى الله عنه : من يكون أفضل من ثانى اثنين الله ثالثهما وقال تعالى : (والذى جاء بالصدقِ وصدَّقَ بِهِ أولئك هُمُ المتقون) قال جعفر الصادق : لا خلاف أن الذى جاء بالصدق رسول الله عليه الصلاة والسلام والذى صدق به أبو بكر رضى الله عنه ، وأى منقبة أبلغ من ذلك فيهم رضى الله عنهم أجمعين .

(*) تم الكتاب المبارك بعون الله وحسن توفيقه على يد الفقير إلى مولاه الغنى عمن سواه عبد الله بن سليمان آل بلبهد غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وإخوانه فى الدارين وسائر المسلمين والمسلمات، الأحياء منهم والأموات إنه غفور رحيم آمين يارب العالمين وصلى الله على سيد المرسلين محمد وآله وصحبه أجمعين .

وكان الفراغ منه خمس عشرة خلت من شهر جمادى الأولى سنة ١٣١٤ هجرية

كتبت وقد أيقنت يوم كتابتى بأن يدى تفنى ويبقى كتابها
وإن عملت خيرا ستجزى بمثله وإن عملت سوءا عليها حسابها

كان الفراغ من كتابة هذه النسخة نقلا عن النسخة المتقدمة يوم الثلاثاء لخمس عشرة خلت من شهر المحرم سنة ١٣٥٥ هجرية على يد الفقير إليه تعالى وإلى عفوه عارف بن محمد خوجه البخارى المكى والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات وصلى الله على سيد محمد وآله وصحبه وسلم آمين .

(*) ابتداء من هنا نثبته كما هو بذيل النسخة الخطية المطبوع عليها اهـ مصححه .

فهرس الكتاب

تم الفهرس والحمد لله أولا وآخراً

تنبيهات

(١) أكثر الحواشي لتخريج ماأهمل المؤلف تخريجه من الأحاديث وقد رمزت لأصحاب الكتب المشهورة بالرموز المتداولة فالبخاري في صحيحه (خ) وقد كتب أحياناً (ح) بلا نقطومسلم (م) وأبو داود (د) وقد كتبت غلطاً أحياناً (ر) والترمذي في جامعه (ت) وقد حرفت فكتبت (ن) والنسائي (س) وقد كتبت غلطاً في مواضع كثيرة (ى) ولابن ماجه (ه) ولابن حبان (حب) وللحاكم في مستدركه (ك) وللبيهقي (هق) وماعدا ذلك فمذكور بالاسم المشهور به .

(٢) كان من قصدي تخريج جميع ماأهمله المصنف وتيسر لي ذلك في الأكثر الأغلب وفاتني في مواضع قليلة أرجو أن أتداركها في الطبعات التالية إن شاء الله تعالى كما أرجو ممن اطلع على خطأ أن ينبهني إليه مشكور مأجورا .

(٣) وجد سقط في الأصول التي وقفنا عليها نحو صفحة من آخر الكبيرة الثالثة والستين وأول الكبيرة الرابعة والستين فمن كان عنده نسخة فيها تكميل هذا النقص فليتكرم بها أو بهذا السقط فقط وله مايطلب من مكافأة من ناشري الكتاب .

كتبه مصحح الأصل : محمد بن عبد الرزاق حمزة

المدرس بالمسجد الحرام ودار الحديث بمكة المكرمة

١٢ رجب سنة ١٣٥٦ ه